

رواية

فيرا تيجو

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

Amly

الطبعة
الثامنة

أحمد مراد

Vertigo
فيرٹیجو

ڤيرٲيجو..Vertigo

رواية

أحمد مراد

الطبعة الأولى أغسطس/2007 ميريت

الطبعة الثانية يناير/2008 ميريت

الطبعة الثالثة أغسطس/2008 ميريت

الطبعة الرابعة يناير/2009 ميريت

الطبعة الخامسة أغسطس/2009 المؤلف

الطبعة السادسة نوفمبر/2009 المؤلف

الطبعة السابعة مايو/2010 المؤلف

الطبعة الثامنة مايو/2011 المؤلف

الغلاف: أحمد مراد

رقم الإبداع: 16924/ 2007

التريقيم الدولي: 977-351-375-0

البريد الإلكتروني : mouradstudio@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

Vertigo
فيرتيجو ♣

أحمد مراد

إهداء ..

إلى من جعلني أشعر بالناس من حولي .. صديقي " الأنتيم " أبي ..
إلى من قالت يوماً : " سيبك من الأثاري .. تعالى اشترى لك كتاب ينفعك "
ومسحت بي أرض معرض الكتاب .. أمي الحبيبة ..
إلى من أقنعتني بالكتابة بين ليلة وضحاها وتحملت ضرةً في البيت اسمها
" فيرتيجو " .. زوجتي الرقيقة
إلي قلبي .. ابنتي " فاطمة الزهراء " الشهيرة بـ "توتة الزهلاء " ..
إلي شقيقتي العزيزة " أم ميشو " و " ميشو " وأبوه ..

إهداء . . .

إلى أ. محمد هاشم . .

لن أنسى أول مرة رأيتك حين قرعت بابك وفي يدي نص روايتي . .

لن أنسى وجهك حين قلتها " عجباني . . هطبعا " . .

لن أنسى حفاوة لقاءك . . ضحكتك المميزة . . وجدران ميريت . .

شكراً . .

إبريل ٢٠٠٥ ..

فندق جراند حياة . الساعة العاشرة والنصف مساءً . .

صوت الزفة كان يهدر أمام قاعة الأفراح مُعلنًا عن فقيد جديد، كُتب اسمه مع عروسه على لوحة ذهبية أمام الباب " ألف مبروك . . خالد ونانسي " . . تحركت الزفة ببطء يسمح لراقصات الشمعدان ممتلئات الكروش الشاعرات بمثلل شديد جداً بأداء بعض الحركات التي لا تُمتّ للرقص بصلة على سبيل الترفيه الواجب . .

سيد الزفة كان الطبال، يرتدى صديرية لونها لبني فاقع يتصادم مع ألوان الكرانيش المتدلية من الكم ليبدو مختلفاً عن البمبة المسخسخ الذي يرتديه باقي أعضاء الفرقة، وليظهر بمظهر المايسترو، بشعره المفلفل الطويل المتدلي على جبهته فيما زملاؤه يفسحون له المدعويين كأنه رائد فضاء، وهو منخرط تماماً في الرقع على الطبلية . .

لم يكن أحمد كمال سوى مصوّر الفرح . . وككل مصوري الأفراح يعرف تماماً مدى أهميته للحدث، لكن للأسف لا يلقون المعاملة اللائقة رغم أن الفرح بالنسبة إليه لم يكن بالأمر الهين . . كان معركة لتسجيل لحظة ستكون ذكرى لآخر العمر، ولن يتذكره بعدها أحد، كذكر النحل الذي يكتفي بدور الملقح، ليموت شهيداً بعدها وتستمر الحياة بفضلته ويأكل الآخرون العسل، خمري اللون لا يتنازل عن البنطلون الجينز، فوقه جاكت

بني هافان، لبيدو مثل أبطال مسلسلات الثمانينيات . . لا يتقصه سوى
رقعة جلد بني داكنة عند الكوع ليصبح " شاك نوريس " ، وإن كان في قرارة
نفسه يعتقد بوجود شبه كبير بينه وبين عمرو دياب، لكن أحداً لم يلحظ
ذلك من قبل رغم محاولاتِه في اختيار ملابسه وحتى في مشيته أن يكون قريب
الشبه به . . حريص كل الحرص على أناقته التي تُكَلِّفه مُعظم مصاريفه،
حتى لو تبخر آخر جنيه من جيبه، بالإضافة إلى بعض تمارين الحديد في صالة
صلاح جولدن جيم من حين لآخر، ليظهر بمظهر الشاب الرياضي، متوسط
الطول يرتدى نظارة تُخفي شقاوة في عينيه التي يتدل منها الهلال الأسود
الشهير المميز لشاغلي الليل، وتُخفي أيضاً ضعف بصر لو أدركه طه حسين
لأسفق عليه . . لا ينام أبداً قبل السادسة صباحاً، ولا يخرج من الفرح إلا
بذكرى فتاه جميلة يظن أنها تتبعه بنظراتها طوال الوقت، مُكتفياً بتصويرها
" بورتريه " لعله يلقاها ثانياً، يريها لزملائه ويُضيف من عنده بعض التوش
وكانها من طلبت منه صورة ورقم تليفونه وماتت في دباديبه، وقد يحكى لهم
عن عينها التي دمعت لأنها مرتبطة وخطيبها بجانبها، تتمنى أن يعود بها
الزمن لتتعرف إليه . . يتحسس الكاميرا بيده ويُمسك بها من الحزام، موحياً
لمن حوله بالثقة وكأنه ولد بها على هذا الوضع . . يستخدم ثقل الكاميرا
ليشد عضلة ذراعه ليُحلّل الجنيهات التي يدفعها في صالة الحديد . . كانت
الزفة قد انتهت وبدأ الـ " D.J " في أداء وظيفته التي خُلق من أجلها، عمل
زار للعريس والعروس والأقارب، لتطهير الأرواح الشريرة بالإضافة إلى
.. او ما بها. حل العريس وتطرُد من رأسه أحلام ليلته، بدأ أحمد كمال
"عروضه النومية لعمل كادر للعريس وعروسه، من دون أيدي وأكتاف أو

أبيه ، ولم يتبق له إلا ميراث من علاقات المرحوم مع موظفي الفندق
القدامى ، الذين يظهر عليهم التأثر عندما تقع أعينهم عليه ، متذكرين أباه
وما كان عليه من روح طيبة ، إلا مستر رفعت ، الذي يتعمد اهانتته ؛ فهو لم
يلحق بزمن أبيه . .

كانت الساعة قد تعدت الثالثة والرابع عندما انسحب أحمد من القاعة ،
مكتفياً بما حققه من صور غطى بها أحداث الفرح حسب الاتفاق مع
العريس ، وتوجه كعادته إلى الدور الأربعين بعدما وضع معداته في الحقيبة
وسلم ديسكات الصور لسليم ، الرجل الذي استأجر تصوير الفندق بعد
والده ، ذلك الكيان القصير السمين العرقان دائماً بمنديله القماش المبلل الذي
لا يفارقه ، يلبس البذلة والصدى صيفاً وشتاءً فوق القميص الأحمر " خد
الهانم " والحذاء البنص اللامعة والسلسلة الخنزير الذهبية المتدلّية بداخل
صدره الخالي من الشعر وكرشه العريضة المتدلّية كبائع العرقسوس ،
بمداعباته الثقيلة التي لا تخلو من التلميحات الجنسية مع المضيفات
والراقصات ، حتى مع رجال الأعمال المترددين والمقيمين في الفندق ، فهو
يكاد يُصادق ترايزين السلم ، شبكة تجسُّس لا تخفي عليها صغيرة ولا كبيرة
عن أي مرتاد للفندق ، ورغبة محمومة في حب الظهور ولفت الأنظار . . كان
يعمل مساعداً لوكيل فنانيين ، فر من مكتبه بكل تليفونات الفنانين والفنانات
الخاصة ، وأجر هذا المكان رغم عدم درايته بالتصوير ، لتكون له مساحة في
الفندق ينتشر بعدها انتشار البايروسول تحت البوتاجاز ، ويمارس أخطبوطيته
على كل من حوله . .

مزوج من اثنتين وعلى علاقة بثالثة، يصرف بسخاء على سهراته
المرء ومزاجه من قطع المخدرات الملقوفة في السلوفان الملون، إلا أنه
يحل في أجور المصورين الذين يعملون عنده، عمل أحمد لديه بعد وفاة
والده ورحب به، لأنه يعرف طبيعة المكان وطريقة العمل فيه، يكن له حبة
لا تحلو من حذر، لأن هذا المكان كان ملك لوالده، ولا يريد أن يطمع فيه
أخرى، لذلك يبقى مرتبه ومُرتب زملائه بالكاد يكفي مقومات الحياة
حتى يظّلوا في حاجة إليه . .

يطل المنظر من الدور الأربعين على كوبري قصر النيل وبرج الجزيرة
وأطراف الزمالك، مع الشوارع الناعسة لجاردن سيتي والموسيقى الهادئة
وبعض الشموع والورود يكتمل الجو الخاص بالبار . .
بار فيرتيجو . . الدوار، أفخم بارات مصر وأشهرها، مكان يستضيف
ربد المجتمع ونجومه وبعض الضيوف الأجانب حيث يعمل حسام منير
الصديق شبه الوحيد لأحمد كمال . . يلتقيان يوماً بعد العمل لتمضية بقية
الأمسية حتى طلوع الفجر، مخلوقات ليلية منذ أمد بعيد، لم يكن حسام
شبه أحمد في الشكل، فحسام دقيق المعالم، أصلع يطيل الشعر المتبقي من
الخلف ويعقصه بأستك، ولا ننسى السكسوكة الصغيرة التي تُشبه هلب
المركب، كأنه لو تنازل عن إحدى التفاصيل لفقد إبداعه، يدها دقيقتان
كمشّط الجراح، صُنعت خصيصاً لأصابع البيانو، يرتدى نظارة نظر
صغيرة جداً وبطبيعة عمله يرتدى بذلة وكرافتة كل ليلة، يملك بذلتين فقط

و ٢٠ كرافتة من تشكيلة بوتيك " فوزي " بوسط البلد التي تبدو فخمة رغم رخص ثمنها ليبدو بمظهر جديد كل يوم . .

" Pianist " كما يجب أن يلقب ، غير متزوج ولا حتى مُرتبط إلى وقت قريب ، باستثناء بعض المرات التي تعرف فيها إلى واحدة أو اثنتين من مضيفات المطعم الملحق بالبار ، واللاتي لا تتعدى العلاقة بهن حدود الجسد ، فسرعان ما تنتهي بسبب الملل الذي يمارسه منذ الطفولة ، هوائي محترف ، لا تكاد عيناه تستقر على الشيء مرتين ، خاصة إذا أُجزلت إحداهن العطاء وسقته من رحيقها ، أو من الفتاة التي لا تفهم تلك الطبيعة المتقلبة وتفكر في الزواج ؛ فحسام لا يدخر شيئاً من مرتبه ، بجانب أمه المريضة في إحدى شقق باب اللوق ذات السقف العالي وإيجار الجنيهات السبعة ، حتى جاء اليوم الذي طلبه المتعهد المسئول عنه وأخبره أنه يريد في موضوع خير ؛ فقد كانت علاقتهم علاقة صداقة بجانب العمل ، وفتح في موضوع " كريستينا " ، تلك الفتاة القادمة من مولدوفا* مع طوفان الروس الذي يشبه هجوم النمل في فترات الصيف هرباً من الظروف الاقتصادية العسيرة . . أخبره أنه يريد أن يتزوج منها ، فهي محترمة ولا تعمل في شورا قصص ، عازفة هي الأخرى ، وسيكون هناك تفاهم ، وتحمل هي تكاليف معيشتها ، وفي الوقت نفس يُساعدها على الإقامة في مصر . . وقد كان . . قابلها حسام في اجتماع عمل ، ورغم معرفته بجمال تلك الشعوب فإنه لم يتخيل أن تكون جيناتهم الوراثية قد توصلت لمثل هذا الاختراع المسمى " كريستينا " ، بيضاء شفافة ، كستنائية الشعر ، ذات قوام رشيق ، لا يكاد يظفي عليها الماكياج شيئاً ،

(*) بلدة قريبة من روسيا منشقة عن الإتحاد السوفيتي السابق . .

ملرنها تحمل حُرناً دفيناً، وإن كانت تتغلب عليه بابتسامة ذات نغزات تُنسى
من تتكلم معه كل شيء، بإجليزيتها المنمّقة التي تحاول إخفاء لكتتها
الروسية بين حروفها، وتقع فريسة حرف "H" الذي يتحول إلى خاء
"أي دونت نو خاو؟"، تسكن في شقة مؤجرة تصلح استراحة له في أي
وقت.

وافق حسام بشرط أن يبقى معها شهراً على سبيل التعارف . . لكنه
وللمرة الأولى في حياته يشعر بالحب . . أحبّها حين فشل أن يسأمها، كانت
تختلف عن كل من عرفهن؛ فهي متحررة بسيطة تشعر بجمالها، لكنها لا
سعامل به من منطق الغرور، ففي نظره لو تعرف إلى فتاة مصرية بقدر الجمال
مسه لكأنت في منتهى السطحية، وأهم من ذلك كله لن تحاصره بأين كنت؟
ولا تتأخر ولن أنام حتى تأتي، طب اديني "ميسد كول" لما تيجي . .
الخ . . كما لم يكن حسام رغم الاختلاف الظاهر بينه وبين أحمد إلا أعز
اصدقائه، وكأنهم باختلافهم يكملون بعضهم البعض، اتّفقا معاً في النشأة
والمستوى الاجتماعي حتى فرقته الحياة، فتخرّج أحمد في كلية التجارة
ودرس حسام الموسيقى في كلية التربية، وتخرّج ولم يجد عملاً حتى طلبوا
عازفاً من مُتهد فنانين وكان صديقاً لأحمد وبدوره جاء بحسام، ، ،
أقرب أحمد من حسام ووضع يده كالعادة في فم البيانو، ليصنع درجة
شازلاً لا يلتفت إليها حسام لمعرفته بالوحيد المتميز بتلك الحركات
السّمجة . . .

أحمد: إيه يابني أنت بتعزف للحيطان؟؟

حسام: فيه اتين حبيبة أجنب ورا شكلهم بايتين عندنا النهاردة.

أحمد: أنا جعان موت ماينفعلش تخلع .
حسام: مستر مرجان هنا ومش طالبة قرف .
أحمد: طب أنا هنا عالبار بس الحجز .
حسام: ماشى بس ماتطلبش حاجة . . كفاية كُباية البرتقال اللي
اتدبست فيها المرة اللي فاتت . . هه .
أحمد: ورحمة أبويا لو جيت بيتنا مفيش حتى كباية مية ساقعة .
حسام: أنت لاقى تاكل أصلاً .
توجه أحمد إلى البار ليضع حقيبة الكاميرا وجلس بعد أن سلم على هاني
البارمان . . .

أحمد: إيه يا هنّ أخبارك إيه يا معلم؟
هاني: فل يا حبيبي، منور .
أحمد: شفت الواد النتن . . مش عايزنى أشرب حاجة عندك . .
هاني: شوية لما الكابل دول يمشوا هطلع لك عصير . . بيبس يا مان؟
أحمد: بيبس، بس تصدق إنك عايز تتصور وإنك وراك العك ده كله،
عشان تروح النار بليموزين .
هاني: إديني واحدة بورتريه توتالة بس تجيبها . . استنى .
وعدلّ هاني من وضع ياقة القميص ورتّب الزّجاجات أمامه وأخذ وضع
الكأجاروه إذا كان له وضع، ولم ينس وضع يده تحت ذقنه، ابتعد أحمد قليلا
وأحكم الكادر وأخذ له لقطتين واحدة قريبة والأخرى واسعة مع البار كله،
وما لبث حسام أن انزلق هو الآخر واضعاً يده على كتف هاني مُبتسماً بعد
أن حاول إضافة قرنين . . واختلس أحمد لحظة من عمرهما . .

حسام : معاك سجاير؟

ناوله أحمد سيجارة وأشعلها له : أخبارك إيه يا واد؟

شدّ حُسام نفساً طويلاً من السيجارة وذهبا معاً ناحية الزجاج ينظرون إلى القاهرة الغارقة في غُبارها المعتاد ، لا يظهر منها سوى رؤوس مبانيها الشاهقة المَطْلَّة على النيل . .

حسام : مش عارف . . . باين علياً هعمل حاجة مجنونة يا أحمد . .

نظر إليه أحمد بعين جاحظة : فيه إيه؟

حسام : كريستينا . .

أحمد : إيه . . حامل؟؟

حسام : يا أخي لأ . . هنتجوز . .

أحمد : أخيراً يا ابن اللذين . . أنا كُنت حاسس إنك مش هتكمل . .

اشمعى المرة دى؟

حسام : بجبها يا أحمد بجد . .

ردد أحمد بصوت ساخر قلّد فيه حسام : بجبها يا أحمد بجمض !! من

إمتى يله؟

حسام : لو إترىقت علياً مش هحكىلك حاجة . .

أحمد : خلاص ماتتقمصش كده الصلعة احمرّت . . ارغى . .

حسام : إنت عارف . . هي دى الدماغ اللي أنا عايزها ، وبعدين مين

هيوافق علياً بطروفي دى؟

أمى رجل هنا ورجل هناك والشقة أصحاب البيت حطّين عينيهم عليها ،

مستنين أمى تخلع والشقة تفضى عشان يبيعوا أرض البيت ، إنت عارف

قانون قديم وبإسم أبويا ومكانها جامد . . . يعنى كده كده بايظة . . . يا أحمد أنا
ماعرفش أكوى قميص لنفسي وبعدين أنا حبيتها أوى . . . ومش قادر أتخيّل
واحد تانى يلمسها . . .

أحمد : أشكّ إنها هتكوى قُمصانك . . . بس البت باين عليها جدعة
ومُعجبة بيك شوية وبعدين بصراحة أمّورة . . . مالهاش إخوان
صُغيرين؟

حسام : مُعجبة إيه ياخويا؟ شوية؟ يا ابني دى بتموت فيا . . .
أحمد : يا دكر . . .

حُسام : طب إنت عارف أوّل إمبراح جايبالى حتة بيرفيوم . . .
أحمد : يا ابني عشان ريحتك وحشة . . .
حُسام : إتلم . . .

صنع أحمد دائرة من الدُخان : مالى إيدك منها كويس؟
حُسام : البت كويسة وزى القمر وبعدين دى روسية بس من الفلاحين
بتوعهم ، زي عندنا بالظبط ، يعنى خام .

أحمد : بنت بنوت؟

حُسام : يا ابني أنا مايهمنيش الكلام ده . . . ماضيها بتاعها . . . المهّم هي
معايا دلوقتي عاملة إزاي . . .

أحمد : تبقى مش بنت . . .

حُسام : مُحكّ مقفل . . . يا ابني أنا هخليها حاجة تانية . . . هغيرها . . . هي
من دلوقتي اتغيرت أصلاً ، وبعدين احنا متفقين في كُل حاجة . . .
البت ما بترفضليش طلب . . .

ابتسم أحمد لما أدرك أنه قد ضغط على قلبه بشكل كاف ليرى الحب
طافحاً في عينيه . . لم يستطع كتم ضحكته التي انطلقت فضحكاً حسام على
انرها واحتضنه : مبروك يا قفل .

حسام : الله يبارك فيك يا وسخ . .

أحمد : هتسمى الواد على اسمي ؟

حسام : أحمدوف كمالو فيتش . . والله مش وحش . .

أحمد : هيطلع واد عبقرى . .

أخرج حسام من جيبه علبة كحلية ونظر يمينه وشماله ، ليتأكد أن أحداً لا
يراه : قوللى إيه رأيك .

فتح أحمد العلبة ليجد بها خاتماً ذهبياً متواضعاً : مبروك يا حس . . هي
تستاهل أكثر من كده كمان . .

في تلك اللحظة افتتح باب المصعد المواجه لباب البار وخرج منه رجلان
في العقد الرابع . . توقف الأول خارج الباب مشعللاً سيجاراً فخمماً ، يتمشى
مع بدلته الداكنة ذات الخطوط الرفيعة ، والقميص ذي الياقة العريضة
وأساور الكم المذهبة والساعة الضخمة في معصمه كعداد " جيجر "
الإشعاعي ، تعرف هذا الطراز من الناس ، المتأنق دائماً كأنه خلق بالبذلة ،
كرافة صارخة ، أبيض البشرة المشربة بحمرة النبيذ ، كثيف الشعر أحمره ،
عمشوق الجسم ، تليفونه المحمول حديث جداً ، قد يتصل بالستالايت ؛
ليعرف أسعار الورد في هولندا ، والطبق المقدم على العشاء في مطعم
باريسي . واسمه يجب أن يكون " عاصم " أو " شكري " ، تقدم الآخر الذي
يبدو مُساعده إلى أقرب مُضيفة وهمس في أذنها بكلمات قليلة ، أشارت إليه

بعدها إلى مستر مرجان مدير البار الذي اقترب من الرجل وتبادلا حواراً قصيراً، خرج بعده مستر مرجان في خطوات سريعة للرجل الواقف خارج البار ماداً يده قبل أن يصل إليه بمتريين تعبيراً عن ترحاب شديد . . . مال عليه الرجل وأخذه من كتفه وتمشى معه خطوتين ناحية المصعد يتكلم معه بصوت أقرب إلى الهمس قبل أن يسلم على مستر مرجان ويرحل . . . في اللحظة التي انغلق فيها باب المصعد خلف الرجل انتفض مستر مرجان كمن وضع يده على سلك كهرباء عارٍ، أسرع إلى الداخل ناحية مسئول الحجز . . .

مستر مرجان: طارق جهّز لي ترابيزة على الناييل فيو حالاً وماتستقبلش أي جيست، خلاص كده النهارده . . . فيه "VIP" جاي بعد ربع ساعة . . . يله . . .

طارق: أو كيه مستر مرجان كام جيست؟

مستر مرجان: اتنين ويمكن أكثر .

طارق: طيب والأجانب اللي جوّه؟

مستر مرجان: طارق . . . اتصرف، مشيهم، قولهم إن إحنا هنشطب . . .

طارق: أو كيه .

مستر مرجان على البار وكل العاملين يعطى تعليمات هنا وهناك؛ فتوضع الزهور على الجوانب ويأتي عامل لينظف الأرضية ويشرف بنفسه على وضع الترابيزة وما فوقها ويجلس على الكرسي ليُجره ويرش الإسبراي المُعطر ويكاد يفرش الأرض بالبقدونس لطلب الكباب الـ "VIP" القادم

بعد ربع الساعة؛ حتى وقعت عيناه على أحمد كمال الواقف مع حُسام،
وكانه عثر على صُرصار أمريكي مُجنَّح في طبق شوربة . .
فهم أحمد نظراته وسحب نفسه إلى الخارج في حين اعتلى حسام صهوة
البيانو . .

أحمد: هستناك في البلكونة برّه، هشرب سيجارة.
حسام: لو اتأخرت امشي إنت باين عليه جيست ثقيل وحيطول.
أحمد: هستناك.

خرج أحمد ووراءه العاشقان الأجانب وكل واحد منهما يضع يده حول
خصر الآخر .

دخل أحمد البلكونة واضعاً الكاميرا بجانبه، وأخرج من جيبه علبة سجائر
محلّية وأشعل سيجارة . .

مرت عشر دقائق حتى انفتح باب المصعد وخرج منه رجلان يرتديان
البدل الداكنة، تبرز من جوانبها فوّهات رشاشات جائعة، وبحركة تمثيلية
وقف أحدهما بجانب المصعد، ودلف الآخر إلى الداخل ينظر في الوجوه
ويتفحصها، كأن من يريد أن يفعل شيء سيكون مكتوب على وجهه، أو
يحمل في يديه الديناميت مُبتسماً، حتى بيانو حسام لم يسلم من نظرة سريعة
وخلف البار، حتى استقر عند الترابيزة الخاصة وأخرج من كُمه ميكروفوناً
صغيراً وأخذ يتحدث بشيء على غرار: " كله تمام، تم التأمين، وأمسكنا
بخلية إرهابية وألقينا القبض على بن لادن تحت الترابيزة" . . لم يكن أحد
ليلحظ أحمد الجالس في زاوية البلكونة المغلقة دائماً؛ ذات الباب المختفي

خلف الستائر الطويلة، والتي لا يدخلها إلا العمال لوضع الزهور في ذلك المكان الضيق أو لتغيير اللبسات المضيئة للبار . .

في هذا الوقت نفسه كانت كريستينا مستغرقة في قراءة رواية على ضوء الأباجورة كما اعتادت كلما تبقت لديها طاقة بعد يومها الشاق، واضعة القطن المشبع بالكريم بين أصابع رجليها الصغيرتين، بعد أن طلّت وجهها بحمام كريم أخضر داكن كأنها هندية حمراء، رافعة شعرها إلى أعلى وتعقصة بقلم رصاص؛ فهي تعرف مدى تأثير مظهرها على استمراريتها في العمل، فالموهبة وحدها لا تكفي في دنيا الرجال، فهي بجانب عملها ليلاً في الفندق تعمل صباحاً مترجمة في شركة سياحة، وكعادة البلاد التي كانت تسبح في فلك الاتحاد السوفيتي أيام مجده وقت الحرب الباردة وقبل سقوط سور برلين في ١٩٨٩، كانت تذكّرة الخروج من ذلك القفص الحديدي هي إجادة فن ما أو رياضة كالباليه والجمباز فلا أحد ينسى "فريق البولشوي" (*) أو "ناديا كومانشي"، عقلة الإصبع الرومانية المعجزة . . كان يتحتّم على أغلب الأسر تعليم أطفالهم أي موهبة تصلح طوق نجاح . . فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي لم ينبج من تلك المحنة الاقتصادية غير مُمتلكي المهارات الخاصة في الفنون أو الرياضات، فأخذوا يتسللون كجحافل النمل الهاربة من خرطوم مياه الحديقة إلى أي بقعة أمان، وكان الوطن العربي ملاذاً لكثير من هؤلاء، حتى من لم تمتلك مهارة كان جسدها كافياً ليكون سيارة الأجرة التي تضمن بها استمرار الحياة كسلعة رقيق أبيض للجلاليب البيضاء منتفخة الكروش في بعض الدول العربية، إلا أن كريستينا لحسن الحظ كانت تملك أصابعها، بالإضافة إلى جمالها الهادي، فاتخذت طريقها مع النمل الأبيض إلى الجنوب،

(*) فريق الباليه الروسي الأشهر على مستوى العالم .

واستقرت في مصر منذ ستة ونصف من العمل المستمر، لتوفر لأمّها وأختين صغيرتين مقومات الحياة . .

كان لقاء كريستينا الأول مُحسّماً في اجتماع مع متعهد الفنانين في الفندق، عندما كان يستعرض ما سيتم توزيعه عليهم من عمل، ظل حسام يرمّقها من خلف النظارة كجهاز أشعة X حتى انتهى الاجتماع، وافتعل الحوار المشهور، هل هذه هي أول مرة لك في مصر؟ هل ينقصك شيء؟ أنا في خدمتك، لا عليك نحن زملاء فن واحد، لا لا لا يجب أن تفاصيلني في الأسعار أنت لا تعرفين الباعة، بعد انتهاء العمل سأصطحبك إلى مكان رخيص جداً حتى لا يحدّك أحد. سأوصلك للبيت إنتى لسّه جديدة هنا، هاعزمك على أكله مصرية مش هتنسيها اسمها فول، لأ فول . . فول مش فيول . .

ورغم أن المتعهد هو من أقنعه بها ليكمل إجراءات إقامتها، فإنه من دون حتى الإشارة إليها كان سيمضى نحوها كالفلاح وراء النداهة . . في تلك اللحظة انقطع صمت الغرفة برنين موبايل كريستينا . .

حسام: إنتى لسه صاحية؟

كانت إنجليزيتها جيدة منذ عمل بأسوان في فندق كتاركت لمدة سنة . . وإن بدأ يتعلّم الروسية . .

كريس: وإن لسه في الفندق؟؟

حسام: فيه "VIP" جاي، أنا بكلمك علشان أقولك إنني هتأخر.

كريس: أو كيه . . أنا في البيت إذا حبيت تعدى، فيه أكل في التلاجة.

حسام: انتى نازلة بكرة الصبح في معادك.

كريس : الساعة ٨ .

حسام : لو لقيتيني جنبك إبقى صحينى ، عايز أقولك حاجة مهمة أوى .

كريس : حصل حاجة؟

حسام : لأ خالص . . وحشتينى بس . . فيه حاجة معايا ليكى كمان . .

كريس : إنت كمان وحشتنى . . جيتلى إيه؟

حسام : مش هينفع فى التلفون . .

كريس : أو كيه . . هصحبك بكرة معايا . . تيك كير .

حسام : أو كيه باى . .

أغلق حسام الخط وشبح ابتسامه يطل من بين شفتيه . . تحسس العلبة الصغيرة التي تستقر في جيب البذلة الأيمن المكتوب عليها دائماً مجوهرات فلان بميدان كذا كذا ، قبل أن يتخذ مكانه أمام البيانو في اللحظة نفسها التي انفتح فيها باب المصعد وخرج عاصم السيسى " صدق حدسي . . اسمه عاصم " ، الذي كان منذ ربع ساعة يتكلم مع مستر مرجان مدير البار ببذلته المقلّمة ؛ ولكن تلك المرة كانت تظهر عليه أمارات التبعية ماداً برجليه سريعاً ، ليُفسح الطريق لمن خلفه . .

تقدم مستر مرجان حتى باب المصعد ؛ ومد يده كعادته عند الترحاب الشديد قبل المصافحة بساعتين إلا ربعاً ، حتى خرج وأراحه من الانتظار محبى ذنون . .

سنة ١٩٥٦ لم يكن محبى ذنون سوى شاب في السادسة والعشرين ، ابن عطا لله ذنون صانع الجبس والمصيص الأقدم في مصر القديمة ، يمتلك ورشة على الطريق تنتشر أمامها عواميد رومانية وفرعونية ، سرر للسقف ، تماثيل

ملانكة ونافورات . . فنان بحق تتلمذ على يد خواجه يوناني ، ولم ينل تلك
الحبرة إلا بعد أن عاهد أستاذه على عدم البوح بأسرار المهنة ، حتى توفي
الخواجه ، وأصبحت لعطا الله ورشته الخاصة ، نحيل ، طويل كنجلة ، طيب
المعالم يمتلك ذكاءً فطرياً في صنعته ، ومعاملاته التجارية ، على الرغم من أنه
عبر متعلم . أتاه الله في الدنيا حرفته وابنه محيي ، وماتت زوجته نجية قبل أن
يأتي له بالعزوة في وباء الكوليرا سنة ١٩٤٧ الذي جاء من الهند مع جنود
الإنجليز إلى معسكر في التل الكبير قبل أن ينتشر كالريح في جميع أنحاء مصر .
ربى محيي يتيماً ، ساعد أباه إلا أنه لم يرث الصنعة في أصابعه ، فقط يصب
المخلطة ، ينظف القوالب أو يبيع ، ويعرف في قرارة نفسه أنه لم يخلق
للمهنة . . حتى بدأ فرار الأجانب واليهود من مصر تاركين " عمر أفندي "
وإخوته " بنزايون " و " عدس " و " هانو " و " شيكوريل " و " ريفولي "
و " سيدناوي " و " شمالا " للتأميم ، الذي حولهم تدريجياً من كبرى المحلات
الجارية إلى مجمعات استهلاكية . ولم تكن المحلات هي كل ما تركه
الأجانب واليهود عند رحيلهم من مصر ، إنما تركوا أيضاً قبورهم ! كل من
كان يسكن في مصر القديمة كان يعرف جيداً تلك المقابر الرخامية الفخمة
التي تحرسها تماثيل الملائكة الحزينة والعذراء والقديسين ، تلك كانت مقابر
الروم الكاثوليك واليهود بمنطقة " السبع كنائس " ، التي تأمت روحياً من
الزائرين الذين تركوا ذويهم ، ورجعوا إلى بلادهم بعد العدوان الثلاثي . .
بدأ الجوع في تفقد تلك الأضرحة وخلع كل ما فيها من رخام وتماثيل لبيعه ،
وبدأ الثراء يعم زائري القبور وعلى رأسهم محيي ذنون ، الأكثر نشاطاً ونهمًا
في عمله الجديد ، كأنه " هاورد كارتر " مكتشف مقبرة " توت عنخ آمون " ،

رغم رفض أبيه لهذا الشراء المبني على تراث الموتى إلا أنه اقتنع في النهاية بإعطائه مكاناً في المخزن لبيع الرخام . . . مرّت الأيام ومات أبوه وتولى محيى شؤون العمل ، وأول ما فعل أنهى صناعة الجبس والمصيص وتخصّص في الرخام ، وتطور الأمر إلى شراء ونش ومنشآت تقطيع ثم سيارات نقل وزوجة . . . ثريا . . . مفتاح التبادل التجاري وصلة ترابط مع فتحي قنديل ، حمّاه ، أحد أكبر تجار الرخام في المنطقة والأداة الأكثر تأثيراً لتحاشي منافسته ، تلك الزوجة التي تظهر كثيراً في الأفلام المصرية ، بنت شاهيندر التجار التي تكتشف أن زوجها قد تزوجها من أجل المصلحة ولكنها تفضل المضي في الحياة معه على أن تكون مطلقة ؛ فلم يعد أبوها هو الشاهيندر . . . أنجبت له " سعيد " و " كمال " في لحظتي صفاء . تعرف كثيراً عن حكايات زوجها مع السكرتيرة ونوال زوجة صديقه مأمون ، كما تعرف جيداً حجم خاتم الماس هدية كل علاقة جديدة ، إعرابه الصامت عن الأسف وتجنباً لنظراتها تجاهه ، فهو يعرف أيضاً أنها تعرف ، وكأن هناك اتفاقاً غير معلن على تبادل المنفعة ، فلم يتشاجرا كثيراً ، تعرف أنها باردة في أحضانه ولن تستطيع إشباعه ، وهو يعرف أنها أم الأولاد ولا غنى عنها . . . لم يتوقف طموحه عند ذلك حتى أصبح أكبر تاجر رخام في منطقة شقّ التعبان (*) وكانت الخبطة الكبرى عندما تولى تركيب رخام في قصر أحد باشاوات الثورة ، وطّد علاقته بذلك الرجل ذي السلطة غير المحدودة والذي استغل السيولة التي يملكها محيى ورغبته في الاقتراب من الرؤوس الكبيرة في مجلس قيادة الثورة والاتحاد الاشتراكي بعد ذلك ، وأقتنعه بالدخول في صفقة سلاح لتمويل الجيش في وقت الحرب .

(*) منفذ تجارى ومنطقة لتقطيع الرخام وتصنيعه . . .

ومن هنا بدأت المرحلة الثالثة في حياه محيي ذنون التي ابتدأت بسفره إلى الدول المصدرة للسلاح، وبتخليه تدريجياً عن مصنع الرخام، وتولى أبناءه المسئولية، أمضى خلالها محيي سبع سنوات بين ذهاب وإياب، تعلم الروسية والإنجليزية إلى جانب الإيطالية التي اكتسبها من تجارة الرخام مع إيطاليا، صاحب محيي خلالها الرؤساء والوزراء ورجال الأعمال وأغدق عليهم بكرمه الزائد الذي لا يخلو من رغبة في كسر عين من أمامه، ليكون عليه جميل قد يستردّه في يوم من الأيام. سهرات وهدايا وعلاقات لا نهاية لها، وانضم إليه سعيد ابنه لاحقاً كمساعد في شأن صفقات السلاح التي هزت بمحيي أبعد من الحدود فتفتحت أمامه الأبواب، وإن ظل يحاول إخماد نفسه عن الإعلام والصحف لكي لا يكون ذبابة كبيرة على نافذة راجية في وضوح النهار، يسهل اصطياها، فالحنكة أن تعمل في الظل، وكفي لأي مسئول كارت شخصي من محيي بيه، لتزال كل العوائق، فالكل يعرف أنه مسنود سياسياً ومالياً. هكذا تكونت إمبراطورية ذنون التي احتلت مكانة الكبد في جسد النظام، وورثها النظام الجديد كما ورث السيارات الفخمة والخدم والقصور، يشهد عليهم ساكنو القبور التي عبرت، ليتغطى محيي وأمثاله.

قبل فتح المصعد بخمس دقائق كان أحمد في البلكونة يطفئ السيجارة الثانية وهو يخرج الكاميرا من الحقيبة ويركزها على تلك الحفلة الطافية فوق النيل، زفاف وموسيقى صاخبة لا يسمع منها غير الهفيف. بضعة أجسام، أبواب لامعة تتراقص مستعرضة تضاريسها مجاملة للحضور، وفي الوسط العريس المتصبب عرقاً والعروس المنهكة، وأحد المعازيم الذي ينفرد بجيبته

بعيداً عن الصخب، ممسكاً بوردة وآخذاً في صب العسل في أذنها، مروراً بكوبري قصر النيل بعشاقه وبياعي مناديله، ثم الفندق المواجه الذي يهوى عشاقه ممارسة الحب والنوافذ مفتوحة على النيل؛ لكي يذكروا لأحفادهم أن بذرتهم قد أُلقيت على ضفاف النهر العظيم. . كل ذلك يرصده أحمد بعدسته ويسجل ما يستحق منه؛ ليستقر في جوف الكمبيوتر في المنزل، عنده عدد من صور المراكب النيلية بعشاقها وعدد لا بأس به من الانفراجات الصحفية، على غرار مرور موكب رئاسي، وتصويره لرئيس الوزراء في حفل زواج ابنه، وخناقات وحوادث، مع بعض لقطات له مع مطربات لبنانيات، ولا ننسى اللقطة الأكثر شهرة مع "عمرو دياب"، التي تحتل مكاناً مميّزاً على الحائط في غرفته، يبدو فيها "عمرو دياب" وهو ممسك بالميكروفون يُغنى مُنهمكاً، واضعاً يده على كتف أحمد الذي بدا سعيداً بابتسامته التي تبدأ من الأذن للأذن، إلا أنه مُغمض العينين. .

داخل البار صافح مستر مرجان "محمود المليجي" بجمرة مؤكداً على أن فلسطين للفلسطينيين ومصر للمصريين وأوغندا للأوغنديين؛ وأكد أن قواتنا المسلحة هي درع الأمة الواقية. .

نعم محمود المليجي، فلو لم يكن محبى ذنون رجل أعمال لكان دوبليراً لمحمود المليجي ولكنه أطول قليلاً؛ نفض يده من مرجان ودخل في خطوات واسعة متحفرة للبار، محاطاً بعاصم السيسي سكرتيره والحارس الشخصي الذي كان عند المصعد. . لم تنقض دقائق بعد أن استراح محبى على ترابيزته وأخذ يطالع تليفونه وهو يضع نظارته الرقيقة على أنفه حتى انفتح باب المصعد ليظهر منه هشام فتحي، الذبابة الكبيرة على نافذة النظام. كان هشام

رجل أعمال من الوزن الثقيل هو الآخر ، أمضى جزءاً كبيراً من حياته بين بوكيلات السيارات والمقاولات حتى اعتلى السوق ، وأصبح من أسمن القطط على السجادة الاقتصادية ؛ ظنّ نساء أو زير نساء كما يقولون ، تطوّر الأمر إلى تصويرهم بالفيديو للاحتفاظ بأعجاب فراشه ، تزوّج من رضىت بالزواج العرفي ، ورافق في السر من أقنعتها الصّحبة فقط من الفنانات والراقصات اللاتي كان ينتهي عقدهن معه بالسيارة موديل السنة . يهتم كثيراً بنسبة الفسفور في دمه من خلال الفيتامينات المستوردة ، ويسندها بالحبات الزرقاء والجمبري والإستاكوزا ؛ ليظل على كفاءته في الأداء ، سكير من الدرجة الأولى ، سمين عصبي ووسيم ، يحمل قسمات التركي الأرسقراطي ؛ فهو لم ينشأ مثل محيى ذنون في ظروف كادحة ، إنما ورث نروته عن أبيه ، وكان ذلك من عوامل النور التي ضربت العلاقة بين الاثنين ، بخلاف التنافس في البورصة وشراء أسهم الشركات ، كل ذلك لم يكن ليعكّر صفو النظام ، حتى جاء اليوم الذي شعر فيه هشام فتحى أن حصّة المتفعين قد بلغت المدى الذي أصبح معها يعمل لحسابهم وليس لحسابه ، فقرر أن يخصم من نسبتهم تدريجياً معتمداً على حجة السوق الرائدة والاختلاسات ، فوضع نفسه تحت المجهر ، وتمت مراقبته تليفونياً ونسجّل كل ما يتفوه به في عمله وبيته وحتى مع عشيقاته ، إلى أن تلقى إنذاراً على يد فنانة اتهمته بالتعدي عليها ، ثم قضية حيازة خمور مهرّبه في محاولة لإعطائه ضوءاً أحمر ، إلا أن الصراع اتخذ لديه شكلاً من أشكال العناد ، متخذاً من إمبراطوريته درعاً ظنّ أنه سيقيه ضربات السلطة ، خاصة بعدما قابل وجهها القبيح ، وكانت الضربة قاسية عندما داهمت قوات

الشرطة فيلته لأول مرة، ووجدت أرشيف أشرطة التسجيلات العنترية التي يحتفظ بها، وهنا أدرك خطورة ما تفوه به مع إحدى ساقطاته على أحد الأشرطة؛ مما زاد من تحبطه وعصبيته، حتى جاء اتصال من سكرتير محيي ذنون يطلب مقابله عاجلة. . . وقد كان. . . خرج هشام فتحي من المصعد وهو يتكلم في تليفونه المحمول؛ وقف أمام باب البار ببذلته السمينة وكرافته الزرقاء المقلّمة وساعته الذهبية ذات معصم جلد التمساح، بدا متأنقاً بشعره الناعم وخصله البيضاء المتسللة بين السواد كأصابع البيانو، التي يعتبرها سرّاً من أسرار جاذبيته، على عكس مسلسلاتنا المصرية التي لا يشيب فيها الممثل إلا على تصفيفة شعر "عبد الناصر"، وتمرّض المثلة بالكبد والملازيا وحمى النفاس وتتلقى رصاصتين بين عينيها، وتبقى كاملة الماكياج حتّى في فراش الموت!!

أطال هشام فتحي عمداً في عمر المكاملة مستمتعاً بانتظار غريمه، سياسته المتبعة دائماً مع عملائه ومريديه وحتى في علاقاته النسائية، وخاصة في حالة يدعوه فيها محيي ذنون لمقابلته، فهو يعرف مُسبقاً علاقته بالنظام، وفي قرارة نفسه قد أنهك من مُعادة السادة؛ لذا يداهمه شعورٌ خفي يشبه انتظار مكاملة من أب طرد ابنه من البيت يدعوه إلى العودة. . . ترجّل ببطء إلى باب البار ووقف يتأمل محيي الذي كلما نظر إليه تعمد الإشاحة بوجهه وهو يتمتم بكلمات مبتورة على غرار أنه لن يتنازل عن خمسين مليوناً في تلك الصفقة، وأن الأسهم في البورصة في صعود، وأن البنك سيقبلّ يده، ليفتح لديه حساباً. . .

ووضع محيي نظارته ونظر إليه ثم نظر في ساعته موضعاً أنه ليس لديه
البلبل كله لسماع مكالماته ؛ حتى رفع هشام يده من بعيد معتذراً وأغلق
المنفونه واقترب من ترابيزة محيي ذنون : محيي باشا آسف والله الواحد إذا ما
ثانش يعمل كل حاجة بنفسه مفيش حاجة تمشى . . نهض محيي في ثقل
الدلة المتزعزعة ومد يده لهشام الذي سلم عليه وأخذه بالحضن في مودة
. . بلنعة : والله واحشنى . .

محيي : هشام بيه عاش من شافك . .

هشام : مشاغل والله يا محيي بيه . .

محيي : أخبارك بتوصلنى دائماً . .

هشام : يا باشا بعض ما عندكم ، نار على علم . .

جلس الاثنان بعد المجاملات السخيفة وجاء مستر مرجان بما لذ وطاب ،
ولو كنا في عصر الجوّاري لنادي لهم الجارية كهرة لئسليهم ، في حين
لمس كل من الحرس الشخصي للاثنين على البار ، كان حسام ينقر البيانو
بملوعة هادئة تحفظها أصابعه . . لفتت الحركة بالداخل نظر أحمد في
البلكونة فأخذ ينظر بالزوم إلى الترابيزة التي تحمل كل تلك الثروة . .
اللبسهم وتليفوناتهم وساعاتهم وشفاهم وهى تتحرك متخيلاً حديثاً لن
مات بين الاثنين . .

محيي : شفت الولد الفنان اللي واقف في البلكونة ده؟

هشام : ولا فنان ولا حاجة ده حته واد مصوراتى بتاع أفرح .

محيي : بص مسكته للكاميرا تدل على عبقرية فذة . .

هشام : أنا مش عارف إنت عاجبك فيه إيه؟ ده كل الموضوع إنه زى القمر وشبه عمرو دياب .

محى : طب تراهنتي إن الولد ده لو معاه فلوس هيكسر الدنيا؟

هشام : أراهنك .

محى : أنا هدفع له مليار جنيه وإنت مليار جنيه ونشوف هيعمل إيه .

هشام : وإذا ما عملش حاجة .

محى : المسامح كريم يا هشام بقه هو مليار جنيه دول حاجة .

كانت هوايته المفضلة، السباحة في أحلام اليقظة التي ينسى فيها همومه ومشاكله، يتزوج بأجمل نساء هوليوود، ويدخل في مشاحنات مع من يضايقه تنتهي بإفحامه أمام الناس، يركب أجمل السيارات ويجد مليون جنيهه على الرصيف، يتحدى بطل العالم في الملاكمة ويهزمه ويمتلك فندقاً باسمه "انتركونتيننتال أبو كمال"، ويقضى صيفه في الريفييرا وهو لا يعرف مكانها!! عدل أحمد من وضع الكاميرا وضبطها على التصوير بسرعة بطيئة؛ ليتجنب استعمال الفلاش، وأخذ يختلس صوراً مُقربّة لساعاتهم وتليفوناتهم الفخمة وتعبيرات الأيدي والوجوه التي بدت ودودة من الخارج، إلا أنها من الداخل كانت مملوءة بعلامات الاستفهام والترقب . .

هشام : أخبار البيزنس إيه معاك يا باشا؟

محى : هتسمع أخبار كويسة قريب، إنت أخبار القضية بتاعتك إيه؟

ظهر على هشام عدم الارتياح للسؤال: إن شاء الله خير . . البت دى أصلها مدسوسة واللى وراها أنا عارفهم كويس . . وبعدين دى شوية

نوشرة وإنت عارف الجرايد . . إحنا أخبارنا أفضح من نجوم السينما . . لو
واحد عطس في القاهرة يقولوا في أسوان يرحمكم الله . .

محمي بسخرية: لأ أنا قصدي قضية الخمرور .

قال هشام وهو يشعل سيجاراً: دى كمان متلفقة هو فيه حد ما يبشر بش
خمره؟ وبعدين دى حرية شخصية، الناس الحاقدة كثير يا محمي بيه،
أهو ده اللي فاضل كمان يبصولنا في الكاس . .

محمي: ربنا يقويك يا هشام باشا . . ثم نظر في ساعته: اعذرني إذا كنت
مش هقدر أطول معاك لأن عندي ميتنج الصبح ولازم أنام
بدري . .

هشام: أنا تحت أمرك .

محمي: إيه الموضوع المهم اللي إنت عايزني فيه؟

هشام:؟؟؟ أنا اللي عايزك؟ محمي بيه أنا جيت هنا بناءً على رغبتك!!

محمي: أكيد إنت بتهزّر!!

كان باب المصعد الداخلي النازل من المطعم الدوار قريباً؛ فالنازل يجب
أن يمر من البار الذي يُعتبر دوراً سحرياً قبل النزول المباشر من الدور
الأربعين إلى اللوبي . . انفتح المصعد ليفرغ حمولة من ثلاثة في الوقت الذي
مساعدت فيه علامات الاستفهام كبالونات الهليوم من الترابيزة الوحيدة
المشغولة بجانب الزجاج . . خرج من المصعد ثلاثة رجال مفتولو العضلات
بدل وكرافات سوداء، تعبيراتهم خالية من الانفعال . . أخرج أحدهم
سيجارة وأشعلها له الآخر أمام المصعد، وأخذ الثالث يتلصقاً بجانب النافذة
ناظراً إلى النيل ملتصقاً بالزجاج . . قام إليهم أحد الحراس الشخصيين

الجالسين عند البار وتبعه مستر مُرجان، ليوضّحا لهما في هدوء أنهم غير مرغوب في وجودهم حالياً عندما انفجرت فجأة الأذن اليسرى للحارس الشخصي وهو يتكلم آخذاً جزءاً من جمجمته للذكرى، هوى بعدها على الأرض كالمكواة، بعدها حدث كل شيء بسرعة، لم يكن ما أقع أذنه بالتخلي عن رأسه سوى طلقة خرجت من مسدس كاتم للصوت من المتلكئ الذي كان منذ لحظة هائماً في منظر النيل بجانب الزجاج، في حين أخرج الاثنان الآخران مسدساتهما واستقرت طلقاتهما في صدر مستر مرجان، الذي تراجع بعنف وسقط على رقبته فوق كرسي البار سقطه قد تكون هي سبب وفاته وليست الرصاصة، سقطه كقيلة بإيقاظ رد الفعل المتأخر للحارس الآخر الجالس على البار، الذي أخرج مسدسه وأطلق طلقتين، أصابت إحداهما باب المصعد والأخرى استقرت في الجانب الأيمن للمهاجم الواقف بجانب النافذة، قبل أن تعاجله طلقتان من اتجاهين مختلفين في صدره وعنقه من الرجلين اللذين تفرقا في اتجاهات بدت محترفة ومدروسة. . اتجه أحدهم للبار؛ والآخران إلى الترابيزة التي قلبها هشام فتحي وأخرج مسدسه الكولت الفضي وأطلق على أقرب المهاجمين الذي بدا قائدهم رصاصة أطاحت بنسيطة من كتفه، قابلت في طريقها رصاصة استقرت في وجهه، فوق فمه مباشرة، أسقطته على ركبتيه وانكفاً على وجهه الذي تغيرت معالمه تماماً، وأخرى أفلتت، لتمر من الزجاج، وتطير في الهواء بجانب أحمد الذي كان ضاعطاً على زر موتور الكاميرا، وهي خاصية تجعل التصوير متواصلاً لا ينقطع إلا بترك زر الضغط، لا يستخدمها إلا في المناسبات المميّزة، فهناك من اللحظات ما لا يحتمل التأخير ثانية واحدة. .

منذ سقط الحارس الأول ضغط أحمد بأعصابه على زر التصوير ولم
يرفعه، مُسجلاً آخر لقطة في حياة هشام فتحي حتى مرّت الرصاصة بجانبه،
فاصابت أذنيه بأزيز أعقبه صمم مؤقت جعله يفيق من تركيزه في منظار
الكاميرا؛ لئتملكه الرعب من أن يلحظ أحد وجوده، سحب حقيبة الكاميرا
والنصق بالحائط، في اللحظة التي كان فيها المهاجم الثالث يُسقط البارمان
الذي ركض إلى الحمام، بطلقتين في ظهره، وتوجه إلى حسام الذي وقف
متسماً خلف البيانو، نظر في عينيه للحظة بدت كساعة زمن، ثم رفع فؤوه
مُسدسه ناحيته في اللحظة نفسها التي حوّل حسام نظره ناحية الشرفة التي
استقر فيها أحمد، باحثاً بمقدتيه عن الأخير الذي اختلس نظرة حذرة بنصف
وجهه التقت فيها أعينهما لثانية، أغمض بعدها حسام عينيه، وتلقى
رصاصة استقرت في شطر وجهه الأيسر، اخترقته وكسرت الحائط الزجاجي
المملوء بالمياه خلفه الذي انفجر محدثاً صوت تفريغ هواء، واندفع الماء
دالفيضان فوق حسام الذي سقط منذ لحظة، تلقى أحمد دانة مدفع في قلبه
معلته يجلس القرفصاء، موجهاً ظهره للحائط لا يشعر بغير تنميل في
وجهه، وبرودة غير عادية تسرى في أطرافه. . لم يعد هناك في البار غير
ملارق مستول الحجز، الذي سقط الآن بجانب المصعد الخارجي منذ ثانية
واحدة برصاص المهاجم الثاني، وأحد الويترز احتُجز في المطبخ. . ومحيى
دون الذي اقترب منه المهاجم الذي أرى هشام فتحي منذ لحظات، صانعاً
بركة من الدم حولت بدلته السمينة إلى بذلة إعدام. . صوّب مُسدسه إليه في
صمت، منتظراً صوت آخر رصاصة جاء صوتها من ناحية المطبخ لتستقر في
الويتر المحتجز، ثم أطلق ثلاث رصاصات مدروسة على رُكبة محيي، سقط

على أثرها صارخاً مُمسكاً بركبته . . رغم عمله في تجارة السلاح فإنه لم يحمل مرة ما يدافع به عن نفسه . . ساد الصمت إلا من صرخاته الملتاعة . . اقترب مهاجمه وأمسك بوجهه وهمس في أذنه اليسرى ببضع كلمات غير مسموعة ، سكت على أثرها محيى إلا من شهيق وزفير مسموعين وأنصت جيداً ، حتى انتهى الآخر من كلامه ، فرمقه بنظرة ملأها الدهول ثم ارتمى على ظهره وأطرق بنظره إلى السقف الذي بدأ لونه يتغير تدريجياً إلى الأسود ، قبل أن تغيب الأصوات من حوله ، كل ذلك لم يأخذ أكثر من دقيقة أضاءت الرصاصات سقف البار فيها بتتابع بدا كأضواء حفلة ، رآها أحد الجالسين على الكوبري وقال لصاحبه : ناس عايشه حياتها بابا . .

أخذ القتلة الثلاثة يجمعون أسلحة الضحايا في كيس بلاستيك أسود ، عدا سلاح هشام فتحي الذي أطلقوا منه عدة طلقات على أماكن متفرقة من الحوائط ، قبل أن يرجع ليد صاحبه الباردة مرة أخرى . .

مسحوا أسلحتهم في سرعة ورموا بها بجانب أيدي الجثث التي كانت منذ قليل تنفس وتحلم . .

جر جر أحدهم الويتر الذي كان بالمطبخ وأخرجه أمام البار ، وضعه أمام باب المصعد ليظل مفتوحاً مانعاً أحداً من النزول ، وأخذوا تليفون هشام ، ونظروا نظرة أخيرة إلى البار قبل أن يتلعمهم سلم الطوارئ . . بكل المقاييس لم يكن أحمد كمال في وعيه ، لم يكن قد تحيّل بعد ما حدث ، كل ما كان يحرّكه هو حب البقاء ، حتى عندما صورّ جزءاً مما حدث ، لم يكن يرى سوى ألوان تتحول إلى أحمر ، شلّ تفكيره تماماً . . حاول الوقوف مستنداً إلى حائط البلكونة بجانب بقع الدم على الزجاج التي أخذت تتشال في لزوجة

وانار اختراق الرصاص . . لمح يد هشام فتحي وإحدى أصابعه تهتز من أثر
 نهرباء باقية في أعصابه بدت كإشارات موريس ، لم يكن يسمع سوى
 صوت أنفاسه المتلاحقة . . رعشة شديدة ألّت بيده اليسرى ، وضربات قلبه
 مرجت عن حيز السيطرة . . مضت دقيقة ربما اثنتان حتى تمالك نفسه قليلاً
 واقترب من الزجاج . . وجه العدسة لأسفل ، وأخذ لقطه متسللة ثم سحب
 يده ونظر إلى شاشة الكاميرا ، فلم يجد إلا كرسياً مقلوباً وجزءاً من جسد
 هشام فتحي ، ففعلها مرة أخرى ووسع زاوية العدسة لتلم بتفاصيل أكثر ،
 ووضع الكاميرا أمام الزجاج ، وأخذ لقطه وسحب يده ونظر فلم يجد سوى
 فوضى تأكد منها أن كل شيء قد سكن ، فتح باب البلكونة في حذر وأزاح
 الستار ببطء ، ليجد جثة "عاصم السيسي" سكرتير "محيي ذنون" تسد
 طريق الباب بجانب الستارة ، ممسكاً تليفونه وثلاث بقع حمراء تُزيّن بدلته . .
 أمرّك أحمد بحذر إلى داخل البار فلمح صديقه من بين أرجل البيانو ، تملكته
 رعشة وهو يتّجه إليه ، لكنه أشاح بوجهه حين اقترب من فضاة المنظر . . لم
 يكن يملك مُتعة البكاء وكاد يتعثّر وهو يتتعد مُحاولاً الحفاظ على أنفاسه
 الملاحقة ، لم يلحظ معها محيي الذي كان قد فقد كمية كبيرة من الدماء
 وذهب عنه وعيه ، فاتّجه إلى المصعد المسدود بجثة الحارس الذي كان يقف
 مانه ، وهم أن يستقلّه لكنّه رجع وأخذ لقطه مجمّعة للبار ثم ضغط الزر
 حتى انفتح باب المصعد ، ولحسن الحظ كان فارغاً ، فقفز فوق الجثة ،
 وحاص بداخله ضاغطاً على زر "LL" الذي يعنى اللوبي قبل أن يستوقف
 المصعد لحظة واضعاً رجليه أمام بابه عندما رأى صندوقاً أحمر صغيراً مكتوباً
 عليه بالإنجليزية "Alarm" وتحتها "اكسر الزجاج في حالة الحريق" ، سدّد

للصندوق لكمة بكوعه كسرتة ، فارتج المكان بصوت سرينة عالية متقطعة ، وانطلقت نافورات المياه من السقف . . وابتلعه المصعد متهاوياً به تهاوى الدم في عروقه إلى رجليه . .

أخرج ديسك الكاميرا ورفع بنطاله ودسّه في جورب رجله اليمنى . .
في نصف المسافة ؛ ضغط كلمة " Restaurant " ليتوقف المصعد بالدور الثالث ، ويخرج إلى المطعم اللبناني مكماً طريقه على السلم ، حتى خرج من الفندق واندس بين زحام المارة المتطفلين ، وأصوات سيارات المطافئ، تقرب ؛ وإضاءتها الحمراء تلمظ وجوه الذين وقفوا يبحثون بأعينهم عن حريق أو حادث يصلح نادرة يتحاكون بها على المقاهي . .

.....

لرب الفجر من الليلة نفسها توقفت سيارة مرسيدس سوداء أمام عمارة
البنية بالمعادي . . كانت السيارة ثقلاً ركبياً واحداً، نزل منها يحمل حقيبة
رياضية . . لم يكن ذلك إلا أحد الثلاثة الذين صنعوا بركة من الدماء منذ
ساعات قليلة . . قائد المجموعة الذي أوردى هشام فتحي وأصاب محيي
دمون في ركبته، بعدما بثه تهديد في أذنه يحثه على الرحيل . . بدا مرهقاً لا
يحمل ثقل الحقيبة على كتفه المصابة من رصاصة هشام فتحي . . فنقلها إلى
العنف الأخرى وأشار إلى السائق قبل أن يرحل: بكرة بدري يا خليل ما
بأخرش . .

خليل: تعليمات سيادتك الساعة كام؟

أجابته: الساعة ٩ تكون عندي هنا . .

خليل: ٩ إلا ربع بالظبط هكون قدام العمارة سيادتك . .

رفع يده بتحية وأولج مفتاح المدخل وصعد الدور الثالث . . في مرآة
المصعد أخذ يتأمل وجهه . . عيناه الغائرتان وشعره القصير . . لونه الخمري
ومظام وجنتيه العريضتان . . أنفه الحاد وملامحه الجامدة كالصخر، لا تعبیر
فيها . . جبهته البارزة في استقامة تظلل عينيه التي لا يصل إليها نور فتبدو
مظلمة . . بنيته الرياضية وقبضته التي تحمل كمية لا بأس بها من الندبات . .
أعلن المصعد نغمة وصول . . انفتح الباب . . أولج المفتاح بهدوء
محاولاً عدم إصدار أي صوت . . كانت الشقة فاخرة أنيقة . . دخل على

أطراف أصابعه في الظلام . . وضع الحقيبة وخلع جزمته عندما سَمِعَ صوتاً
من عُرفة النوم : طارق؟؟

تنهَّد بضيق : أيوه يا سُميَّة . .

لم ينتظر إجابة . . اتجه إلى عُرفة النوم . . كانت زوجته جالسة على
الفرش تقرأ . .

كتاباً عن السنوات الأولى للطفل . . بيضاء جميلة في قميص نومها الستان
الأبيض . . شعرها كستنائي داكن مُسترسِل . . رقيقة أميل إلى البدانة مُتفخخة
البطن في شهرها الخامس من الحمل . . نظرت إليه عندما دخل العُرفة ثمّ
دفنت رأسها ثانياً في الكتاب : فيه عشا على تراييزة السُفرة برّه . .

لم يُجيبها . . خلع شرايه وفك قميصه برفق لكي لا يُحرّك الضمّادة التي
تُحيط الجرح في كتفه . .

لاحظت سُميَّة الضمّادة بطرف عينيها : إيه اللي حصل ؟

طارق : جرح في الشغل . .

انتابها إحساس بالذنب من تجاهلها المُتعمد : جرح جامد؟؟

طارق : يعنى . . مش أوى . .

سُميَّة : تدريب برضه؟ آه والا صحيح أنا ماليش حق أعرف . .

طارق : ما تبتديش . .

سُميَّة : بلاش أسألك؟؟

طارق : أسألي من غير استفزاز . .

سُميَّة : عارف إمتي آخر مرّة جييت بدرى؟

جزَّ طارق على أسنانه : سُميَّة أنا مش فايق . .

سُمِيَّةُ : من شهر . . طب عارفِ إمتى آخرِ مرّةٍ اتعشّيتِ معايا . . خرجتِ معايا . . نمتِ معايا . .

طارق : مش هردُ عليكى . .

سُمِيَّةُ : مش هتفرق كثير . . هو انتِ أصلاً بتهتم؟؟

طارق : واللهِ إنتى اتجوزتِنى وإنتى عارفةِ أنا بشتغل فىن . .

سُمِيَّةُ : آه . . بس ما أعرفش إني هعيش لوحدى بين أربعِ حيطان . . ما

أعرفش إني هفضل أحسن معاد رجوعك . . ما أعرفش إني

هعيش مُطلّقة مع إيقاف التنفيذ . . إتجوزتِنى ليه أصلاً؟؟

طارق : إنتى مستتيانى عشان تقولى الكلمتين دول . . قُلتك ميت مرّة

ظروف شغلى صعبة وإنتى عارفة . . ما أقدرش أتكلّم عنها مع

حد . . مواعيدي صعبة أنا عارفِ بس هعملِ إيه؟ أستقيل وآجى

أقعد جنبك ننقى رزّ؟

سُمِيَّةُ : واللهِ يبقى أحسن . . بنتك والا ابنك اللي فى بطني ده مش

هيلحق يعرفك . .

طارق : ما تكبريش الموضوع . .

قالها وترك الغُرفة وإتجه إلى الحمام . .

سُمِيَّةُ : ما تسيبنيش أكلّم نفسي . . كفاية إني كده لوحدى بقالى

يومين . .

لم يُجبها . . أغلق باب الحمام عليه . . فتح المياه الساخنة وظل ينظر إلى

مسه فى المرأة حتى تصاعد الدُخان الساخن أمام وجهه . . كان يبدو أكثر

شاقة بالفانلة الداخلية الحّمالات . .

طرقت سُمِّيَةَ الباب : طارق . . أنا هروح عند ماما بكرة . . لما تبقى
نفضالى إبقى تعالى خُدنى . .

أحنى رأسه في الحوض وأغمض عينيه تاركًا الماء الساخن ينثال عليها . .
كان يستعيد تلك المذبحة التي نفذها منذ ساعات . . لم تكن المرة الأولى التي
يُنهى فيها حياة إنسان . . يرى نظرة الموت في عينه . . يشعر بالألم يعتصر
ضحكته من أثر المقذوف الساخن الذي هتك أنسجتها وأعضاءها واستقر
ليستنفد أسباب الحياة منها . . تلك الرعشة . . رعشة الذبيح في نزعه
الأخير . . تلك الحشجة . .

إلا أن شعورًا مختلف كان يتسلل إليه تلك المرة . . إحساس شديد
بالذنب . . كم برئ قتل اليوم مُقابل هدفين مطلوبين فقط . . كانت الأوامر
واضحة . . الكل . . لا مجال لشاهد واحد . . نفذ الأوامر وبعدين
نتجادل . . نفذ وبعدين نتكلم . . ده أمر . . أمر . .

قضى خمس دقائق في تلك الوضعية . . يتأمل وجهه لم يعد يعرفه . . خرج
بعدها ؛ ليجد سُمِّيَةَ قد أطفأت النور وأدارت ظهرها ناحيته . .

رفع الغطاء ودس نفسه بجانبها . . ظل مُستلقيًا على ظهره للحظات ثم
مال ناحيتها . . احتضنها من الخلف ولامس بطنها المُتفتخ براحة يده . . لم
تُبد مقاومة . . وضعت يدها فوق يده . . أغمضت عينها وظلت دموعها
تُبلل مخدتها حتى نامت . .

.....

قبل شهرين من مذبحه البار . .

في ليلة باردة من ليالي فبراير دوى صفير متقطع لجهاز اللاسلكي فوق
المكتب العريض في غرفة مصطفى عارف ، في ذلك المبنى الهادئ في أطراف
المدينة .

نشئت : مصطفى باشا . .

مصطفى : اتفضل . .

نشئت : وصول يا فندم باب ٢ . .

مصطفى : مع الشكر . .

التقط سماعة التليفون وانتظر ثانيتين : دَخَلَ الضيف على طول على
الاشا وهات الملفات اللي حضرناها وتعالى قدام مكتبه بسرعة .

وضع يده على زر في أقصى اليسار من أعلى التليفون وانتظر أربع ثوان :
صفك وصل يا باشا . . حاضر يا باشا . . حصل يا باشا . . نبهت عليهم
على البوابة . . دقيقتين بالضبط يا فندم . . اتفضل يا فندم اتفضل . .

أغلق السماعة وهروا يلتقط الجاكت من خلف الكرسي الجلد الكبير
نمت صورة البور تريه العتيق وأغلق تليفونه المحمول ، ضيق ربطة عنقه
السترخية ووثب ناحية الحمام الصغير الملحق بالمكتب واطمأن أن شعره لا
يـال نائماً فطبطب عليه وتأكد من اتجاه حواجبه ، وربت على كرشه محاولاً
مشر ما تيسر منه داخل بنظونه ، ثم خرج للطريقة التي هب فيها شاب

حليق الرأس واقفاً ورفع يده بالتحية . . مشى بضع خطوات على السجادة الحمراء تحيطه الجدران البيضاء ذات الإضاءة الهادئة ، وكلما مر بباب هب من عليه رافعاً يده بالتحية فيرد عليه بأخرى فاترة ، حتى توقف عند باب في آخر الطرقة مشيراً إلى الشاب الذي انتفض كعفريت العلبة أمامه : ماتدخلش علينا غير لما أناديك ، اجرى دلوقت حضر شاي وقهوة مطبوطة وحاجة ساعة عشان مش هنستنى لما تعمل . . يالله .

الشاب : أوامرك سعادتك . .

وركض الشاب إلى البوفيه بجانب المكتب ، نظر مُصطفى في ساعته فإذا هي الحادية عشرة والربع مساءً . .

بعد لحظات انفتح باب في الاتجاه الآخر من الطرقة ؛ ظهر منه زميل يُشير بعلامة الترحيب إلى من خلفه . . لحظات حتى ظهر عادل نصّار . .

يمشى ذلك الرجل وكأنه بلا أرجل ، لا تكاد تلاحظ حركة في نصفه الأعلى . . جسم رياضي عريض رغم السن التي تخطى الستين . طويل ، رأسه أصلع كالقرع العسلي مزينة ببقع السن البنية ، كثيف شعر جوانب رأسه المصبوغ مع شاربه حتى الثمالة ، أنف حاد وذقن عليها طابع حسن غائر كطعنة مفك صليبية . . وثب مصطفى سريعاً عندما ظهر الضيف ، أخذ الطرقة الطويلة في أربع خطوات متعمداً أن يراه الضيف وهو يببالغ في الترحيب . .

مصطفى : أهلاً يا فندم منور الإدارة سعادتك . .

ومن دون أن يتوقف تلقف عادل نصّار يد مصطفى المرتعشة وهو يمشي

بجانبه : أهلاً يا مصطفى إزيك؟

يا له من صوت يغار منه يوسف بك وهبي إذا سمعه . .
مصطفى : كله تمام يا فندم نفس سيادتك معنا يا فندم .
عادل : صفوان جوه .

مصطفى : منتظر سعادتك من بدري يا فندم ، والله حضرتك نورت يا
فندم . .

نم يعره عادل اهتماماً ففقر أمامه في حركة تمثيلية يتقدمه ليفتح له الباب ؛
بعضى إشارة لوصول الضيف
مصطفى : اتفضل يا فندم .

كان المكان واسعاً جداً ضيقاً بأثاثه ، مكتب عريض ضخم خلف
رافان الأخضر ، أمامه مكتبة داكنة عليها تماثيل فرعونية صغيرة وكؤوس
بديليات ذهبية ولقطات " شيك هاند " وتلقى الأنواط والأوسمة ، وآية
نارية في برواز ، وصورة لطفلين ، وصورة لرجل مفتول العضلات وسط
بلاطه تبدو قديمة ، ووراءهم كُتبان رملية ، وصورة لشاب في الكلية الحربية
يسف ساموراى ياباني وفازة بها ورد صناعي ، يتوسط كل ذلك تليفزيون
كبير . وبجانب المكتبة لوحة عليها نياشين وشهادات تملأ الحائط ، تحتها ثلاثة
سغبرة بجانبها كنية سرير وتكييف ،

و ترابيزة تتوسط الغرفة عليها طفاية سجاثر ورائحة معطر جو رُشت من
حمس دقائق ، وخلف المكتب صفوان البحيرى . .

ثنتان وثلثون سنة من الخدمة تجلس خلف هذا المكتب ، تدرّج في
صعب حتى اعتلى قمة من القمم ، جسم رياضي ووجه وسيم وعيون
رّفة وشعر فضي ، في أواخر الخمسينيات ، يرتدى بذلة بنية وكرافات

أصفر برابطة عريضة، خرج من خلف المكتب ليرحب بضيفه الذي لا يأتي إلا ومعه الأحداث، وأطفاً بيده قناة الجزيرة ليسود السكون الذي قطعه عادل نصّار بدخوله . .

عادل : أهلاً يا صفوان إزيك . .

انحنى صفوان وهو يلتقط يد عادل نصار : أهلاً يا فندم أنا كويس طول ما سيادتك بتنورنا بزيارتك لينا يا فندم ، إزي سعادتك؟

عادل وهو يجلس على الكنبه : أخبار الشغل إيه؟

صفوان : كله بفضل توجيهات سعادتك يا فندم . . تشرب إيه الأول يا فندم؟

أراد مصطفى أن يكون من الملوّحين في نشرة الأخبار خلف المذيعة : قهوة سعادتك زى كل مرّة يا فندم؟

عادل : هاخود قهوة مطبوّط .

مصطفى : تؤمر يا فندم . .

أوماً له صفوان أن اختفي حتى أطلبك؛ قبل أن يخرج مصطفى دخل الشاب بصينية القهوة المرتعشة لا يجرؤ على النظر في عين أحد، وضعها مع المياه وخرج مسرعاً .

رشف عادل نصّار رشفة من الفنجان ونظر إلى صفوان الذي جلس في آخر الكنبه بوضع غير مريح ليعطى بالمسافة انطباعاً عن إحساسه بالمقام والتقدير .

صمت عادل كان يهيس صفوان لسبب الزيارة؛ قفزت علامات استفهام بداخل الأخير الذي انتظر الضربة الأولى من عادل بعدما رشف برنه بهدوء: الباشا الكبير مش مبسوط يا صفوان.

صفوان: خير يا فنده؟؟

عادل: إنت عارف إن إحنا داخلين على فترة صعبة يا صفوان والباشا وضعه حرج . .

فيه حاجات لازم تتصفي عشان الأمور تستقرّ وتهدأ . .

صفوان: فيه أي تقصير من عندنا يا عادل بيه؟

عادل: لأ . . بس فيه شوية نقط عايزين نقفلها . . أولاً الباشا وصله

تسجيل بصوت هشام فتحي بيتكلم مع واحدة مومس فيه عن

ابنه . . واحد حب يعمل بنط ويعرف الباشا إنه صاحي . . إنت

عارف ألف مين يتمنى يخدم الباشا ويعرفه إننا نايمين . . هشام

فتحي الغبي ده ضيع نفسه، الباشا مش عايزه خالص، إحنا مش

عايزين حد يفتح موضوع ولاده ده، وبالذات في الفترة دي،

الناس ما بتصدق . . ثانياً نسي نفسه وبيخبط على باب يامن أنور

بتاع حزب المستقبل وبيموّله . . الموضوع ما يوصلش لكده هو

فاكره هينفعه . . زودها أوى وكفاية عليه كده . .

صفوان: إيه اللي تأمر بيه سعادتك؟

عادل: حادثة أولاد ذوات، زى كريم السويسي اللي قتل مراته

وانتحرر . . حاجة تتقل القضية فيها قبل ما تفتح . . البلد تتقلب

يومين والناس تنسى لأن التحقيق إتقل، ممكن كمان إشاعة على

قهوة في ميدان رمسيس تلفّ مصر في ساعة زمن في القطر، الناس
تشتم إن الموضوع فيه نسوان . .

صفوان : فهمت سيادتك . . . سيب الموضوع ده علياً يا باشا . .
أخرج عادل نصّار سيجارة من علبة ذهبية وعادل من وضع ساقه : فيه
حاجة كمان . .

نفخ دخان سيجارته ونظر إلى صفوان ثم قال : محيى ذنون . .
أحس صفوان أنه لم يستمع جيداً إلى ما قاله عادل نصّار : ماله يا فندم
حد مضايقه !!

عادل : محيى ذنون فجأة في ٢ فبراير اللي فات حولّ مبالغ كبيرة أوى بره
البلد . . كمان فيه صفقة سلاح طلبناها منه إعتذر بأن فيها عيوب
تصنيع ؛ وإحنا عارفين كويس أوى إن ده مش صح . . وشوية
حاجات تانية . . إنت عارف كمان إنه حرس قديم من أيام عبد
الناصر ومفروض علينا دلوقت . . المرحلة اللي جايه مش محتاجة
واحد زى محيى ذنون . . وفي نفس الوقت السبب الأساسي إته
مش سايب فرصة لواحد زى أيمن وصفي إنه يدخل السوق ؛
وإنت عارف إنه صديق مقرّب للباشا وكُل يومين عنده . .
وعارف كمان إن الباشا مايجبش الاحتكار خصوصاً لما تلعب
بديلك . . إحنا عايزين نديله إنذار تقيل شوية . . حاجة تأثر
فيه . . تكسره . . يعنى يبقى موجود ومش موجود . . فاهمنى يا
صفوان؟ وصلت؟

فان ذهن صفوان شاردًا قليلاً من المفاجأة . . مُحى ذُنُون؟!! هذا الرأس
الهدب الذي أصبح من ثوابت القمّة!! مثله مثل كوبري قصر النيل وتمائيله
وسط البلد وميادينها، فهو لا يتذكّر زمن لظهور ذلك الرجل . . كأنه
موجود قبل بداية كل شيء، فقد تكون هناك رسومات على جدران معابد
المرآنة تحمل اسمه؛ "موحى ذانون" مثل توت عنخ آمون، وها هو يأتي
اليوم الذي يُطلب منه فيه تقليد أظافره . .

لم يكن ذلك ليشغل بال صفوان البحيرى؛ فهو قد شهد أكثر من ذلك،
ومات بداخله بالسكّنة القلبية ذلك الرجل المدعو ضميراً، وحلت محلّه
سهرة سوداء بستائر، وأشخاص يحيونه ويجرون في خدمته . . كانت آخر
مرّة يشعر فيها بصوت ذلك الكامن بداخله منذ اثنتين وثلاثين سنة، عندما
سلم عمله تحت إمرة شريف أمين، أحد الأساطين في عام ١٩٦٣ . .
وكانت مهمته مراقبة فنانة سينمائية مشهورة تباع نفسها في ذلك الوقت
بالألمانية جنيه في الليلة، وهو مبلغ كان وقتها مُعضلاً؛ لكنه زهيداً بالنسبة
لمعشوقة السينما المصرية، وعن طريق صديقة بدينة وقوادة تعمل معها، يتم
تقديم مواعيد تقديم المُتعة لراغبيها من ذوى الجيوب العامرة . . كانت المهمة
أن يتم استدراجها إلى عشيق أجنبي وهمي بسعر مُغر، وفي اللحظة التي
هنلي بها؛ وتتساقط أوراق التوت، تُداهم المباحث الشقة المراقبة مسبقاً
بكاميرات السينما ال١٦ ملي، ويتم القبض عليها بتهمة الدعارة بدليل
الشريط السينمائي المسجّل، وبالتالي وقعت عليها سيارة نصف نقل عندما
افتموها أن ذلك الرجل لم يكن إلا جاسوساً إسرائيلياً، وأنها ستواجه تهمة
النخاير مع دولة أجنبية؛ أصيبت بانهايار عصبي؛ وأصبحت عجينة طيّعة

تُقذف إلى أي مسئول عربي أو أجنبي؛ ويسم تصويرها معه ثم ابتزازه بالتسجيل ومساومته، إمّا سمعته وإمّا الإدلاء بالمعلومات القيّمة . . وبلغت السخرية مداها حين اقترح أحد المُشرفين على شرائطها في أواخر الستينيات أن يتم بيع تلك الأشرطة في لبنان لتكون مصدر دخل بدلاً من حرقها والتخلّص منها!!

أفاق صفوان من شروده على صوت عادل: فهمتني يا صفوان؟
صفوان: مفهوم يا فندم.

عادل: أنا عايز الموضوع ده يتم في أقرب وقت . . الباشا طالما كلفني بحاجة هيسأل كل يوم لغاية ما يطمّن . . مش عايزينه يقلق لو إتأخّرنا، ومش عايز أكّد إن الموضوع لازم يتم بنضافة . . نسق مع الناس بتوعك وشوف حد في الطب الشرعي، والجرايد طبعاً والمعارضة كمان . .

فيه وجوه جديدة عندك تقوم بالموضوع ده؟

شرد صفوان بنظره ناحية المكتبة ثم قال: فيه ولد ممتاز تحت إيدى يا فندم، لسه مخلص تدريب ٦ أشهر في أمريكا، وجاهز في أي وقت . .

عادل: اسمه إيه؟

صفوان: طارق حسن عبد الله.

عادل: المهم إنه يكون ذكى ويوصل الرسالة أمّحى . . الغلطة بورطة يا صفوان . .

صفوان: إطمّن يا فندم . . الولد ده ممتاز . .

قام عادل وقام وراءه صفوان وتوجه إلى الباب: جهّز كل حاجة وإدبني
ام عشان أبلغ الباشا . .

صفوان: حاضر يا فندم، هيكون فيه إتصال بسيادتك في أقرب وقت . .
اقرب من الباب حين تذكّر أمراً: أخبار عمرو وحماد إيه؟؟
صفوان: إمبراح سافر له الشيخ خالد عسكر وإبراهيم شافع؛ وفيه
مقابلة معاه بكره في لندن . .

عادل: مش هيوافق . . الواد ده عنده ميول سياسية . .
صفوان: يا فندم إبراهيم شافع هيعرض عليه عمود ثابت في الجرنال كل
أسبوع، هو عايز إيه أكثر من كده؟ وخالد عسكر جايب له
عرض من قناة فضائية . .

احتد عادل فجأة كالتنين: الواد ده لمع أوبي! زيادة عن اللزوم، لو قام
١٠. الصلاة وقال للتلاتين ألف اللي بيستمعوه الحكومة دي مش مطبوعة
١١. مل لنا أزمة . . العيال مَحَّها فاضي وبتلرزق للأشكال دي . . أنت عارف
١٢. بن وتأثيره . . لو ما رجعتش أنا مش هعقله يعرف يقعد هنا يومين في مصر
١٣. ولا حتى يعتبها . .

صفوان: المسألة مسألة وقت يا فندم؛ وإذا رفض فيه حلول تانية؛ إحنا
سكّتنا الجرايد، نفتحها عليه تاني، وإشاعة نقول إنه بياخذ ربع
مليون جنيه في الحلقة، أو فنانة بتاعتنا نقول إنه طلب يتجوزها في
السر أو على علاقة بيها؛ هتزعزع ثقة الناس فيه، مش بس هنا؛
لأبره البلد كمان، أي واحد زيّه يخاف أوى من دي، وخالد
عسكر هيوصله الكلام ده كويس . .

عادل : مالي إيدك من خالد كويس؟

صفوان : خالد ده بتاعنا يا باشا، هو هينسى نفسه، شرايطه عندي؛

وملفه مليون؛ وهو بصراحة مطيع، وبعدين الفضائيات ملمّعا

وبيكسب كويس دلوقت، هيلاقى إيه أحسن من كده . .

هز عادل نصّار رأسه ونظر إلى صفوان : طمّنى أول بأول . .

صفوان : أكيد سيادتك . .

خرج عادل ووراء صفوان يصحبه حتى السيّارة ووراءهما مصطفى

عارف، وقفوا جميعاً أمام السيّارة وهى تتحرّك؛ رافعين أيديهم في انتباه حتى

غابت حين التفت صفوان : مصطفى . . عايزك في مكتبي حالاً . . عندنا

سهرة طويلة .

.....

بعد سنة . .

مايو ٢٠٠٦ . .

كانت قد مرّت سنة منذ حادثة الفندق، ماتت فيها زينب حسن نصر في الخامسة والستين بمضاعفات السكر، بعدما سبقتها أصابع أرجلها إلى التراب الواحد تلو الآخر، وأتمّت آية عامها الثالث منذ قراءة الفاتحة على محمود حسيب ابن الجيران البدين . . رقيقة آية، سوداء الشعر، دقيقة الأنف، رقيقة الحواجب، تخرّجت في كليّة الآداب - قسم اجتماع، وتعمل حالياً سكرتيرة في شركة استيراد بشبرا، قرية بالمترو من السيدة زينب حيث تسكن هي وأخوها بعد وفاة والدتهم، كانت آية قد أحبّت محمود منذ كانت في الإعدادية، ذلك الحب الصامت الذي يتحوّل بالتدرّج من نظرات من شباك البلكونة، إلى جواب، فمقابلة بعد المدرسة، مروراً بالدبدوب الأحمر ذي الـ ١٨ جنيتهاً من بوتيك "فالتتاين"، والسلسلة ورقة الشجر التي تحمل لا إله إلا الله محمد رسول الله المقسومة إلى جزئين، وبارفان "تاتش" وتليفونات الليل ثم اللّف على حدائق القاهرة مثل زائري الأولياء، مروراً برحلة القناطر من عند ماسبيرو، وركوب العجل، واختلاس الأيدي والأحضان المتوتّرة، انتهاءً بقراءة الفاتحة طويلة الأمد على الجار الهائم، أو الأستاذ محمود كما يلقّبه بواب العمارة، التي يملك أبوه الحاج حسيب نصفها، منتشياً بإيجار العشرين جنيتهاً من كلّ شقة . . كان محمود قد تخرّج في معهد

الحاسب الآلي، وكأي خريج محترم بحث لنفسه عن وظيفة بعيدة كل البعد عن مجال دراسته، عمل في شركة لتليفونات العملة، ثم صرافة، وعمل معها بعد الظهر في شركة التقوى للملابس الجملة بالموسكى، يملكها الشيخ أكرم، ذلك الرجل الذي أخذه إلى عالم لم يكن يدرى عنه شيئاً، فمن شاب كانت من مهاراته بجانب السجائر وسماع الأغاني ورؤية بعض الأشرطة المريبة عند أصدقائه، يصلّى الجمعة والأعياد فقط، إلى شاب يصلّى الوقت بوقته في المسجد أسوة بصاحب الشركة وزملائه، مروراً بالانطواء عن الأصدقاء والنظرات المشتتة إلى الأرض وانقطاع السلام على سيدات الحي، حتى قَصَرَ جِلْبَابُهُ وانثنى بنظونه وضاع حذائه وحل محلّه الشبشب الجلد ذو الإصبع، وزحفت على وجهه الذقن المهترئة، وحلّ السواك مكان المعجون، وأضاف إلى قاموسه "جزاك الله كل خير"، و"ربنا يحسن خاتمتك" وترك عمله الصباحي في شركة الصرافة للبعد عن الشبهات، واكتفى بشركة الحاج أكرم عوضاً عنها. . . حتى جاء اليوم الذي لبس فيه حزاماً ناسفاً وفجّر نفسه في ميدان التحرير وتناثرت أشلاؤه و. . .

لا لا لا. . . لم يقبّر نفسه، فمحمود لم يكن ينتمي لخليّة إرهابية، ولم تكن الشركة سوى أفراد أرادوا بذلك أن يتقربوا إلى الله بطريقة هي في نظرهم المثلى، على الصعيد الآخر تناثرت شظايا التغيير من محمود لتصيب آية في مقتل؛ فقد اقتنعت به بالتدرّج، فما أسهل إقناع الحبيب لحبيته خاصة في فترة ما قبل الزواج، قبل إجراء عملية المياه البيضاء لمرأة الحب العمياء، وزحفت آية هي الأخرى على الطريق الذي انقطعت فيه أواصر الصداقة مع صاحباتها واستبدلتهن ببعض الأخوات، أغلبهن متزوّجات، وحلّ القفاز

والخمار الأسود محل الحجاب، وتبعثرت الحواجب، وتركت الشغل المشكوك في رزقه، عندما استورد صاحب الشركة أدوات تبرّج، وظهرت كتب ملوّنة الأغلفة بجانب سريرها عليها صور بورترية للمسيخ الدجال وأجوج ومأجوج وقبر ونار وثعابين قرع "و كأن هناك ثعابين مُشعرة" وتأثرت بالتالي علاقتهما التي تحولّت إلى نار تحت رماد، جوع بعدد سبع أذكاها بخله الذي أدى إلى الحكم بالحبس ثلاث سنوات عليهما من دون خطوبة في انتظار قرار الإفراج، حتى جاء اليوم الذي فتحت فيه الباب لأخيها بالنقاب . . . أخيها أحمد كمال . .

أحمد: إيه اللي إنتي عاملاه ده؟

آية: يعنى أفتح الباب وأنا كاشفه وشي؟؟

دخل أحمد ووضع حقيته على أقرب كرسي، وخلع جزمته، وجلس

ستشل شرايه من بين أنقاض أقدامه . .

أحمد: إنتي خلاص هتلبسى البتاع ده؟؟

خلعته آية عن وجهها: بنفكر؟

أحمد: أنا مش عارف هاتعرف عليكى إزاي لو قابلتك في الشارع،

إعملى بقه علامة، أو حتّى لما تيجى جنبي إبقى قولى كلمة السر،

مخليها . . . كوكو واوا . . ماشى؟

آية: ربنا يهديك . .

أحمد: طبعا الشيخ حودة أمير الجماعة هو اللي أصدر التعليمات . .

آية: النقاب مش محتاج تعليمات من حد، ربنا سبحانه وتعالى أمرنا بيه،

لو قرئت شوية في الفقه كنت عرفت، مش الرقائق اللي إنت

عاش فيها على طول، الدين مش صلاه وصوم بس يا عم
أحمد . .

كانت آية قد تعودت على ذلك المزاج الحاد من أحمد، فهو في البداية لم يكن متقبلاً لمحمود حسيب، لولا والدته التي كانت صديقة لأمه، مروراً بوفاتها التي تركت فيه جرحاً لا يندمل، علاوة على الحادث الذي راح فيه صديق عمره حسام منير منذ عام تقريباً، وتشاجره بعدها مع سليم مؤجراً التصوير في الفندق وتركه العمل معه، وجلوسه عاطلاً في المنزل، حتى توسط له أحد معارفه في يوم وألحقه في كازينو باريس بشارع الهرم مع أحد أصدقائه للعمل مصوراً من الساعة التاسعة وحتى السابعة صباحاً، ليصل بيته في الثامنة وتكون في استقباله أخته التي تعد له يومياً عريضة تهكم على وضعه وماله الحرام . .

إلا أنها في ذلك اليوم لم ترد أن تبدأ بالتهكم: تاكل حاجة؟

أحمد: إعملي لي كوياية لبن.

خلعت آية الطرحة وتوجهت إلى المطبخ في حين أسند أحمد رأسه على الكنب، وأدار التلفزيون، وسرح في الشاشة لا يرى شيئاً حتى خرجت إليه، جلست بجانبه تراقبه وهو يشرب تتحين الفرصة لفتح موضوع طال التفكير فيه: محمود بيسلم عليك . .

انتظرت فلم يجيبها: هو كان عايز يشوفك، بس مواعيدكم مش

ماشية . .

أحمد ساخراً: إبقى خليه يعدي عليا في باريس لما يخلص . .

آية: ربنا يتوب عليك.

أحمد: هو أنا لقيت حاجة تانية وماروحتش، واللا عايزانى أروح أشتغل

أنا كمان في الموسيقى والكالصونات؟

آية: إنت مش طابقه ليه؟

أحمد: عشان مش راجل وبيهرب من المسئولية، ومعاه فلوس ورابطك

جنبه ٣ سنين هـش عارف ليه؟

آية: الفلوس اللي معاها ماتجيبش شقة وإنت عارف . .

أحمد: أبوه عنده نصيب في البيت . . يبيعه ويتجوزك . .

آية: الموضوع مش سهل كده، وفيه ورثة في البيت . .

أحمد: ماتضحكيش على نفسك؛ لو عايز يتجوزك كان إتجوزك . .

آية: هو ده الموضوع اللي أنا عايزه أكلمك فيه . .

أحمد:؟؟؟

آية: محمود اقترح عليا، يعني لو عايزنا نخلص، إنتك تساعدنا .

أحمد: إزاي بقى؟

آية: نقعد هنا في الشقة دي .

أحمد: هو ده اللي كنت حاسه . .

آية: كده كده إحنا مالناش قُعاد في الشقة دي، العقد كان باسم ماما

ومامت، وأبوه مقعدنا جدعنة وعايز شقته، وبعدين مش هتروح

بره، ماهي ليا برضه في الآخر . .

أحمد: يعني أنا في الآخر اللي معطلك يا آية . .

آية: تقدر تساعدني ومنشّف دماغك . .

أطرق أحمد برأسه إلى الوراء ومسح على عينيه قبل أن يلتفت إليها
طيب وأنا؟ أروح فين؟

آية: إنت راجل وممكن تتصرف، إنت مش متخيل كم الضغط اللي عليا
من نظرات الناس، مش قادرة أستحمل ياحمد، أنا بقالى تلات
سنين مستنية أتجوز، الجيران كلت وشي، يا أحمد البنات مش زى
الولد، أكيد إنت فاهم . .

قام أحمد وربت على كتف أخته: خلاص يا آية . . فهمت . . دخل
غرفته وأغلق الباب وراءه .

في الخامسة ارتدى أحمد ملابسه، سحب كاميرته واستعد للخروج عندما
دخل غرفة آية فوجدها تكوى ملابس: الأسبوع الجاي هكون وضبت مكان
أبات فيه . .

نظرت إليه آية ولم تمسك دموعها، جرت إليه واحتضنته عندما قال
لها: بس الواد التخين ده لو زعلك هرميه من الشباك . . خلاص بقه
ماتعيطيش . . أنا نازل . .

تخلل هذا الأسبوع الكثير من الأحداث، ملم أحمد أشلاءه من البيت،
حقيقية ملابس وكمبيوتر وبعض المتعلقات، وكان قد استأذن مدير صالة
باريس في غرفة صغيرة مغلقة بجانب المعمل، كانت تستخدم مخزناً ولم تعد،
فوافق نظير مائة جنيه، نقل إليها ما تبقى من حياته ومن نفسه، ودّع أخته
التي رحلت في صمت إلى محمود، أو الشيخ محمود بعد أن عقد قرانه عليها
في دار مناسبات مقسمة بستارة كبيرة، جزء للرجال وآخر للنساء، أوصلها
إلى باب شقة أبيه وأمه التي أصبحت في حوزة زوجها ولم ينسى أن يلدس
٢٥٠ جنيهاً في يدها، هي تقريباً كل ما كان في جيبه . .

حُضن ودمعة وقُبلة في الجبين، ووجه جميل، ماكياج صارخ تحت القاب، ونساء بصوان الحمام وصوت باب شقة ينغلق. . كان ذلك آخر ما ملق برأس أحمد وهو يمشى على كوبري الجامعة في طريقه إلى مأواه الحديدي. .

مرّ أسبوعان حتى تأقلم أحمد على مكانه الجديد، ابتاع مكواة ومرتبة وملاءة جديدة، وعلّق صورته مع "عمرو دياب" على الحائط، يمضي معظم وقته أمام الكمبيوتر يلهو ببرنامج فوتوشوب لتعديل الصور الذي اعتاد على استخدامه لإصلاح أخطاء صورهِ، وأيضاً لإضافة صورته بجانب أبي من المشاهير بدلاً من معاناة الوصول إليهم، وإن كان يستعين بصديق له حبرة في تركيب الصور. . عمر. . صديق الطفولة. . صنع له صوراً مع "جينيفر لوبيز" و"مارلين مونرو" و"أحمد زكي"، وإن كان يفضل صورته الأصلية مع "عمرو دياب". . زحف السهم على الشاشة لفتح ملف مخفي معناية من تعود على الاحتفاظ بالأسرار في حياته، وأخذ يقلّب الصور. .

صورة لشاب وخلفه بار، انضم له آخر، صور للنيل وباخرة تمر بسرعة فنظر كشعاع من النور يتحرك، ثم بضع صور لبنات يرقصن في حفلة زواج سلية. . كل ذلك مرره أحمد في سرعة من سئم تلك المشاهد، حتى توقف وتأمل مجموعة صور لاثنين يتحدثان من وراء زجاج ولقطات مقربة لأفواه وأيد، تلتها صور مهزوزة لحالة من الهرج تعم المكان، يظهر بها أشخاص سحركون في الخلفية وآخرون افترشوا الأرض بظهورهم، ثم أحدهم يقرب من الزجاج يسقط بعدها خيال رجل ببذلة سمنية، ثم كادر عام للبار لمشرفة زينهم؛ إذا قرر الأطباء تشريح الجثث على الأرض، التي اكتست

بالأحمر كسجادة مهرجان كان، وجسد رقداً على يمين الكادر يعرفه جيداً، لم يعد يمت للحياة بصلة؛ أثبتت أصابعه أن أصابع الزمار تموت معه . . لمدة عام كامل لم تغب تلك الصور عن مخيلة أحمد، كما لم تغب عنه فكرة أن رد فعله لم يتعدّ حيز الكاميرا، كم هو جبان؟؟ أليس من الممكن أن يكون صديقه على قيد الحياة حين رحل؟ رغم أن مظهره لم يكن يوحي بذلك، كيف طاعته نفسه أن يأخذ لقطه للمكان ولم يخطر بباله تفقد نبضه، نظرة عين حسام إليه قبل أن يغمضها للأبد. منظر أم حسام وهي نائمة على كتف أختها غير واعية بالكون من حولها، لا يستطيع أن ينسى أن صديقه كان على وشك الارتباط، إنه حتى لم يبلغ أحداً أنه كان هناك ورأى كل شيء بعدسته، كم يشعر بالجبن . . أخرسته المفاجأة وجعلت منه قطعة أثاث لا تتحرك

و تكتمل السخرية في أن الكاميرا السرعة المهاجمين وبطاء الغالق لم تتمكن من رصد وجه أحدهم، فالأشخاص يظهرون كأشباح تتحرك بسرعة شديدة، وراءها طيف مُشوَّش لا تستطيع تمييز ملامحهم من الخلفية، فكان رد فعله اليائس صباح اليوم التالي أن أرسل أسطوانة من مجهول عليها الصور الركيكة للنيابة، لتسقط بلا صوت كأنها في بشر بلا قرار، كررها ثلاث مرّات بطريقة فاعل الخير المجهول، التي قرر أن يتعامل بها مع الشرطة بعدما أوصل سيدة مسنة إلى المستشفى بين الحياة والموت، تلقت مطوأة من شاب سرق حقيبة يدها، وكان جزاؤه أن دخل في سين وجيم وبات ليلة في القسم حتى برأت ذمته . . حتى أنه ذهب بالصور لجريدة رسمية، وسلّمها في ظرف مغلق باسم رئيس التحرير، كل ذلك بلا جدوى . . وأخيراً أرسلها

لجريدة الحرية الصفراء فاقع لونها تسرُّ المتلهفين . . موضوعاتها من نوعية جرائد الفضائح، تفاصيل غرف النوم والوزراء الذين باعوا البلد بـ "خمستاشر" جنيتها، وملفات النميمة الساخنة . جريدة أصبحت من أكبر الجرائد توزيعاً مؤخراً وأقرب إلى شخص أحمد . . يسمع فيها ما يريد أن يسمعه، يصرخ فيها ويشتم كل من في البلد من الكبير إلى الصغير، يكشف المؤامرات وهو جالس في مكانه . . يجتلس نظرة لكل فنانة في غرفة نومها، ويدرك كم هو ذكي إذا عرف من هو ذلك الـ "ح . م" الذي ينام معها من سياق الكلام . . وانتظر . . صدحت الأخبار الرسمية في الأيام التالية بـ صور شخصية لرجلي الأعمال وتفاصيل إطلاق الرصاص على بعضهما البعض، ومانشيتات تناول خلافات الحيتان التي أدت لمذبحة توفي فيها أحدهما وأصيب الآخر وأصبح قعيداً، وسافر إلى الخارج للعلاج، وبينط صغير ثبتت أسماء الضحايا، يرقد بينهم اسم حسام منير بينط صغير . .

تفنتت الأسباب في الظهور، ما بين خلاف الحراسة الشخصية الذي أدى لمباحنة أفضت إلى تراشق بالنيران، أو ثأر شخصي بين الاثنين تطور في لحظة غضب، ولا ننسى نظرية المختل عقلياً الذي فتح النيران في البار ثواباً لوجه الله . . في حين اتخذت الصحافة الصفراء وعلى رأسها جريدة الحرية النهج المعتاد؛ "التفاصيل الكاملة لحادث بار فيرتيجو . . فتاة تشعل النار بن أكبر رجال الأعمال . . قصة أحرر الشفاه بجانب جثته القليل . . الفتاة التي احتفت قبل دقائق من مذبحة الفندق . . سر الملابس الداخلية الحريمي في حبيب هشام فتحي . . الفنانة التي قتلت العاشقين . . ليلى علوي سبب مذبحة رجال الأعمال . . "

وبالداخل خبر يقول إن ليلي علوي تقرأ حالياً سيناريو فيلم عن حادثة الفندق، وكسبق صحفي لجريدة الحرية، نشرت صور أحمد تحت عنوان "الجريدة تنفرد بنشر صور سرية للغاية من مصدر موثوق توضّح مسرح الجريمة؛ كما صورّه الطب الشرعي بعد الاعتداء " وبجانب الصورة مُربع به صورة مثيرة لعارضة أزياء ألمانية شهيرة بلباس البحر، وعلى عينيها شريط أسود وتحتها عبارة باللون الأحمر تقول " نفرد بنشر أول صورة للمتّهمة في قضية مجزرة رجال الأعمال . . "

لم تُنوّه الجريدة عن المجهول الذي أرسل الصّور . .

وشأن دورة الحياة تلاشت الأخبار تدريجياً، لتحل محلّها أخبار أخرى أكثر سخونة حتى ماتت القصة، وتاهت معها الحقيقة، فبأية حال لم تكن صورته لتقدّم أكثر من بهارات للصفار الصحفي تزيد من إيراداته الأسبوعية! بعدها بستة أشهر تمثّلت السخرية في زواج كريستينا من سليم متعهد الأفراح، الذي كان يغتصبها بعينه كلّما مرّت أمامه، بعدما عرض على المتعهد أن يستر عرضها لوجه الله، لكي لا تفقد إقامتها وليس لغرض آخر لا سمح الله . .

ووافقت كريستينا كما توافق الوردة على تخفيفها لتصبح خاوية من الداخل، جميلة فقط من الخارج، كم هي حزينه كثيراً على حسام ولكتّها تريد أيضاً استمراراً للقامة العيش . .

لم ينس المحادثة الركيكة التي دارت بينه وبين كريستينا : سليم ؟؟؟؟

كريستينا : أيوه . . سليم المصوّر . .

أحمد : ده أصلاً مش مصوّر . . وبعدين لحقتي نسيتي حسام . .

كريستينا: نو . . نو . . إنت فاهم غلط أخميد . . حسام هنا . . كانت
تشير إلى قلبها . . لكن أنا لازم إرتباط عشان " إكامة " . . إنت
عارف إجراءات وباسبورت . .

أحمد: سليم بعد حسام يا كريستينا؟

كريستينا: أوف كورس مفيش حد زى حسام . . بس باسبورت
هيخلص بعد شهر . .

أحمد: ده خنزير . .

كريستينا: أحمد بليز . . مستر سليم ده راجل جنتيلمان . .

أحمد: حسام كان جايب لك خاتم الخطوبة . . عارفة ده؟

كريستينا: سوري . . الموضوع صعب علياً أنا كمان . .

... But Life must go on

أحمد: أكيد . . ملعون أبو كوي بنت كلب . . قالها في سره . .

ولدت كهرمانة نفسها لشاهين، بعدما قُتل حسن الهلالي، وكان ذلك
التي لسلسلة خلافات مع سليم استمرت شهراً، لم يكن يطيق النظر إليه
ولا إليها، حتى بدأ سليم يتعمد مضايقته وتغييره لما عرف بخلفية علاقتها مع
أم وصداقته لأحمد، حتى رحل في النهاية ليوأجه الدنيا بجيوب خاوية . .

نانت الساعة قد تعدت الحادية عشرة مساءً عندما أفاق أحمد من نوبة
التي ربات المتلاطمة كأمواج نوة المكنسة، عندما قرع الباب جودة . .

ملك قصة أخرى . .

١٩ إبريل ١٩٦٧ لم تكن عجلة التاريخ قد توقفت بعد عند جودة الذي

١٩١ وقتها باشاويشاً بالجيش المصري، تهتز الأرض تحته وهو عائداً من

وحدته بالجيش ، ينزل من سيارة الترحيلات كيوليوس قيصر وهو عائد من الإسكندرية بعد اجتياحها عام ٤٨ ق . م . يلتف حوله شباب حي الأميرية في قهوة عباده خلف شركة الأدوية منصتين له ، وهو واضع رجلاً على رجليه يبذلته الميرى وشاربه الدوجلاس ، ينتظرون الكلام منه بين رشقات الشاي الكشري التي تقطع سيل الحكايات والأخبار كإعلانات التلفزيون الممل وقت المسلسل ، يعتبرونه وزير الدولة لإعلام الأميرية ، وكان التوتر على الساحة الدولية ينذر بحرب وشيكة تدعمها تصريحات القيادة السياسية التي وصلت وعودها إلى رحلات مدرسية في تل أبيب ، فكان التصريح من الباشاويش جودة يكافئ تصريح " ليفي أشكول " رئيس وزراء إسرائيل ، بل لعله أكثر صدقاً ، كانت تروقه الأعين المتعلقة بشفتيه وهى تلهث وراء كلماته ، تنتظر شذرة خبر يهللون لها ، ويس . أكثر بتر كلامه ليبرر لهم أن هذه معلومات عسكرية لا يصح أن يفشيها ليرى الحسد في عيونهم على ما أنعم الله عليه من عمل مع القيادة العسكرية . يقوم مدفوع الحساب يربط على كتفه الصغير والكبير داعياً له بالصحة متبركاً بأشراطه السوداء ، ومتطلعاً للقاءه في الحلقة القادمة ، يسير بعدها مزهواً بنفسه حتى البلولا الذي يسكن فيه بالدور الأرضي ليأكل لقمة ساخنة من يد أمه ؛ ويخلد بعده للنوم ساعتين ؛ ويصحو ليبدأ يومه في الساعة . .

ماذا كان يعمل جودة في المساء؟؟

يعمل في أستوديو هالة . . من هي هالة؟ ابنه يوسف . . ومن هم يوسف؟ صديق عمر جودة . . وأبو هالة . . لم يكن جودة يفقه شيئاً في حياته أكثر من الأكل والتصوير ، بدين هو أصلع إلا من بعض الشم

الاسمى بالشوشة الذي تمسك بجزء من مقدمة رأسه تمسك محمود المليجي
الاربع في فيلم الأرض، يُطيل الجانب الأيمن من شعره ليكسو منتصف
المسلة، ويصل ككوبري قصر النيل للناحية الأخرى، ويبدو مع الفازلين
:محطوط الرسم الهندسي الدقيقة. يرتدى نظارة كعب كُباية بإطار أسود
، وبض اليد تمسك به منذ بداية الستينيات، تكسوه أمطار عرقية صيفاً
وشتاءً، ويعتبر أن أهم اختراع بعد الكهرباء والحلاوة الطحينية منديله
الملاوي، يكسو كرشه العزير صديري جلد كثير الجيوب يحمل فيه
. ا. خانة متنقلة، تستطيع أن تجد فيها شيئاً للصداع أو للإسهال وقد تجد معه
. اساً وميكروكروماً أو حتى مبيضاً لجراحة عاجلة. . على الصعيد الفني
:ان جودة مصوراً بارعاً بحق في الأفراح، ووجهه مكشوف كما يقولون، لا
. حتى من أحد ولا يعاني من لثة أن كل المدعوين ينظرون إليه، تلك
اللوثة التي تُصيب المصورين الجدد، يوجه المعازيم كأنهم عساكر في
. وحدته، يصنع صورته المعبرة الباسمة بكاميرا "ريتنا" روسية وفلاش كغطاء
المالمة يكاد يحرق العروس ويشوه العريس ويودي بحياة بعض المعازيم،
. ا. . هم مُشخني الجراح عند فتح البوفيه السني يعتبره جنة الله في الأرض،
. . د.ع بعد ذلك العروسين بلقطة زجاج السيارة الخلفي وهم يلوحون
. ا.ناسيرا، ليُحمّض بعد ذلك الفيلم ويطبعه عند يوسف . . أبو هالة . .

كانت الحياة مستقرّة لا يشوبها شيء حتى صباح الخامس من يونيو
١٩٦٧ عندما سمع جودة الأخبار في الراديو، وكان في راحة، فقفز في بزّته
المسكينة وانطلق إلى وحدته وسط بركات الأهالي والجيران المنهالة . .
. ا.لني خمسة أشهر، ابتلعت الحرب وتساءل الكثيرون أين عساه يكون؟ حتى

أن بعض الأهالي أطلق على أمه العجوز " أم الشهيد " . . إلى أن أتت حافلة
مُتربة محمّلة بالهم والحزن والجنود، وكان من بينهم جودة منكساً رأسه .
ركّض إلى شقته وقبع ثلاثة أيام حتّى ظهر في القهوة مرة أخرى، ليتلقّى
تساؤلات الجيران حول اختفائه ومبررات ما حدث من داخل أرض المعركة
التي لم يكن جودة قد وطأها أصلاً!!

نعم . . فجودة لم يكن من الصفوف الأمامية ولا حتّى الخلفية
فبشاويشيته كانت في الشؤون المعنوية . .

ذلك ما لم يكن أحد يعرفه ولن يعرفه أحد مستقبلاً . . فالباشاويش
جودة الآن بطل من أبطال ٦٧ ، قتل خمسة وعشرين جندياً إسرائيلياً بيده
المجرّدة. أسر خمسة وأربعين يوماً وهرب من الأسر، رجع من سيناء على
قدميه العاريتين، أعطاه الرئيس جمال عبد الناصر نوط الشجاعة، وربت
على كتفيه وقال له: يا جودة " إنت فخر لنا كلنا " وأمر بتعيينه في المخابرات
الحربية. لف العالم ثلاث مرّات ورأى ما لا عين رأت، أحب أجمل نساء
الأرض وأنجب في كل بلد ولداً، حتى في إسرائيل، من بنت جنرال وقعت
في حبه وصوّرت له مستندات أبيها بنفسها، وانتحرت حين عرفت أنه
مصري وليس اسمه " إيزاك " . تحوّلت كل جروح حرق المكواة والتطعيمات
وتقشير البطاطس والدق على الإصبع بدل المسمار إلى رصاصات وطعنات،
تلقّاها أثناء تأدية الواجب، مروراً بجاذث المنصّة الذي كان الوحيد الذي
أردى فيه أحد المهاجمين، حتّى ظهور رأفت الهجّان الذي كان زميله في
المخابرات، كما سُمّي معهد " جوته " الألماني على اسمه، تيمناً به بسبب
حُبّ المُستشار الألماني له في زيارته لمصر، وكلمته الشهيرة له: " يا جوتن يا

أخن أنت فشخترتن لينن كلننا في جبرمانيا، إيش لبسيدش" (*). . فقط فاته
"بعاد تسجيل الرغبة في ارتياد الفضاء وسبقه نيل أرمسترونج، لولا ذلك
لخان أول من هبط على القمر، وليلة أمس عندما كان يتعشى مع الرئيس
"عبد الناصر" عزم عليه بالطرشي بنفسه وأقسم . .

لو قُدِّر لجيمس بوند أن يقابل جودة لغير اسمه أدباً لـ "٠٠٣" بدلاً
من **007** وأعطى هذا الشرف لجودة بدلاً منه . . في ١٩٧٦ تزوج جودة
أخيراً من بنت جيران عانس، العام نفسه الذي صدر فيه قراراً بتصعيده إلى
رتبة صُول وإحالتة إلى المعاش المبكر، بعدما رآف به عميد الوحدة خوفاً من
نشف طبي يفضح ما آلت إليه حالته التي تزداد سوءاً مع الوقت، متوهماً
أحدائاً وحكايات لم تحدث، ليجد جودة نفسه فجأة خارج نطاق الخدمة . .
"رّت الأيام وجودة يذهب يومياً في الصباح ولا يأتي حتى المساء، موحياً لمن
حواله أنه مازال في الجيش، في حين أن كل وقته يقضيه مع يوسف في أستوديو
هالة، معتمداً على أفراس الخميس والأحد ليجلب قوت يومه، ويرجع
ليكمل حكاياته عن النكتة القبيحة التي حكاها للرئيس فقهقه بصوت عال
وقال له: يخرب عقلك يا جودة . . حتى لاحت له فرصة من أحد الزملاء
ليعمل في كازينو باريس بشارع الهرم . . وكان . .

بعد شهرين نزل جودة كهادته من البيت قاصداً الكازينو الذي أصبح
سلاذه محاولاً التقاط وسيلة مواصلات ولكن . . "إنسى!" . . تلك كانت
كلمة سائق التاكسي الذي وقف ليعلمه أن شارع الهرم أصبح ساحة حرب
عصابات، فبراير ١٩٨٦، يوم أحداث شغب الأمن المركزي، التي

(*) كلمات بلغة جودة الألمانية . .

استعمل فيها عاملو الكازينو زجاجات الويسكي كمولوتوف للذود عن الرزق والروح ، والتي أقيـل بعدها أحمد رشدي وزير الداخلية . . ضاقت الحال بجودة الذي تأثرت حتّى حكاياته بحالته المادية والنفسية ، حتّى اضطر إلى بيع ثلاث غوايش كانت لزوجته التي توفيت قبل عام ، لم تمر ثلاثة أشهر حتّى رجعت المحلات للعمل مرة أخرى ، ورجع معها جودة لعادته المحمودة ، ورجعت حكاياته ومغامراته التي يعرفها الرواد قبل العاملين في المكان لتزداد سخونة ، لم يكن أحمد يعرف عنه كل ذلك ، كان يعرف فقط الجانب الطبيعي من جودة ، حتّى فطن من غمزات العاملين ولمزاتهم إلى حقيقة حكاياته التي كان يسمعها بصدر ربح إكراماً له ومسلياً نفسه . يجب أحياناً أن ينكشه فيسأله عن أي حادث فيفاجأ بضلوعه الوهمي فيه ، حتّى أنه حكى مرة عن حادث مذبحه فيرتيجو ، وكيف فقد فيه أعزّ أصدقائه ، ولكن دون الإشارة إلى أنّه كان حاضرًا في مكان الجريمة ، ففوجئ بأن جودة أقرب بوجوده ساعتها في شرفة أحد الفنادق المطلة على النيل ، بصور فرحاً بالصدفة والستقط للحادث صوراً بالعدسة الزووم الـ ٥٠٠ ويحتفظ بالنيجاتيف ، الذي طلبه منه أحمد أكثر من مرّة ، وتعلل بكركة المعمل وبعثرة محتوياته ، وضياح الفيلم وسط الإهمال وخوفه على أحمد من محتوى الصّور ، علاوة على أن رجلي الأعمال كان أحدهما زبوناً للكازينو فلم يُفصح عن وجود الصّور معه خوفاً من التورط . .

إلا أن أحمد أحب جودة كثيراً ، رغم مبالغاته رأى فيه قلباً كبيراً ، كذلك جودة الذي لو كان قد قُدّر له أن يُنجب لكان له ولد في مثل عمّره ، لذا أصبح في فترة قصيرة بمثابة الابن الذي لم ينجبه . . اعتاد أحمد أن ينتظر جودة

مساءً، يمر عليه ليدخلا معاً " النایت كلاب " ، كما اعتاد أن يكون جودة مُرشده السياحي ، يطلعه على خبايا ذلك العالم ومريديه وبروتوكولاته ، نعم . . بروتوكولاته . .

الكباريه . . كلمة لم نعد نسمعها إلا في الأفلام العربيّة القديمة ، عهد بوسف بك وهبي ونعيمة عاكف وغيرهما ، في الزمن الذي كان يحتل فيه الدور المحوري في سياق الفيلم ؛ فهو ملجأ الحبيب المهجور والمخدوع أو حتى المحروق ، يأوي إليه متناسياً حبيته التي هجرته أو ماتت ، وهو أيضاً ملاذ للعريضة ومصادقة الراقصة أو المومس الحنون بديلة الحبيبة ولاجتراع ثؤوس النسيان ، وأحياناً ليتشاجر البطل وينكش شعره الأسود اللامع فوق جبينه محطماً الكراسي القش قبل لمسها فوق رأس السكارى الذين لا يقولون سوى : أنا جدد ، وكأن كل من بالكباريه من كومبارس محفوظو الشكل في مثل الأفلام مثفقون على تلك الكلمة كقانون ، يقولونها وقت الشرب ، خاصة ذلك الرجل الأقرع شرس المعالم الذي يضربه البطل دائماً في النهاية وذلك الأسمر ذا الوجه المصري الذي يعرفه كل الجمهور ولا يعرف أحدُ اسمه ، أيضاً من كبرى فوائد الكباريه أنه وسيلة للمخرج ينقث فيها عن رغباته ورغبة المنتج المحمومة في إشباع نهم شباك التذاكر ، فتجد أغلب الأفلام المصرية القديمة تحتوي على رقصات واستعراضات محشورة حشراً فظهر بمجرد أن يشرب البطل أول كأس ، لنراها كاملة مكتملة في الكباريه ، الذي يجب أن يكون اسمه إما الوردة البيضاء وإما النجوم . . ذلك كان عالم الكباريه سينمائياً . .

أما على أرض الواقع فكان الكباريه يختلف كثيراً عن السينما، فقد كان ملاذاً لعلية القوم القادرين على دفع الفاتورة، وكانت الدعارة مشروعة بقوانين، يشرف عليها البوليس والصحة برخصة مزاوله مهنة وكشف طبي دوري في مستشفى الحوض المرصود الجلديّة للخلو من الأمراض . . . كانت الموسم تنزل على الترابيزة بالطلب مثلها مثل زجاجة الويسكي، ولهن غرفة مخصوصة تحت إشراف مدير الفندق وكان ذلك يسمّى " الأنجايه " ، يدفع الفيزيتا ويأخذها معه، ليستنفع المحل وتأخذ هي نسبتها . . .
أمراء من الأسرة المالكة وتجار وساسة وفنانين وقوادين وأصحاب كأسر ونصّابين ومشاهير . . .

هؤلاء هم رواد الكباريه، يجمعهم أكثر من سبب للوجود في تلك الأمكنة، النساء والخمر والمنافسة واعتلاء الخصوم والمباهاة بالقناطير المقنطرة . . .

مرّ الزمن واختلفت المسمّيات واللّب واحد، ظهر قانون إلغاء البغاء في النصف الثاني من الأربعينيات، وتحايل أهل الكباريه على القانون، وأصبحت الموسات يجلسن على ترابيزة مُعيّنة كأنهن زبونات عاديات يتبادلن الضحكات والعناوين مع الرواد، انضم إليهن لاحقاً الشواذ بأنواعهم، مثليين ومختثين على الترابيزة نفسها، كامتداد طبيعي لنظرية العرض والطلب، خاصة في شهور الصيف الساخنة، موسم الوفود العربية، ليتقابل الكل بعد ذلك في الخارج موجب أو سالب ليحدث ما يحدث، المهم أنه لا يحدث داخل المحل . . .

مرت سنين أخرى ، تحول فيها اسم الكباريه إلى مسرح منوعات ، ثم
المهى ليلي ، وإذا كان اسماً كبيراً صار كازينو . . مثل كازينو باريس . .
كانت أولى محاضرات أ. د. جودة تنصب حول شرح أقسام الكازينو
وشعبه والمواد التي تدرّس فيه . .

عشان تاكل عيش لازم تبقى جريء وذكى وما تقفش . .

عشان تاكل عيش لازم تتعلم تسمع ما تتكلمش . .

عشان تاكل عيش لازم تتعلم تقرأ عيون الناس . .

عشان تاكل عيش لازم تعرف إمتى تصور وإمتى ماتصورش . .

هكذا جلس جودة يجتسى سطل الشاي في المعمل ، كمن يُزغَط وزه لقن
أحمد بصوت خافت كيف يأكل العيش ، مقرباً من وجهه تفوح منه رائحة
السجائر الرديئة المملوءة بالأخشاب والقش التي يتغذى عليها ولا يشربها ،
بين السجائر عشق يجعل من يقرب منه أثناء الحوار كمن يقرب من
أدخنة القطار البخاري ، مُثيراً سحابة من الأدخنة فوق رأسه تظلله أينما
إن ، يسبق كل كلمة بعبارة " بيني وبينك " على سبيل التكتيم والسرية ،
في المواضيع العادية : " بيني وبينك الجو حر " ويهمس مقرباً بوجهه من
أحمد كأنه حكيم بوذي يُقشئ سر المشي على الماء ، وبالتفصيل يحكى
أحمد وراء كل وجه يقابلونه ، ملقياً الضوء عليه كأنه عامل ببطارية في
الاسم ، يُرشد المتفرجين لكراسيهم . .

كان الكازينو واسعاً من الداخل ، أربعة سلالم صاعدة تفصلك عن
باب شارع الهرم ، ذلك الشريان المسدود بالكوليسترول والدهون الذي
أح إلى عملية توسيع ، بوضائه وميكروإبصاته البيضاء الصغيرة ، التي

تصارع فيه يومياً تصارعُ الحيوانات المنوية الباحثة عن البويضة، ماراً في دخولك على حسن عبده وسيد قدري، تلك الحيتان التي ينقصها فتحه خروج مياه من الظهر وزعنفة، تربض يومياً أمام الكازينو بأذرعها المتفخحة وصدورها المنفوشة وتلك الفانلة السوداء الضيقة جداً التي تلتصق بهم كالمعجون على الحائط، لتزيد اختناقهم وتورمهم وتلك الكرش المخنوقة بحزام جلدي عريض، لم يتغير شكلهم كثيراً عن أباضيات الخمسينيات، فقط لو ارتديا معصم بكبسونات . . محاولين الاحتفاظ بثلاثة مفاهيم أساسية هي: بعث الرهبة منهم ككائنات غير صديقة، وجعل المرتاد يتخيل عواقب معارضتهم، وفي الوقت نفسه يحرصون كل الحرص على مصادقة الزبائن مصدر النفحات، يقابلونهم بالأحضان سابغين عليهم حميمية زائدة معناها أن البيت بيتك، فمرتبات هؤلاء لا تتعدى مرتب أول تعيين في الحكومة من عينة ١٧٠ و ٢٠٠ جنيهه، صاحب الكازينو يعرف جيداً أنهم يتكسبون أضعافاً مضاعفة من بسط اليد، ملوِّحين بقرون الاستشعار على الداخلين الجدد للمكان، مستبعبدين لغير المرغوب فيهم بالخبرة التي أهلتهم لفرز مُحبي ومثيري الشغب، وينصب أكبر همهم على فض النزاعات وتلقين الدروس الخصوصية مجاناً عند حدوث تجاوز من أحد المرتادين، ثم الاختفاء المفاجئ عند ظهور البوليس ليتسلم المشكلة كلها مدير الحبس . . نعم مدير الحبس، ذلك القميص الواقى ضد الرصاص الذي يحمي صاحب المحل من المثل أمام النيابة، كبش الفداء إذا انهارت الأسقف أو سالت الدماء . . كل شيء قد يصبح مباحاً في لحظة بالفيزيتا، بدءاً من المخدرات وحتى السلاح . فأغلب رواد المكان الأصليين يحتاجون الحماية . . والمظهرة، يأتون بصحبة

-رس شخصي يحمل السلاح ويذود عنهم عند الضرورة، فقط يكفي إسقاط خمسين أو مائة جنيه في كف حسن أو سيد لتصطحب معك "RPG" أو حتى طائرة هليكوبتر أباتشي استعمال طيب . .

كانت السادة قد تعدت الواحدة والنصف عندما ضجت الصلاة في الداخل بالتصفيق بعد أن أنهى "ربيع البدرى" فقرته، ملوِّحاً للجالسين سوزعاً قبلاته عليهم بيده كأنه مطرب يطرب، في حين قام أحد المتفرجين بالهمس في أذنه، فضحك ربيع وهز رأسه وقال: إنفضل يا حبيب ألبى . .

ابتسم كالكركدن النادر فظهرت أسنانه الناصعة البيضاء، بينها سواد واضح دليل على جليها طيباً، وضع يده على كتف المعجب موجهاً وجهه لكاميرا التلفزيون المحمول، مظهرًا سعادة بالغة يكاد يتشقق لها وجهه، تبعه اثنان وربما ثلاثة من المعجبين يريدون التقاط لقطة بجانبه، ولأن "ربيع البدرى" كان يصيح ويتشجج وتنفجر عروقه إذا اقتحم أحد وصلة أغانيه الحزينة، حرّم على بائعي الفستق والورود ومؤجري الشيشة التجول أثناء فقرته، بل إنه منع المصورين من تسليم الصور حتى لا يتشتت أداءه الذي يعتبره ميمزاً جداً، وأصبحت عادة في وجوده أو في وجود غيره، خاصة سالي الراقصة التي تكاد تفرض حظر تجول على الصلاة أثناء فقرتها، ودنيا قبلها التي صفت بائع ورد عندما وقف ليحاسب زبوناً وفكّ له نقوداً وطالت وقفته أثناء تأدية عملها الرسمي، لذلك يسارع كل هؤلاء المنتفعين إلى الصلاة بين الفقرات لالتقاط رزقهم، فباعة الورود والفستق ومتعهدو الشيشة والمصورون المؤجرون للمكان، يحرصون على المكسب لسد الإيجار الباهظ، لا يستفيد من ورائهم أحد، لذلك ينغزهم كل من تتعارض مصالحه معهم، وأولهم مترات الصلاة القائمون على خدمة الرواد، فهم

عبء عليهم ، يعتبرونهم مغتصبين حقاً من حصّتهم في جيب الزبون ، ولا يتوانى أي أحد عن الفتك بأي منهم عند الحاجة ، فالزبون دائماً على حق ، فقد تحدث مشادة مع زبون وهنا يظهر المتر أو الكابتن كسوبرمان ، يُنقذ الزبون من برائتهم ويصنع من أحدهم أضحية ، يسلمها أمام الحاضرين إذا لزم الأمر . العلاقة الوحيدة خارج نطاق الكراهية هي علاقة المُصوّر مع الراقصات والمطربين أو المطربات ، الذين يحرصون على التقاط صُورهم مع الزبائن لإشباع الرغبة في الانتشار وحب الظهور وترويج سلعهم الفاترة ، فنانو شارع الهرم بأية حال هم درجة ثانية أو ثالثة حين حدوث الانتشار السريع الذي يؤمن المستقبل ، لينظروا بعد ذلك إلى شارع الهرم كشارع محمد على في الأفلام القديمة التي يتعالى فيها البطل على فرقته القديمة وينفي معرفتهم به بعد أن يشتهر ، وعندما يقابل أحدهم يقول له " بعدين . . . بعدين مش فاضي دلوقت " . . . كثيرون لمعت أسماؤهم فانقطعوا عن الكازينوهات نفوراً ، غير راغبين في تذكّر أي ليلة من لياليهم هناك ، فشارع الهرم وكازينوهاتهما المحطة الأولى للانتشار . أفراح تليها حفلات تليها كليبات تراقص فيها أرخص أنواع اللحوم من طافحات الأنوثة ، تضمن إقبالا على السلعة أياً كانت ، ذلك لا يعنى أن مكسب شارع الهرم محدود ، فعدة رميات من النقطة حيث لا تقل الرمية الواحدة عن ألف الجنيه من أحد المعجبين تضمن حياة كريمة للفنان والكازينو بالعاملين فيه ، وصلت مرة في فترة أوائل التسعينيات تحت أرجل إحدى الراقصات إلى ٦٠ ألفاً من ثرى عربي واحد ، ألقاها ألفاً ألفاً لتختمها قدم ناعمة أصابعها مطلية بالأحمر الصارخ رغبة منه في إظهار التقدير ، وعربوناً للمحبة وثنناً ليلية تجود فيها بما تملك لمن يملك . . إلا أنه المستوى الاجتماعي الذي يجب أن يرتقى به فنان

الغازينو ليصبح " Style " ، تطارده الفتيات أينما ذهب لاصقات صوره على جدران عُرفهن ، أو راقصة تغتصبها عيون كل من يراها ، وتصبح قبله للراغبين ، وتصلح كازينوهات الشارع وملاهيهِ أيضاً مقبرة للفنانين الذي مني عليهم الزمن وأصبحوا موضحة قديمة ، فيرجعوا إليه متمسحين فيه بمسح العقيم في قفل باب سيدنا الحسين ، ليعيد إليهم الحياة والشهرة مرة أخرى ، أو يوفّر لهم ثمن جنازة لائقة . . يعمل نظام الكازينو كله على استحلاب الزبون كالبقرة حتى آخر قطرة من جيبه ، باستعداد من داخله المنزف حتى الموت ، فمنذ دخوله يدفع البقشيش كأنه فلاح يبذر البذور في الحقل ، من أول التاكسي الذي ينال مكافأته على كل رأس بالعدد مروراً بالسائس فالبودي جارد والويتر والكابتن " مسئول الطلبات " وبائع الفستق اللحوح وبائعي الورد والفل الأكثر إلحاحاً ، حتى عند دخوله الحمام ، هناك من ينتظره بالمناديل والكولونيا الرخيصة ، دافعاً إيجاراً ليقف تلك الوقفة داعياً له بالشفاء ، ينتظر منه النفحة الكريمة ، ثم المصور الذي ينتظر لحظة مناسبة للانقضاض بيتسم فيها الزبون أو يشير إليه مُعطيًا الضوء الأخضر لالتقاط صورة ، وهناك من يدفع بسخاء لكي يتجاهله المصور وينسى وجوده ، فلا يلتقط له وضعاً أو صحبة شائنة . . أما عن الخمر فأغلب الزبائن من الرواد المستديمين يأتون بها معهم ، لأنهم يعرفون جيداً أن المحلات تُقدمها محلية الصنع مغشوشة ، فيكون الحساب فقط على " أورديف المزة " بفتح الميم وتلك الكلمة الفرنسية التي كانت تعني مُشهيّات " أوردوفر " والتي تحركت بفعل تأكل الزمن إلى أورديف!

أو طبق السلطات والنواشف وبعض الثلج والكؤوس ، علاوة على العصائر المضروبة ، مثل المانجو الذي يصنعونه في الأصل من قرع عسل أو

بطاها مضروبة في الخلاط ، مع كمية صغيرة من العصير المركز لتعطى رائحة طبيعية ولا تكلف المحل شيئاً ، مُعتمدين على كرم المنافسة بين الزبائن تحت أرجل الراقصة ، فتكفي أربع أو خمس ترابيزات مُعمّرة من أصحاب الوزن الثقيل لكي يبيت كُل المُتتبعين قريري الجيوب ، بجانب ضَرْب الفواتير التي يضاف إليها بنود مثل بند إنزال الطلبات ورفعها من على الترابيزات ، خاصة مع الزبون غير المُتمرس ، وإضافة صفر أو صفرين إلى اليمين أو تكرار الجمع وإضافة طلبات لم تنزل للزبون أصلاً وضريبة فتح الزجاجاة الخاصة بالزبون التي يجلبها معه . .

أما عن مدير الكازينو فحدثت ولا حرج فكل تلك البنود تصبّ بين يديه ، فهو ليس شخصاً عادياً ، يجب أن يكون خبرة ومُحنكاً وهادئ الأعصاب ؛ فأغلب العقول التي يتعامل معها عقول فقدت كثيراً من اتزانها . . يملك كثيراً من الحيل التي يطيل بها عُمر الكازينو ، ويدفعه إذا تعثر ، فهو يعلم مثلاً أن المنافسة تخلق العناد والعناد يوكد التهور الذي يدفع بأصحاب الجيوب العامرة إلى نزيف خارجي حاد لا يصدر إلا عن ذبيحة العيد ، فإذا كانت فقراته لا تُدر ما ينتظره ، يعمد إلى تسخين الجو براقصة لها تاريخ ، أو حتى بواحدة جديدة تبرز المفاتن بجرأة لتصنع اسمها ، أو Show روسي ومطربين شعبيين انطلقوا على أكتاف العنب والبلح والمالجو وأحياناً الحمير . . ومن يعرف ماذا أيضاً قد ينطلق على أكتافه الآخرون ليتشروا انتشار الكليب في الـ T.V ، وإن أراد للنار اشتعالاً أخرج من خزينة الكازينو أوراقاً مالية مختومة بختم خاص يسمونها " كيت " ، يلقيها زبون مزيف في الصالة ليشعل المنافسة في إلقاء البواكي والألوف ، منافسة تشبه

مظهر الفلاحين المتجمّعين أمام بيت عتريس في فيلم " شيء من الخوف " ،
القون المشاعل ليحرقوه في بيته ويفرّ " إسماعيل العصفوري " ، ليأتي بعدها
هيان بمقشّات نظيفة وجاروف يجنون بها المحاصيل التي جادت بها الجيوب ،
باوسون بأحذيتهم على ورقة أو ورقتين من الفئات الكبرى ، تتسرّب بعد
ذلك بفعل السحر إلى جواربهم ثم محفظاتهم .

تُفحص النقود بعد ذلك ويُفصل عنها ما قد خُتم ، ويوارى الباقي في
المنزينة إلا ما تمّ تقسيمه على المستفيعين من مُطرب أو راقصة أو عاملين ،
يلقى له عُنصر أساسي لا ينقطع من عناصر الجذب يتمثّل في صدّقات
الكازينو المتبرّعات بمخدماتهنّ ، يُوفّر للزبائن متعة مدروسة ، تُعدّ لهنّ
برابيزة عامرة تُشبه سلك الكهرباء العاري في حَمّ سباحة ، يكهرب كل من
سبحون حوله ، مضافاً إليهنّ أخواتهنّ الشواذ " الأكثر طلباً الآن " لتتراشق
أرقام التليفونات والعناوين ، ويتمّ التفاهم في الداخل والتنفيذ في المكان
المتاح ، أو تأتي إحداهنّ بالزبون من الخارج لتأخذ عليه نسبة من الفاتورة ،
وتنقطع منه لتعطى بقشيشاً لكل من حولها ، حتّى من يفتح لها باب السيّارة
ويضرب لها السلام ويعطيها احترامها . . هناك نوع آخر من البهارات يتمثّل
في لاعبي الكرة وممثلين من الدرجة الثانية والثالثة والممثلات الناشئات ، على
استعداد للقفز في شلالات نياجرا نظير نفحة كريمة تصل إلى سيارات وشقق
نليك ، بجانب سماسرة وقوادين ومورّدي الأمزجة على كل ألوانها . . كل
هؤلاء على حساب " صاحب المخيل " ، ليجد الزبون ما يسره ، ويضمن
بهم رواجاً لا ينقطع . .

بالجو العام وصخب الغناء غير المسموع والرقصة المثيرة والزجاج
وترابيزة صاحبات الكرم الزائد رفيفات السلاح وبعض الأصدقاء ، تكتمل
الطبخة التي يأتي الزبون إليها كما يأتي الجائع لمحل الكباب من مكان بعيد
على رائحة دخانه ، هناك من يأتي في الشهر مرة ، وهناك من يأتي في الأسبوع
مرة ، وهناك من يأتي كل يوم ، يعتبر الكازينو قهوته التي يقابل فيها
أصدقاءه ورفيقاته وينجز صفقاته ويرمى صدقاته على مطريه وراقصاته .
حتى بعض ضباط الآداب لهم حصتهم من " الآتة " المحلولة في جيب
الزبون ، يضمنون مع كل زيارة عشاءاً فاخراً لهم ولأولادهم وكأساً مثلجاً
إذا كانوا من أصحابها ، غير العلاقات الواسعة التي يكتسبونها ، يشترك
أيضاً مأمورو الضرائب بحضورهم إلى الكازينو كل ليلة لإحصاء المكسب
واقطاع ضريبة الملاهي ، التي تقل أو تزيد على حسب سُمك الظرف الدائم
المتسلل إلى الجيب ، ومستولي المصنّفات فاحصي رُخص الفنانين
والراقصات هم وموظفو النقابة للتأكد من أداء الفنان والراقصة للرُسوم ،
أغلب هؤلاء يقدمون تقاريرهم اليومية أو الأسبوعية لإداراتهم على أن كل
شيء على ما يرام وأن الزبائن صلّت العشاء جماعة قبل السهر وقدموا
صدقات للعاملين وهم يحتسون النيسون والنعناع والزنجبيل بالثلج . . خلب
تأكل وتشرب وتعيش على حساب شاهبندر التجّار المتأثّق . . من يشتر
كهرمانه ويلقى بصُرر الدنانير في كل اتجاه . .

هكذا أرسى الحكيم " جوذا " . . آه أقصد جودة تعاليمه لتلميذه الذي
استوعبها في فترة وجيزة ، صبّ له ثلاثين عاماً من الخبرة اكتسبها من الزمن
تركت فيه ندبات نفسية تراها بالعين المجردة ، أيام حلوة ومرة ، قصص

وحكايات أخذها أحمد كمال في حقنة مُركزة مختصراً عُمراً طويلاً مملوءاً
بالمعانة والشقاء في ذلك المكان البائس . . كان الدويتو أو ثنائي المصورين
سمّى " ويبدو " فكان أحمد " ويبدو " لجودة أي توعمه في العمل، يجب أن
يكون في الصالة على الأقل مصوران، أحدهم يذهب بالفيلم ليطبعه والآخر
يظلّ في الصالة حتّى لا يُغادر الزبون " الغائب الحاضر " ويترك الصور،
فمن الصّور يُحصّل بعد التسليم، لذا في العادة يذهب جُودة للإشراف على
الطبع وعمل مُكررات من الصورة الواحدة لتدبّيس الزبون فاقد القدرة على
العَد، ويظلّ أحمد في الصالة لمتابعة الزبون أو تصوير زبائن أخرى . .

هكذا مرّت الأيام على أحمد، نوم بالنهار حتّى الظهرية وعمل من الليل
حتّى السادسة صباحاً، وفترة من وقت الفراغ تتخلّل اليوم كله، من الظهرية
وحتّى التاسعة مساءً . . بداية وصول الزبائن . .

لم يكن العائد سيئاً بالنسبة إليه خاصةً أيام الخميس والسبت، يكفيه أن
يعيش ويتنفّس احتياجاته الأساسية ويُدخّر مبلغاً صغيراً يشتري به شيئاً
لأخته أو يدسه في يديها مُساعدةً لهذه البائسة، من وراء زوجها الذي يعتبر
كل ما يأتي منه حراماً ولا يقبله، أو يشتري لنفسه ملابس ويقضى وقتاً مع
أحد الأصدقاء القدامى على القهوة، متذكراً أيام المدرسة، وقت أن كانت
الدنيا ترفق بحاله . .

كانت فرقة " ربيع البدرى " قد لملت آلتها واستعدت للرحيل إلى
كازينو آخر يكمل فيه فقراته، أو يطوف في جولة على فرحين أو ثلاثة يهد
فيها حيل عريساً وعروسة بأغانيه الصاخبة وعرق يتصبب وفروة رأس
مدهونة بالحنة لتخفي الصلع وفرقة جائعة لا تشيع، وحلّ محلّهم سبعة

رجال يرتدون زيّاً موحّداً من القمصان الساتان السوداء ذات الأساور
الدانتيل البيضاء، ويحملون حقائب كثيرة الدورانات مميزة للآلات
الموسيقية، وبدأوا في إعداد المسرح لاستقبال سالي . .

٣٦ عاماً هو عمرها، ولكنها تبدو في الثامنة والعشرين، بيضاء
كالشمع، شعرها كستنائي طويل ومموج يصل إلى وسطها، وجهها صعب
مقاومته، وجسمها تعود من دوام الرقص على الاهتزاز حتى وهى نائمة،
تلمح في عينيها تلك النظرة التي تقول لك: أنا خبيرة أكثر من اللازم،
مخلوقة ليلية تشبه في هياتها الضئيلة وشفافية جلدتها المعنى به جيداً
مصاصات الدماء في أفلام دراكولا . .

في الأصل كانت طالبة في كلية الآداب، كان عمرها حينئذ ٢١ عاماً،
عندما تخرّجت عملت مٌضيفة في شركة للطيران التي لم تكمل فيها عامها
الثاني حتى خرجت بسُمعة وسيرة سبقتها لتفتح أبواباً أخرى للرزق، لجأت
إلى وكالة إعلانات بعدما أخذت عدداً لا بأس به من الصور بأستوديو في
شبرا أبرزت فيها نعم الله عليها، لتدخل بعدها عالم الفن من باب الفيديو
كليب، ظهرت بعدها في الخلفية وراء أحد المطربين مع زميلاتها في المهنة،
تتلوى كأن أحداً وضع لها سم في حاحة صفراء، تشبه حركات الإخطبوط
قليلاً لو لبس من غير هدوم، ثم ظهرت كفتاة رئيسية مع مطرب بصدع
عريض ينوح على حبيبته التي ركبت موتوسيكل " هارلى دافيدسون " في
الصحراء مع حبيب آخر، وتركته بجانب العمود الروماني الأزرق، عند
عازف الساكس أبو عضلات المرتدي صديرياً مذهباً على اللحم، دخلت في
علاقة أو اثنتين مع بعض المتجبن الذين أصروا على اختبار موهبتها بأنفسهم
في غرف النوم مما أثبت جدارتها وحسن أدائها . .

ولكنها وجدت أن تلك الطريقة لن تعبر بها إلى الصدارة وستظل في
الدرجة الثانية ، فانتهزت الفرصة في فيديو كليب مع مطرب شهير ورقصت
'بلدي' أمامه كما لم ترقص من قبل ، تكلم عنها كل من رآها لتدخل
بعدها عالم الرقص من أوسع أبوابه ، عالمًا رأت فيه مدى براعتها ، ورأت
فيه العيون المعجبة المتشوقة وهي تعانقها . . تتذوقها . . تتخلل كل خلية في
جسمها وهي ترقص ، وتدق على الأرض بأرجلها الصغيرة دقات تُدغدغ
القلوب وتثر سحرها على من حولها ، فيلتفون حولها كالضفادع في موسم
الزواج حتى يفوز بها أحدهم ، حتى استيقظت البلاد يومًا على شريط
مضبوب يجمعها بهشام فتحي رجل الأعمال المشهور . . كان الشريط
عاطفيًا . . من لحم ودم . . انتشر ككُل فيلم سكس مُحترم على أجهزة
الكمبيوتر وأشرطة الفيديو ، ونشرت بعض الصحف لقطات مأخوذة منه . .
اهارت سالي . . ادّعت زواجها العرفي من هشام وخديعته لها . . ذهبت
للحج والعمرة ولو طال أن تذهب إلى القدس لذهبت . . طواها النسيان
عدة أشهر إلى أن رجعت في برنامج لتذرف دموع الندم والحسرة على من
باعوها وتخلّوا عنها . .

عاشت زمنيًا في دور الضحية ، إلى أن قرّرت الرجوع مرةً أخرى على
دبرط أن لا تحصل على الأجر نفسه نظرًا إلى فضيحتها السابقة . . حصلت
على خمسة أضعاف!! من لا يُحب أن يرى سالي بعدما شاهدها في أكثر
لحطاتها حيمية؟؟ أصبحت سلعة غير مشكوك في قوة بيعها . . بات كازينو
باريس بالنسبة إليها أروًا محطّة تربطها بالماضي . . حاولت كثيرًا إنهاء عقدها
لولا علاقة حيمه بصاحب الكازينو الذي تحملها وقت الشدّة . . إلا أنّها

خَفَضَتْ أَيَامَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُسْبُوعِيًّا بِجَانِبِ حَفَلَاتِ رَأْسِ السَّنَةِ وَالْحَفَلَاتِ الْخَاصَّةِ وَزِيَارَاتِ دَوْلِ الْخَلِيجِ الَّتِي صَنَعَتْ لَهَا اسْمًا لَا يُضَارِعُهُ اسْمٌ . . . صَنَعَتْ مِنْهَا أُسْطُورَةً . . . كَانَ هُنَاكَ أَيْضًا " كَرِيمَ أَبْصَ " . . . مُدِيرَ أَعْمَالِهَا، ذَلِكَ الرَّفِيعُ ذُو الشَّارِبِ الْعَرِيضِ الَّذِي يَكَادُ يَتَسَبَّبُ فِي سَقُوطِهِ عَلَى وَجْهِهِ، الَّذِي احْتَضَنَهَا مِنْذُ فِتْرَةِ الْفُضِيحَةِ إِلَى عَوْدَتِهَا لِلْأَضْوَاءِ . . . لَنْ تَنْسَى جَمِيلَهُ وَوَقْفَتَهُ بِجَانِبِهَا وَقْتَ أَنْ تَجَاهِلَهَا الْكَثِيرُونَ . . . يَرْتَدِي الْجِينِزُ الْمَتَهَتِّكَ ذَا الرَّقْعِ عِنْدَ الرُّكْبِ وَيَلْبَسُ حِظَّازَةً فِي يَدِهِ الْيَمْنَى، وَلَا يُنْزَلُ تَلِفُونُهُ الْمَحْمُولُ لِحِظَّةٍ مِنْ عَلَى أُذُنِهِ، أَصْلَعٌ قَلِيلًا مِنَ الْأَمَامِ وَبِأَنْفِهِ نَدْبَةٌ مِنْ أَثَرِ خِلَافٍ قَدِيمٍ انْتَهَى لِغَيْرِ صَالِحِهِ، أَزْرَقُ الشَّفَاهِ مِنْ أَثَرِ تَدْخِينِ كُلِّ شَيْءٍ مَزْرُوعٍ عِدا الْمُلُوخِيَّةِ، وَجَدَ طَرِيقَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ مِنْذُ عَهْدٍ قَدِيمٍ كَانَ فِيهِ زَبُونًا تُفْتَحُ لَهُ الْأَبْوَابُ وَتُبْعَثُ أَمَامَهُ الْوُرُودُ حَتَّى أَدْمَنَ وَضِعَّ كُلِّ مَا كَانَ يَمْلِكُ، وَضَرَبَهُ الْفَقْرُ فِي مَقْتَلٍ فَبَدَأَ يَنْصُبُ وَيَحْتَالُ وَانْتَهَى بِالْقَوَادَةِ، عَلَى اسْتِعْدَادِ أَنْ يَرْقِصَ وَيَغْتَنَّى فِي فَرْحِ بِنْتِ الشَّيْطَانِ الْبِكْرِيَّةِ لَوْ تَلَقَّى الْمَقَابِلَ الْمُنَاسِبَ الَّذِي يَرْضِيهِ . . . تَزَوَّجَ بِسَالِي بَعْدَ فَضِيحَتِهَا لِالْتِقَاءِ مِصَالِحَهُمَا، وَلَمْ يَخْلُ بِهَا عَلَى كُلِّ جَوَادٍ مِنْ زِبَائِنِهِ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْلَى سَلْعِهِ . . . تُجَارُ وَأَعْضَاءُ مَجْلِسِ شَعْبٍ وَأَثْرِيَاءُ عَرَبٍ، نَظِيرَ مُرْتَبِ عَشْرَةِ مُوظَّفِينَ فِي سَنَةٍ، يُوصِّلُهَا بِنَفْسِهِ وَيَلْتَقِطُهَا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ حَرِصًا مِنْهُ عَلَى سَلَامَتِهَا وَيَتَقَاسَمَانِ الْغَنِيمَةَ مَعًا . . . ثَنَائِي غَرِيبٌ تَجْمَعُهُمَا الْمِصْلِحَةُ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ حُبٌّ لَافِتٌ لَا يُفْسِدُهُ أَوْ حَتَّى يُعَكِّرُ صَفْوَهُ أَحْضَانُ ثَرَى عَشِيقٍ بِأَخْذِهَا لَفَّةً كَالْبَيْسْكَلِيَّةِ . . . تَضَخَّمَا كَثِيرًا بَعْدَ الْفُضِيحَةِ وَتَغَيَّرَ أَنْوَاعُ مُرِيدِيهَا . . . غَلَا ثَمْنُهَا وَأَصْبَحَتْ " سَالِي الْإِسْكَندَرَانِي " أَكْثَرَ النَّمْرِ طَلِبًا فِي الْفَنَادِقِ وَالكَازِينُوهَاتِ وَعَلَى رَأْسِهِم

كازينو باريس . . درة شارع الهرم . .

كان قد مر شهر . . حاول أحمد فيه نسبياً أن يتمود على الجسو العسام للمكان وبياته في عُرفته الجديدة المتواضعة ، كان يحاول أن يستشعر الزبائن ، من يرغب في صورة ومن لا يرغب ، بعد عدة مواقف مُخرجة أشاح له زبونان ، ولوح ثالث أن ابتعد رفضاً لخدمته ، حاول بعدها أن يتطبع ، ولكن مسافة كبيرة كانت حائلاً دائماً بينه وبين تفهّم ذلك المكان ، وحتى بدعم جودة الذي لا يعرف له سبباً سوى أن الرجل طيب ويشعر بظروفه ، ظل على عدم وفاق مع مكانه الجديد ، فجودة اعتبره ابنه الذي لم ينتجبه ، يتابعه أينما كان ، يفقهه في أمور الكازينو وكيفية انتزاع الرزق من أفواه رواده الغائبين عن الدنيا . حكي له جودة في برنامج يومي الذي لا يذاع على القنوات الفضائية عن خلفية معظم المنتظمين منهم والمشاهير ، وعلى غير مادته في إضفاء بهاراته السحرية على حكاياته ، لم يضيف منها الكثير في سرده للسيرة الذاتية لرواد المكان ، إلا أنه في النهاية لا يختم حلقاته إلا بحكاية أو اثنتين عن ويلات الأسر والعذراء الفاتنة التي انتحرت لأنه رفضها ، وحكاية التمساح الذي ظهر له في مياه البحر الأحمر وضربه بالجاروف البلاستيك في عينه ففقأها ، على أية حال فيما يخص قصص رواد المكان كانت نسبة الصدق لا تقل عن ٧٠٪ وأكمل باقي المعلومات من الآخرين في الكازينو . .

جودة : صحصح يا أبو حميد . . . كان أحمد قد شرد في ترابيزة رُصت عليها ثماني زجاجات بيرة يجلس عليها رجل سمين جداً ، عرف من جودة أنه من تجار الذهب ، يلعب في شنبه الكثيف بيد وبالأخرى يداعب أسفل مهر صديقه التي ترافقه ويهمس لها فتضحك بصوت مسموع . .

ترك جودة الكاميرا مع أحمد . .

جودة: خلتها معاك . . وختى عينك عليا . .

اقترب من صهريج النساء الرابض على الترابيزة وفي هدوء أخرج وردة جربانة من جيبه ووضعها في عروة جاكته السمينة كغطاء السيارة، واقترب أكثر وهمس في أذنه ببضع كلمات انفجر الرجل على أثرها ضحكًا، وكاد يطيح بالزجاجات أمامه، ثم انتصب جودة وأشار لأحمد بأطراف أصابعه أن اقترب، وهمس مرة أخرى في أذن السمين الذي أجاب بهزّ وجهه علامة الموافقة، بعدها أصابه أحمد بعدة لقطات، وبجانبه صديقه بشعرها الأصفر الناري المصبوغ، وصدرها الذي كاد يقفز من مكانه بعدما ضمّها ضمة الديناصور كأنها علبه عصير فارغة، ضاحكًا يكاد يظهر كبده في الصور، حتى رفع يده بإشارة أن كفي فأشار جودة لأحمد أن يستمر مع الفتاة وحدها . .

غمز جودة عينه: خد كام كلوز هنا للهانم لوحدها يا أبو حميد دو

أصحاب محل . .

ثم انسحب أحمد ووراءه جودة: هات الفيلم وختيك هنا .

أحمد: عايز آجي معاك .

جودة: تعالى .

دخل جودة معمله المتّخم بكل أنواع الكراكيب والروبايكيا الممكن الحصول عليها، فهو لا يرمى شيئًا، حتى علب الأفلام البلاستيك الفارغة، يُكوّمها في كيس كبير كأكياس الرُبالة في ركن من أركان الغرفة، كاميرات قديمة عفي عليها الزمن وماكينات غريبة لا تستطيع أن تميز فيما كانت

لعل؟ تبدو أحياناً كما كينات الخياطة، وأحياناً تبدو كصواريخ سام ٦ . .
وذلك الدولار القديم . . ليس دولاباً بالمعنى المعروف ولكنها وحدة صغيرة
بها الآلة أدرج، يحمل جودة مفتاحها الصديء القديم الذي يحمل رسمه
معمورة في جيبه دائماً . .

أحمد: والدولاب ده حاطط فيه إيه يا عم جودة؟

حمودة: ده حبيب قلبى ده . . معايا من أيام الجيزة يا حمادة . . ياما شلت
فيه بلاوى . . أسرار عسكرية وباسبورتات وصور وأفلام
وجوابات من عبد الناصر . . ما إنت عارف شغلنا بقه في
المخابرات . . كتم أحمد ضحكته بصعوبة: يا إبن الإيه يا عم
جودة . . ده إنت مُشكلة صحيح . . وعبد الناصر كان بيعتلك
جوابات شخصياً؟

حمودة: أمال . . يا إبنى كان منى ليه على طول . . مفيش سكرتارية ولا
حتى حرس بيننا . .

أحمد: طب ما تورينى حاجة كده . .

حمودة: ماينفعش يا حمادة . . الأسرار دى لسه ما اتكشفتش . . أروح في
داهية . .

كان مولعاً بأدوات الصيانة . . مفكات وكماشات تجدها في أي مكان،
بمنايب علب أوراق طبع وجراكن الأحماض والصور المصفرة المعلقة
بأبائس، لا تكاد ترى لون جدران الغرفة منها، أغلبها أبيض وأسود، بينها
مدد لا بأس به لجودة في شبابه مُرتدياً النظارة البيرسول التي لم يتخل عنها
حتى الآن . . صور لفنانين وفنانات وراقصات، لكل صورة حكايتها عند

جودة، فكل راقصة من هؤلاء أحبته وذابت في هواه وتركها لغيرها وكل مطرب كان صديقاً له، يُسلفه النقود ويعزّمه على العشاء، يلهث وراء جودة ليصوّره صورة تفتح له أبواب المجد والشهرة، حكى له مرة أن أغنية "عدوية" التي شهرت "محمد رشدي" كانت من تأليفه وأنه أوحى لعبد الحليم بأغنية "أحضان الحباب" وكانت "أم كلثوم" تقول له: "واديها جوده، عايزة آخذ رأيك في لحن تقوللى خلو واللا وحش" فيقول لها: "تؤميرني يا ست الكل . . ."

بجانب بعض الصور لناس غير معروفين قال: "دول أصدقاء مش هقدر أحكيك عنهم عشان مخبرات" كان يغوص في قصصه الخيالية كأليس في بلاد العجائب، لا يشعرُ بحدود الزمن ولا يقدر عمره، فهو صديق عزيز لمحمد نجيب ومصور شخصي لعبد الناصر والسادات، ويعرفه الملك فاروق بالاسم، يحكى الحكاية مرتين أو ثلاثاً كل مرة بأسلوب مختلف وينسى أنه حكاها . . . حكايات مسلية لم يستطع أحمد مقاومتها . . . يكتم ضحكاته وهو يهز رأسه في انبهار من يصدق . . . كان جودة قد أطفأ النور ولم يضيء النور الأحمر كالأفلام العربي لأنه يطبع صوراً ملونة، يُمسك بالنيجاتيف بجرص، ويضعه تحت المكبر ليصنع من صورتين للتاجر، عشر صور، مرة بالطول ومرة بالعرض ومرة صورة قريبة، ومرة بعيدة، وصورة بداخل قلب، ثم صور بورتريهات كثيرة للفتاة وحدها، يذهب بعدها إلى زبون الذي نسى أصلاً أنه تصوّر واضحاً الصور في ألبومات عليها اسم المحل، ليعرضها عليه وعلى صديقه، ليُخرج من جيبه رُزْمه مئآت مَخنوقة بأستيك قد تسدد ديور مصر . . . يسحب منها أربع ورقات يدسها في جيب جودة، فتهمس له الفتاة

بان يمزج العطاء فيحرر ورقتين أخريين من أسرهما . . تأخذ بعدها الفتاة
الصُور وتنتقى صورها وحدها ليأخذ هو الباقي بيده تحت مفرش الترابيزة
وهمزتهم شرمُومق!!

أحمد: الراجل قطع الصور!!

جودة: ما أنا عارف .

أحمد: هي مش عاجباه؟

جودة: لأ عاجباه .

أحمد: مش فاهم .

جودة: عايز يشوف نفسه بس معاها، يسجل لحظة حلوة وبعدين
ينساها، ده متجوّز وعنده عيال قدك . .

أحمد: بس كده؟

جودة: أه بس كده . . والهانم اللي معاها دي زبونة هنا على طول، بتجر
معاها كل كام يوم خروف عيد، يبجي يدبج هنا وتأخذ
عمولتها . . وهو برضه يجيب كل كام يوم واحدة جديدة يتصور
معاها ويقطع الصور . . نقول لأ؟؟ . . طب إيه رأيك أنا مرة
سلمته صورة، حاسب عليها وقطعها وبعد ساعة طبعها تاني
واذيتها، حاسب عليها تاني وقطعها . .

أحمد: !!!

لحظات وتلتقون بنجمة مصر . . ملكة الرقص الشرقي . . الفنانة

. الى . .

هكذا صاح متعهد الفنّانين لتبدأ الفرقة التي جلست في وضع الإستعداد
في عزف " إنت عمري " . .

انسحب أحمد إلى الوراء سانداً رأسه على الحائط، وأشعل سيجارة ثم ما
لبث أن أطفأها بعد نفسين فقط . .

قضت الفرقة ما يقرب من الخمس دقائق تعزف مقدمة الأغنية، تعيدها
مراراً وتكراراً حتى صفر أحدهم وزفر الآخر، إلى أن أراحتهم سالي من
على يمين المسرح، تتابعها دائرة ضوء تأتي من الخلف، كانت ترتدي بذلة
ذهبية مثالثة تكشف عن أكثر الرغبات اتقاداً في نفوس البشر، يطير شعرها
الكستنائي خلفها حين تدور، تتقصّع وتتمايل برأسها للأمام، تجذب معها
الأدمغة كأنها حجر المغناطيس في مواجهة جيوش برادة الحديد، اقترب
أغلبهم من المرقص مشدودين لها بخيط غير مرئي، ظهرت تليفوناتهم الغالية
بكاميراتها وأخذوا في تسجيل تلك اللحظة الفريدة التي تنشئ فيها سالي
بطء ليظهر صدرها الذي يكفي لإرضاع منطقة وسط البلد وعابدين .
واضعة سبابتها في فمها مثيرة إعصاراً من الخيالات في نفوسهم، يعتقد كل
من يتلقّى نظرة أو غمزة أنها ترقص له وحده، في حين يدور " كريم أبص "
من خلف الترابيزات كأنه الدورية الراكبة، يراقب الزبائن كصائد الحماموس
الجبلي، ينتقى منهم من يصلح للصيد، حتى تقع عيناه على بنك صغير
متأنق يجلس على إحدى الترابيزات الملاصقة للمرقص، يُخرج من جيب
بدلته رزمة عدّ منها عشرين ورقة فئة المائة ودسها في يد أحد الويترز ودس
معها خمسين جنياً في جيبه وهمس في أذنه أن أسرع، ليذهب بها الويتر
خلف البار ويصنع له عقداً من البنكنوت بعد أن يخصم منها ضريبته

الماصرة، ليعود به للرجل الذي قام يهتز واقترب من البيست وما إن رأته سالي حتى اقتربت منه كما تقترب الزرافة من حافة القفص ليطعمها الزوار، فرقص بجانبها قليلاً ثم وضع العقد حول عنقها، وضرب فلاش جودة سمته المبتلة بالعرق ضربتين، مرة وهو يمسك بيد الراقصة وأخرى وهو يمسكها العقد، في حين نظر " أبص " إلى متر الصلاة الذي رفع إصبع الإبهام إلى أعلى علامة على خلو الصلاة من بوليس الآداب، فأشار إلى سالي إشارة منها أن الدار أمان، فاقتربت من الرجل الملتصق بالمرقص الذي أهداها العقد ووضعت رجلها اليسرى فوق فخذه وأخذت ترقص على ذلك المرقص، ضاغطة بأصابعها المصبوغة بالأحمر على أعصابه، مدغدغة غدته الحامية حتى أفرز من جانب ضلوع البذلة الرزم وأخذ يلقبها تحتها الواحد والآخر، فاحتقن زبون آخر في الجانب المقابل وأخرج من جاكته العمارة رمتين متخمتين صنع منهما دائرة وناداها لترقص بداخلها، فتركت الأولى وذهبت إلى الثاني ورقصت في دائرته واختطف جودة لهما الملتصق " à laVotre " . . مصطلح يقال عندما يقامر المصور على تقبل الرن لتصويره من دون أن يأخذ رأيه في التقاط الصورة، وهى خطوة ما إن أحمد يجرو بعد على اتخاذها . .

مرّت الأيام رتيبة مكررة، كل يوم تراق فيه الألوف بلا رحمة على أرضية المسالة، تدوسها أقدام راقصة أو حذاء لامع ثم تجمعها الجواريف الاستيكية وتقسّم الغنيمة بعد ذلك على المنتصرين . .
 كم تمنى أحمد أن يحصل على غرفه جاروف! كم تخيل تملكه لغلة يوم

!!..!!

عَرَقَ مَعَطَّرَ ورائحة أنفاس كحولية، نظرات وتليفونات مُبادلة،
اتفاقات مشبوهة وضحكات مشوهة. ليل طويل ونهار قصير، وعُرفه
مظلمة بلا مروحة، لقطات بعيون ميتة لا لمعة فيها ودُخَان يعمى الأعين
مسافة شهر، لم يكن أحمد يملك من الأمر شيئاً. . كان يتحمّل لأنه لا يتمتّع
بجُرْية الاختيار. . حاول تَجَنُّب المتحفّزين قدر استطاعته. . كان يعرف أنه
لن يتحمّل الصدام. . لن تسمح به نفسه. . على عكس جودة الذي
سُحقت نفسه وأصبح وجهه مكشوقاً. . يتسم للقبُح ما دام قد دسّ الورقة
المللونة بين يديه. . يلتقط المواعيد والإشارات كالتقاط الراديو
لموجة الـ "FM" غصباً. . لا يملك إلا سماعها. .

كانت الشمس قد توسّطت السماء عندما خرج أحمد كعادته ليأتي
بمتطلّبات معدته مصطحباً الكاميرا. .

أو ما تبقى له من الأهل. . متّجهاً إلى ميدان السيدة ماراً بمنظر يستوقفه
دوماً حين يخرج، قريباً من كوبري الجامعة في شارع مراد، يلتقط له صورة
أو اثنتين في سرعة، ثم يمضي في طريقه إلى أخته، زيارته شبه الأسبوعية. .

.....

ابعثت أصوات مكتومة تحمل أثر آيات قرآنية وصرخات مبتورة من شقة
لعمال إبراهيم سابقاً . محمود حسيب حالياً . . استوقفت أحمد تلك
الأصوات دقيقة كاملة، حاول فيها أن يستوعب ما يجري قبل أن يضرب
الجرس ضرباً مُبرحاً حتى نَزَفَ، سكتت الأصوات، بعدها سمع صوتاً
بصيح : أنا مش قلت الجرس يتفصل .

ثم سمع وقع أقدام تقترب من الباب الذي انفتح . .
" السلام عليكم ورحمة الله . . " التي فتحت كانت فتاة تلبس النقاب لم
يعرف إليها . .

أحمد : آية؟؟

الفتاة المنقبة : الأخت آية جوه أقولها مين؟

أحمد : أحمد أخوها . .

دهبت الفتاة وأتت آية : السلام عليكم . . تعالى يا أحمد . . خش على

ملول الأوضة اللي في الوش عشان محمود عنده ضيوف .

مر أحمد بالغرفة التي يجلس فيها محمود وضيفه ولم يستطع أن يستشف

إياها من الجالسين بسبب الزجاج المُصنفر فجلس في غرفة آية وجذبها من

أحمد . .

أحمد : فيه إيه جوه؟؟؟

آية : مالك فيه إيه . . . دول ضيوف محمود . .

أحمد : أنا سامع صريخ من بره .

أغلقت آية باب العُرفة ورجعت : دول ضيوف محمود ومعاهم واحد ربنا
مُبتليه بيحاول يساعده، ربنا يعفي عنك . .

أحمد : يساعده إزاي يعنى .

آية : فيه مخلوق سُفلى والعياذ بالله راكمه، جن كافر .

أحمد : جن لما يركبك إنتى وهو، إيه يا آية اللي حصل لك، أمال لو
ماكنتيش مُتعلّمة، وبعدين الباشمهندس بتاع الكمبيوتر من إمتى

بيطلّع جن وعفاريت؟؟

آية : وطى صوتك . . . الناس هتسمعك ما تخرجنيش .

أحمد : يا آية إيه التخلّف ده، إنتى رايحة على فين إنتى وهو؟!

آية : الجن مذكور في القرآن والمس كمان وبعدين محمود بيعالج بالقرآن
مش ساحر . .

أحمد : وهو من إمتى يفهم فيه؟!

آية : محمود ربنا فتح له باب من عنده، ووهبه شفافية وكرامة وبعدين ده
كله لوجه الله، إحنا مابنتقاضاش أجر على ده . .

أحمد : يا بنتى الواد ده مش فاهم حاجة، إنتى عارفة آخرة اللي بيعملوا
ده إيه؟؟ دى شقّة أبوكى وأمك إنتى نسيتى، عايزة تقلبيها
مصّحة للجن والعفاريت، ده إنتى كنتى في كليّة الآداب يعنى
فاهمة، مش جاية من ورا الجاموسة عشان تسمعى كلام عم "
ديفيد كوبر فيلد " ده . .

آية : أحمد لو سمحت ما تتكلمش معايا بالطريقة دى وبعدين إنت . . .

في تلك اللحظة لم يكن أحمد ينظر إلى آية، كان يحدق في مساحة مستطيلة
أونها أفتح من لون الحائط كانت عليها صورة زفاف لأبيه وأمه . .

أحمد: فين الصورة اللي كانت هنا؟
آية: موجودة .

أحمد: مين اللي شالها؟ محمود؟

آية: أنا اللي شلتها مالکش دعوة بمحمود . .

في تلك اللحظة فتح محمود باب الغرفة بذقنه التي ازدادت طولاً
ومعثرة . . السلام عليكم . . هو من الذوق إن الصوت يعلا كده وعندنا

صوف يا آية . . إزيك يا أستاذ أحمد؟

أحمد: إنت بتتكلم عليا أنا طبعاً .

محمود: صوتك جايب لآخر الشارع يا أستاذ أحمد، وأنا عندي
ضيوف .

أحمد: الكلام ده ماتعملوش في شقة أبويا يا محمود يا حسيب .

محمود: والله ده بيتي وأنا حر فيه .

النتف أحمد لآية: طبعاً إنتي موافقة على الكلام ده . .

آية: يا أحمد لازم تقرأ شوية في الدين، الدين مش صلاة وصوم وبس . .

أحمد: ومش جن وعفاريت كمان يا آية . . فين صور أبويا وأمي . .

آية: فوق الدولاب في الصندوق الكبير .

بعصية سحب أحمد كرسياً وألصقه في الدولاب وصعد، ففوجئ بأكوام

من الصور غطتها الأتربة، كانت تملأ البيت في يوم من الأيام . . مراحل

نوره وعمر أخته، لقطات لأبيه يحمله على كتفه، ولقطة تجمعهم كلهم وآية

لا زالت في اللّفة ولقطات لآية على البحر ، ولقطة بصفائرها على كرسي مر
البامبو الأبيض واضعة رجلاً على رجل ، وصورة الطفل الباكي ، تلك التي
تجدّها في كلّ بيت محترم مر بفترة السبعينيات ، وتمثال خشبي لأفيال
إفريقية ، وشهادات وأوراق كانت لها قيمة ولم تعد ، ذكريات سجّلها أبوه
هي ما تبقى من رائحته . . من رحلة شقائه . .

نفض أحمد التراب : الصور حرام مش كده؟؟

محمود : لو قرّيت هتعرف إن الجن بتسكن فيها وكلّها نجس . .
رماه أحمد بنظرة متحفّزة أسكتته ، ونظر إلى آية التي اضمحلت في ركن
الغرفة : كده يا آية ! أنا ماشى . .

آية : يا أحمد ربّنا يهديك استنّي وافهم ، محمود مش قاصده بس دى
الحقيقة ، التّصوير حرام وفيه أحاديث كثير أوى بتنهاننا عنه ،
وبعدين أنا مارميتش الصور أنا بس جنبّتها . .

أحمد : يعنى الناس هتُعبّد الصّور . . وجن إيه اللي ساكن في صورنا ده
كمان . . يا بنتى دى كانت شُغلة أبوكى اللي ربّاكى منها .
دلوقتى الجن ساكن فيها . .

قالها واتجه ناحية باب الشّقة دافعاً محمود في كتفه ووقف أمام غُرفة
الضيوف وفتح بابها فوجد ثلاثة رجال ريفيين وبنت جميلة في العشرينيات
يُبلل وجهها العرق ، نائمة على كتف سيّدة عجوز وعيناها تنظران إلى سقف
في شرود ، نظر إليهم لحظة ، ثم انسحب إلى باب الشّقة في حين هرول محمود
إلى داخل غرفة النوم وعاد بظرف أبيض . .

محمود : استنّي يا أستاذ أحمد . . ورفع يده بالمظروف . .

عطر أحمد إلى آية التي أنزلت النقاب على وجهها عندما اقتربت من الباب
فلم يقرأ ملامح وجهها : إيه ده؟
همود : آية ما بتخبّيش عتّى حاجة . . وأنا ما أدخلش بيتي قرش حرام ،
وقر مصاريفك . .

عرف أحمد ما في الظرف فجذبه ووضع مع الصّور التي أمسكها بصعوبة
لعلها ونظر إلى آية نظرة أخيرة خالية من المعنى قبل أن يرحل . .

مشى أحمد كثيراً حتّى أدركه التعب فركب من ميدان الجيزة إلى
القازينو . . لم يكن يفكر إلا في شيء واحد . . ذكرى رحلة إسكندرية
السوية التي كانت تجمع الأسرة كلّها ومُداعبات أبيه لآية ، الأيس كريم
والهريسكا والجري على البحر ، ركوب البدال وملاهي العجمي . . كان كل
أمر مستقراً كالسواج الهادي ، كابتسامة أخته وهي على كتف " عم كمال "
لم يرفع يدها بسعادة في وجه البحر . .

" كنت فين يا أبو حميد . . "

ثان أحمد قد وصل إلى الكازينو . . دخل غرفته . . وضع الصّور بجانب
سريره وعلّق صورة أبيه وأمه على الحائط . . وغفل حتّى دخل عليه
همود . .

أحمد : ولا حاجة يا عم جودة كنت بزور أختي وجبت من عندها شوية
صور قديمة لأبوي وأمي . .

همود : والصور عليها تراب كده ليه .

أحمد : كانت مركونة بس .

همود : وشك مش مبسوط ، فيه إيه؟

أحمد : ولا حاجة يا عم جودة أنا كويس . . . الساعة كام؟

جودة : الساعة عشرة إلا رُبْع ، والصالة بدأت تتملى . .

أحمد : خمس دقائق وأحصلك .

جودة : مش عايز تقوللى مالك برضه؟

أحمد : بعدين يا عم جودة . . . بعدين .

كانت الصالة في ذلك اليوم مُكْتَظَّة مُبَكَّرًا عن ميعادها ، فالיום خميس

وكما يقولون عيد ميلاد إبليس . .

امتلات الترابيزات ، ورُصَّت عليها الكؤوس وأطباق المزة العامرة ،

صَخْب وضحكات ، رائحة عَطُور مُتداخلة ، ودُخان وملابس مُلتصفة

ترحف تحتها الأيدي ، قُبَل مُختلصة ونظرات جائعة . .

" مين ده يا عم جودة؟ "

كان أحمد يشير إلى ذلك الرجل الذي لم يألُفه في الكازينو من قبل . .

جودة : قاعد فين؟

أحمد : تالت صف على الشمال .

جودة : ده يا سيدى جلال مُرسى بتاع جرنال الحرية .

أكله أحمد بنظِّره ، صلعته اللامعة ، سنين عُمره التي أشرفت علم

الخمسين ، عيناه الواسعتان اللتان تبدوان مُكْتحلتين وأسنانه ناصعة البياض ،

أنفه الحاد ، أصابعه الرفيعة وأظافره الطويلة ، شعره الذي بدا أسود فاحمًا

من أثر صبغة حديثة ، وولاعته البنزين الذي لا يتوقَّف عن فتحها وغلقها .

عصبية وسيجارة وكُد بها بين أصابعه كالعيب الخلقى . .

أحمد : أول مرّة يبجى هنا؟

جودة: لاده زبون هنا على طول . . بس بييجي كل فترة .

أحمد: ومين اللي قاعدة معاه دي؟

جودة: بتسأل كتير . . واحدة زي أي واحدة بتيجي هنا .

أحمد: شكله مش باين عليه ، اللي يشوف جرناله مايتخيلش إنه كده .

جودة: الناس هنا حاجة وبره حاجة تانية ، هنا زي دورة الميه ، الواحد

بيعمل اللي يتكسف يعمله وسط الناس ، يقلع هدومه ، يغنى في

المرايا . . يعمل روايح وسخة . . براحتة ، المهم إنه يُخرج

مرتاح .

أحمد: أشوفه يحب يتصور؟

جودة: إنسى . . ده بالذات ماللكش دعوة بيه ، ده يقفل لنا المحل كله ،

مايحبش الصور . . بس بيراعينا . .

و تلك اللحظة التقت عينا جلال مُرسى مع جودة الذي لَوَّح له بيده :

سعادة الباشا .

لَوَّح له جلال بإبتسامة فاترة ثم نظر في جيب جاكته الأيمن قبل أن يشير

إليه أن تعال : إزيك يا جودة؟

أخباوك إيه؟ كله تمام . .

جودة: يا باشا واحشنا والله المكان مضلّم من غير سعادتك . .

جلال : مضلّم بيّا ومن غيوى يا واجل يا بكّاش . . ودس ورقة حمراء

داكنة في يده فأنحنى وشكره قبل أن يرجع إلى أحمد الذي تابع

الموقف من بعيد . .

أحمد: إيه . . فيه حاجة؟

جودة: ده رجل زى الفُل ، زبون مُحترم . . خمسين جنيه كُـل ما يبجي
من غير ما يتصوّر .

أحمد: عُمـره ما إتصوّر؟

جودة: زمان قبل ما يمـسك رئيس تحرير .

طُوال الليل لم تتحرّك عين أحمد لحظة عن جلال مُرسى . . يشرب كما
لم يشرب أحد من قبل . . بوعي لم يغـب وكأنه يشرب عصير القصب ، قام
مرتين أو ثلاثاً إلى الحَمّام ، ومرةً خرج إلى الشارع لعمل مكاملة طويلة لا يبدو
فيها صخب الصالة ، داعب كثيراً الفتاة بجانبه التي بدت صغيرة السن أسفل
ظهرها الذي أصبح أحمر كالدم عندما قامت لتدخل الحَمّام لتُفرغ غيـط
الشّعير الذي تجرّعته ، وانضمت إليه في آخر الأسمية " قمر " الممثلة نصف
الصاعدة ، التي أبهرت الناس بتمثيلها الذي جسّدت فيه دور عاهرة مثيرة في
مشهدين من فيلم يُعرض حالياً في السينما ، مُرتدية فستان طفلة سن أربع
سنين تستطيع بسهولة رؤية حفاظتها من خلاله . . تصاعدت الضحكات
وتبدلت أخبار الوسط والنكات التي بدت فيها لثغته في حرف الرأء رغم
محاولاته أن يداوئها ، يأكلها ويخفيها وسط كلماته ويتقى تعبيرات خالية
منها حتّى لا تظهر زلته . . أخرج تليفونه المحمول وبدأ يعرض ملفاً مرثياً
على " قمر " التي ضحكت حتّى أوشكت على السقوط بالكرسي ، ثم
أخرجت تليفونها وعرضت له ملفاً آخر بدا مُخلاً حين أحاطت الشاشة
بيديها ، ثم بدأوا تبادل الملفات عن طريق خاصيّة البلوتوث . . أضاءت
الفكرة في رأس أحمد كالبرق . . التفت أحمد إلى جانبه ليجد سامي البارمان:
أبو السام مُمكن تليفونك دقيقة؟ معلش الرصيد على الأرض . .

سامي : أوى يا قمر إتفضل يا حبيبي . .

لم يكن تليفون أحمد حديثاً . . كان من الرعيل الأول لأجيال التليفونات
التي ينحصر في الاتصال والاستقبال ، وبطبيعة الحال لم يكن فيه بلوتوث . .
للب أحمد قوائم التليفون الحديث حتى وجد الخاصية . .

كان متابعاً للموديلات الجديدة لكن العين بصيرة واليد قصيرة . . فكّر
للسلّا في اسم قد يُغرى " جلال " بالاتصال . . غير اسم الجهاز إلى
' هابزة " . . بدا داعراً . . ضغط على البحث . . انتظر قليلاً حتى انتهى
المليون من التفتيش عن الأجهزة في نطاقه . . ظهرت ثلاثة أسماء . .
أحدهما " قمر " والثاني " ليلي " والثالث مكتوب عليه " GM " . . اختار
أحمد الأخير . . لم يحتاج ذكاء ليخمن أنّها أول أحرف من جلال مُرسى . .
ارسل له دعوة . . صورة صورها للقاعة من وجهة نظره . .

ما لبث تليفون جلال أن تلقّاهَا . . ابتسم في زهو ونظر حوله باحثاً عن
ملك الـ " عابزة " ولم تعرّ عليها عيناه . . قبل الدعوة وقرأ الرسالة التي
حاول فيها أحمد أن يكون صياداً . . صياداً لا يملك غير طعام وحيد . .

كتب فيها " لو ١٨ سنة صُغْتونة عليك ماتكلمنيش على الرقم ده "

و قب رقم سامي . .

لم يستطع جلال مقاومة نداء الغريزة ، قام بعدما استأذن قمر في إجراء
وهالة بحجة العمل وأجرى اتصالاً بفريسته المُشْتاقَة . . كتم أحمد أنفاس
هو بابل سامي عندما أحسّ باقتراب الرنين . . ظهر الرقم . . ضغط على زر
إغلاق الخط . . استعجب جلال من رد الفعل . . حاول ثانياً . . أغلق أحمد
الخط ثانياً في وجهه . . أظهر جلال وجهاً مُستاءً من المزحة الثقيلة ، علّها

تُدرك أن دُعابتها لم ترقه . . . انتظر قليلاً ثم رجع إلى ترابيزته وهو يتأمل بعينيه المُكتحلتين إناث الصالة . . . أعاد أحمد اسم الموبايل كما كان بعدما أغلق الخاصية وشكر سامي بعدما نقل رقم جلال إلى تليفونه ومسحه من عنده، وزيادة في الحرص أغلق التليفون . . . فسامي كانت يده مشغولتين فلم يعره اهتماماً . . . دارت الأحاديث الحميمة مرة ثانية على الترابيزة مع جلال الذي أخرج من جيبه نوتة صغيرة، وخطَّ فيها بضع كلمات قصيرة وهو يستمع لقر في اهتمام، بدت تحكى له قصة . . . حاول أحمد أن يلتقط له صورته، ولكنه خشي أن يلاحظ منه أو من جودة أو أحد العاملين فيثير الشك في نفوسهم، فانتظر حتى بدأت سالي فقرتها، واندمج الجمع فيها وأسند كاميرته الخاصة إلى البار موجهاً العدسة ناحية الترابيزة ووضع يده حولها في وضع مسترخ حتى ألفت العيون وجوده في ذلك المكان وانحسرت عنه، فأطفأ الفلاش وسدد لقطة عشوائية بكاميرته حاول فيها إصابة هدفه، وانتظر لحظة لتظهر اللقطة على الشاشة فبدت غير واضحة، فعدّل من وضعيتها وسدد، فأصاب تلك المرة هدفه وأطلق أربع لقطات أخرى تأكد من إصابتها لهدفه حتى أحس بأنه قد يكون موضع نظر، فسحب نفسه ورجع إلى آخر الصالة بجانب جودة مرة أخرى مندجاً في تصوير الزبائن . لا يغيب جلال عن نظره، إلى أن أعلنت عقارب الساعة الرابعة والنصف صباحاً فقام جلال قابضاً على وسط صديقه وودّع " قمر " بقبلتين على الخد وحضن سريع ودفع حسابه بسخاء ورحل في هدوء تاركاً أحمد إلى الساعتين الباقيتين في هذه الليلة يفكر فيما رآه وما أدركه . . .

ها هو رئيس تحرير جريدة الحرية التي اعتقد في يوم من الأيام أنها قد
سكون عوناً له في نشر الصور الركيكة التي أخذها يوم ودّع صاحبه، كان
يعرف أنها لا تفي بالغرض، لكنّها كانت كافية لفتح التحقيق .

لم يؤخذ بالمشهد في الكازينو لمدة طويلة . فعلى كُـلِّ حال، رد فعل
المهردة وقت الحادث بنشرها الصور على أنها سبق صحفي خاص بها
وضّح المجاهها، ولكنّها كانت أفضل الجرائد المستقلة في نظره، على الرغم ممّا
حدث ظل يتابعها أسبوعياً، يرى فيها المجتمع عارياً كما ولدته أمه، كثيراً
من الإثارة وبعض الحقيقة، مؤامرات ودسائس وقصصاً جنسية مروعة
اطالها يكتبون فقط بالأحرف الأولى من أسمائهم، بعض القضايا السياسية
والدبراً من الفساد ولا نقطة بيضاء واحدة حتى من الكوريكتور، غنية تُشبع
الغارئ الباحث عن حجر يُلقى في مياهه الراكدة، أي تغيير يُفرغ طاقته
المعمونة يصنع موجة تهزّ أفكاره . . تُبلبلها . . تُصححها، تدفعها،
لُفجرها . . يهدأ بعدها كالولية العقيم بعد جلسة الزار المرهقة، ينام
ويستكين بجرعة المورفين التي تجرّعها؛ فتغنيه عن صرخة الآه مكتفياً بما
لراه . . مكتفياً بمشاعبة جلال مُرسى وتخييطه في الرؤوس الكبيرة، وكأن
الدنيا انصلحت ولم يعد هناك داع للتدخل من ناحيته . . فماذا سيقول بعد
ما قاله الصفار الأعظم الذي يهاجم ويؤدّب الكبار بلا تردد . .

انتهت الليلة وأكملها أحمد أمام الكمبيوتر يُحرق في الصور، يُقرّبها
وبعدها، يُقدّمها ويؤخّرها كأنه يراها كل مرة لأول مرة . . حفظها في مكان
أمن بجانب صور مذبحه الفندق، وصور أخرى قريبة إلى قلبه كما سجّل
ولم التليفون الذي التقطه على تليفونه . . شعر أن هناك شيئاً يُحرّكه فيما

يفعله . . كان ذهنه مشحوناً بأفكار كثيرة أخذت تتقلّص حتى قضى عليها النوم . .

قبل تلك الأحداث بعشر ساعات تقريباً كانت عادة تقف أمام زُجاج المحل الذي تعمل فيه من الداخل شاخصة ببصرها في الشارع المزدهم بسياراته الفارهة، والمارة يتدققون فيه بسرعة كأفلام شارلي شابلن . .

لاحظت انعكاس وجهها على الزجاج بسبب سقوط شمس العصر عليه، فأخذت تتأمل ملامحها كأنها تراها للمرة الأولى . . شاحبة قليلاً ولكنها جميلة، هي تعرف ذلك، خمرية، جبينها مستقيم وأنفها حاد صغير، ابتسامتها تكشف عن أسنان دقيقة رُصّت بعناية بين شفيتها المكتنزتين، عينها واسعة تسبح فيها حدقة عسلية لافتة، وشعرها بني داكن مموج يصل إلى نصف ظهرها لا تظهر منه إلا خصلة متسللة من تحت حجابها المعقود على الطريقة الإسبانية، محتومة بطابع حسن أخذ يعلو رقبة طويلة تتوجّج جسماً رقيق الأطراف يشبه كثيراً ملامح جسم فتاة فرعونية لو تخرّجت في كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان . . شردت كثيراً حتى لاحظت ذلك الشاب الذي يمك بكاميراً يوجّه عدستها نحوها، فما إن أفاقت من شرودها حتى اختفى . . كانت المرة الثانية التي تلاحظ معها ذلك الشاب، في المرة الأولى شاهدته زميلة لها، وأقسمت أنه كان يصورها، وها هي تلاحظه مرة أخرى . .

"عادة . . عادة . . تليفون . ."

همس ذلك الصوت في أذنها كأنه سر، فمدّت يدها إلى ذلك الشيء الكامن في تجويف أذنها، المخفي بين غابات شعرها بعناية، وتأكدت أن

الإلمر ليه على رقم ثلاثة . . كانت غادة تُعاني من الصمم، وُلدت طبيعية
ولها أصيبت في الخامسة بالتهاب أضعف عصب السمع لديها كثيراً،
بعلم، لكنّها تسمع الأصوات كالفحيح، يجب أن تتابع حركة شفاه من
يُكلمها حتى يكتمل لها المعنى . .

'ليليفون يا غادة . . أختك'

المهت غادة إلى التليفون: ألو . .

مّادة: أبوه يا غادة إزيك . . هتخلّصى النهاردة إمتي؟

هادة: الساعة خمسة، إنتي فين؟

مّادة: أنا في الكلية . . هعدّي عليكى أنا وحازم . . هديكى ميسد كول
لما آجى .

هادة: ماشى . .

مّادة: إتغديتى؟

هادة: لسه .

مّادة: طيب أنا جايالك معايا . . عاملة حسابك . . ماشى .

هادة: ماشى . . ماتتأخريش .

مّادة: ماشى . . يالله عشان بتكلم من موبايل حازم . . باى .

هادة: باى .

لم تكن تملك في الدنيا غيرها . . مّادة . . والد متوفى، وأم تعمل بكل
مها لتطمئن على مستقبل ابنتها، وأمور الستر والجهاز وغيره . .

هُرّجت غادة في كُليّة الفنون الجميلة جامعة حلوان بينما تعثّرت أختها
في معهدّها الخاص بسنة أكتوبر ذي المصارييف الباهظة . . والتحقّت

غادة بالعمل في جاليري أثاث من النوعية التي تباع الكرسي بثلاثة آلاف جنيه، فيلا بشارع مُراد بالجيزة تطل على حديقة الحيوان، تعلّمت فيها غادة بسرعة وأصبحت من الأيدي القديمة في المكان على الرغم من أنها الأحدث سنًا، أحبّها كل من في المكان خاصة صاحبة الجاليري، كانت حياتها تنحصر بعد ذلك في المنزل أو عند وصديقتها عبير . .

كانت تعرف أنها جميلة ولكنها تعرف أيضًا أنها منبوذة، حلمت كثيرًا بفتى الأحلام على حصانه الأبيض . . الحصان الذي تعثّر في عتبة البيت وسقط على وجهه حين لمح السماعة التي تتخلّى عنها بمجرد خروجها من العمل لترجع إلى عالمها الهادئ البعيد عن صخب الحياة المثيرة . . أحبّت حبًا صامتًا كسمعها لم يتعدّ حدود النظرات أيام المراهقة وانتهى كما بدأ، هدوء عندما أدركت أنه ينقصها شيء كبير لن تستطيع توفيره . قرأت فاتحتها مرّة على قريب لها ولم تستمر . . في حين كانت ميّادة سعيدة الحظ الشقته التي تحظى دائمًا بالاهتمام، خفيفة الظلّ والعقل التي ينصبّ همّها علم . جلسات الكافيهات وملابسها الجديدة وصديقاتها وتليفونها المحمول وحازم . .

ذلّك الشاب الطويل الوسيم لامع الشعر خمري اللون زميلها في الدراسة، وصديقتها وخطيبها المستقبلي الذي يضيء الآن رقم تليفونه على شاشه موبايل غادة في جيبها، ليُخبرها الاهتزاز بأن أختها تنتظرها خارجًا . علّقت حقيبتها على كتفها وودّعت زميلاتها والتقت بميّادة وحازم فاندست في كنبه سيّارته وانطلقت إلى البيت . .

فان أحمد قد نام ساعتين عندما استيقظ على خبط شديد يكاد يتزعج باب
الغرفة الصغيرة، قام بفرع ليجد الغرفة كلها مضاءة بلون أحمر قاتم
المستخدم قديماً في غرف تجميع الصور. يتسلل من تحت باب الغرفة ومن
الغرفة الصغيرة في الحائط، قام يتخبط وفتح الباب ليجد أمامه سيد
الهدري بودى جارد الكازينو . . .

سيد: أبو حميد . . إنت قاعد عندك بتعمل إيه؟

أحمد: فيه إيه يا سيد؟؟

سيد: إنت ما تعرفش . . الكازينو بيتحرق . . ربنا ستر إني افكرتك،
هات حاجاتك ويلله . .

أحمد: إيه اللي حصل . . هي الساعة كام؟؟

سيد: إحنا الفجر .

أحمد: حد حصله حاجة . . عم جودة فين؟

لم يتلق رداً . . كان سيد قد اختفى . . لم يدر بنفسه إلا وهو داخل
الهدري الذي تحول إلى رماد أسود، رائحة لحم مُحترق تملأ المكان، جثث
مروءة متخشبة، حيطان فقدت لونها وفوضى عارمة . .

عاصت رجله في شيء لزج بجانب إحدى الترابيزات، فزع عندما أدرك
أنها حنة . . جثة تمسك بولاعة بنزين . . جلال مُرسى . . أظافره لم تحترق
الغاية، كان بها أثر طلاء أظافر أحمر!!!

'ده جلال بيه . . ' كان هذا صوت سيد قدرى البودى جارد . . هو
الهدري الحريقة، ولاعته وقعت على الأرض حرقت السجادة الكبيرة، وكلت
الهدري حاجة بعد كده . .

أحمد: فين عم جودة؟ رُوح؟

سيد: لأ.. لما عرف إن فيه حريقة رجع تانى .

أحمد: هو فين؟

سيد: أهو.. عند البيست .

جرى أحمد بصعوبة شديدة وسط الرُكام كتأثير الحركة البطيئة في الأفلام،
لم تَكُن الفوضى هي ما تبطؤه،

بل كان لديه شعور داخلي بعدم القُدرة على الإتيان بأسرع من هذا

الأداء، وكان ما يجرى في عروقه صمغ عربي وليس دماء: عم جودة!

رأى أحمد أغرب منظر قد يتخيلُه، جودة يجلس بجانب البيست يرتدى
بذلة عسكرية كاكي نظيفة ومُهندمة، يمسك بطبق جاتوه نصفه مُحترق،
ويأكل في نهم!

أحمد: عم جودة!! إيه اللي بتعمله ده؟ لم يجبه جودة.. عم جودة إنت

إيه اللي مقعدك هنا؟؟ الريجة هنا تُخنق... قوم نُخرج برّه.

جودة: أكل عيشنا إنقطع خلاص يا حمادة.. إلحق خُد أي حاجة من هنا

بيعها.. إنت جاي معايا شقتي هتسكن معايا..

أحمد: بس أنا عمري ما روحت الأميرية دى.

جودة: بكرة تتعود.

كانت عين أحمد قد تسمّرت على جثة لفتاة بيضاء عارية تستلقي على

وجهها، تشبه في هيئتها سالي الراقصة، حين انقطعت الأنوار فجأة.. عم

جودة.. تعرف تقوم؟؟ أنا مش شايف حاجة.. عم جودة..

عم جودة.. رُد عليا..

جودة : إخرج إنت يا أحمد أنا مستتى لما النهار يطلع . .

لم ير إلا ولاعة جلال التي لمعت بضوء فسفوري خافت في الظلام ، لم يعرف ما حمله على أخذها . .

انزعها بصعوبة من يد انصهرت أصابعها ، ركض إلى الخارج ليجد نفسه أمام باب شقته في السيّدة زينب ، أخرج مفتاحه وأولجه في الباب الذي لم يسحب حين فتحت الباب أمه . .

بُهِت أحمد ولم يتمالك نفسه من البكاء حتّى انتحب ، احتضنها وشهق ، لم راثحتها التي افتقدتها منذ زمن : ماما إنتى عايشة .

الأم : آه يا حبيبي . . أنا مش قلت لك إني راجعة . . تتغدى يا حبيبي ؟

أحمد : الكازينو إتحرق وأنا جعان أوى . .

الأم : خش إغسل وشك الأول وبعدين نتكلم . .

دخل الحمام ليغسل وجهه حين نظر في المرآة ، فرأى شيئاً داكناً يظهر من خلف ستارة الحمام الشفافة التي أزاحها ليجد أخته آية مستلقية في البانيو ، لم يدي نقابها إلا أنه تسلّح فكشف حتّى فخذها . . كانت تغطّ في نوم ثقيل ونسخر في عمق ، لم يُحاول إيقاظها إلا أنه غطّاها ، وعاد إلى الحوض حين وجد كاميرته . . عاد يغسل وجهه فلمح دودة صفراء مُمتعة تلتوى بجانب الكاميرا عند الصبّانة ، أمسك بورقة مناديل ليرميها في المرحاض حين رأى واحدة أخرى ، تملكه التقزز حين اكتشف ثالثة تخرج من جانب الكاميرا التي ملها بعيداً عن الحوض ، وفتح مكان الديسكات ، ليفاجأ بكمية مهولة من الود والحنافس السوداء تتصارع داخل الكاميرا . . رمى بها في فزع على الحوض وخرج من الحمام ليجد فتاة معرض الأثاث تجلس بجانب أمه في

حديث بدا وديًا، تلك الفتاة التي لم يجد ما يقاومها به سوى تصويرها
وتكديس صورها في مكانه الآمن على الكمبيوتر . . .

عرق غزير علا جبهته اختلط بشعره فعبث به في كل اتجاه، تشرّمت
قدماه إلى الركب والتف الغطاء حوله عدّة مرّات . كان نائمًا على وجهه،
مكتوم النفس مخنوق الصدر، قام في نصف جلسة يلتقط أنفاسه المتلاحقة،
ينهج في عنف، ناظرًا إلى بقعة اللعاب التي ظلت تسيل من فمه لأكثر من
ساعة صانعة بركة متّسعة على ملاية المرتبة . . . قضى لحظات محاولاً جمع
أشئاته، كان كابوساً غريباً، شعر معه أنه نام أسبوعاً، نظر في ساعة التليفون
بجانبه فوجد أذنان العقرب تلدغ الساعة الثانية والنصف من بعد الظهّر .

لم يتذكر أنه رأى من قبل حلمًا يحمل كُـل تلك التفاصيل، يحفظها كأنها
عاشها بنفسه . . . الحريق، جلال، جودة، الفتاة العاربية، أمه وأخته .
الديدان . . . وفتاة معرض الأثاث . . . أشعل سيجارة وأخذ ينظر في دُخانها
يسأل نفسه : أين أنت يا سيّدنا يوسف عليك السلام؟؟

مر اليوم برتابته المعتادة . . . رحلة البحث عن مطعم جديد لإرضاء تلك
المعدة التي أنهكت من الكشري والسندوتشات والبقالة ليلاً، تلك الرحلة
اليوميّة التي تشبه الروتين اليومي " لبروميثيوس " سارق النار الذي عاقبه
" زيوس " كبير الآلهة في الدراما الإغريقيّة، مُعلّق بين جبلين يأكل النّسر
كبده الذي ينمو كل يوم من جديد لينتظر العذاب نفسه مرّة أخرى في اليوم
التالي، تاقّت نفسه كثيراً لطبخة منزلية من يد أمه . . . تراوده أحداث الحلم
كل خمس دقائق . . . يشعر أن هناك رسالة ما مخفية بداخل ذلك الحلم، فمنّا
فترة لم تأته مثل هذه الرؤيا . . .

تمشى حتى وصل إلى جاليري فتاة الجاليري . .
 وضع حقيبة الكاميرا بجانبه على دكة في الرصيف المقابل ، وأخرج وجبته
 واخذ يأكل . . يتمنى أن تظهر حتى عبرت من أمام الزجاج . . كم هي
 هادئة . . جميلة ، ابتسامتها التي تكشف عن نُغزتين في وجنتيها . . مشيتها . .
 راقبها حتى اقتربت من التليفون ، فأتته فكرة جعلته يقوم ويُخرج كارت
 المنازل ويتصل من كابينه بجانب الدكة بالرقم المكتوب أسفل يافطة
 الماليري . .

سمع جرس الهاتف يدق في أذنه ، قلبه يرتجف وأنفاسه تتلاحق بسبب
 الأدرينالين الذي انطلق منذ قليل من عُذته فوق الكلوية ماراً بأعضائه كلها
 ، فقلها ويحفظها . . سلك حنجرته بكحنتين وأخذ يُراقب هدفه ، كانت
 بجانب التليفون وكأنها لا تسمعه حتى اقتربت فتاة أخرى ورفعت
 السماعة . .

" كيريشن جاليري ألو . . ألو "

كان أحمد قد أغلق السماعة قبل كلمة ألو الثانية . . هدأت أنفاسه قليلاً
 ورجع إلى دكته . . قام مرة أخرى ووضع الكارت وضرب الرقم . . لم
 يدمله . . أخرج الكارت . . وضعه ثانياً . . سمع الجرس . . لم تتحرك رغم
 أنها تجلس بجانب التليفون . . كيريشن جاليري ألو . . كان ذلك صوت
 الساعة الأخرى . .

أحمد : آه ألو صباح الخير . . كيريشن جاليري ؟

الفتاة : أيوة يا فندم صباح الخير أتعرف بحضرتك ؟

أحمد: مم . . أنا مهندس كمال إبراهيم . . والله أنا كنت عايز أعرفه
مواعيدكم . . أصل أنا جيت مرّة ولقيت الجاليري مقفول . .

الفتاة: حضرتك إحنا فاتحين كل يوم من الساعة ٩ صباحاً لـ ٩ مساء
ماعدًا يوم الجمعة . . وفيه بريك نُص ساعة من خمسة لخمسة
ونُص . . حضرتك عميل عندنا؟

أحمد: لأ أنا جيت مرّة واتفرجت على شوية حاجات كده بس بسرعة .
قابلتني آنسة بس مش فاكر الاسم بصراحة، وريتني شوية
كاتالوجات حلوة أوى، هى صغنونة وعندها طابع حُسن
كده . . للأسف مش مُتذكر الاسم خالص . .

الفتاة: لازم حضرتك قابلت عادة . .

أحمد: يمكن . . طيب هى موجودة؟ أقدر أكلّمها؟ عشان أسألها على
شوية حاجات يمكن تفتكرني؟

الفتاة: شور . . خليك معايا ثواني حضرتك . .

ضغطت على زر العذاب الذي يبعث تلك الموسيقى الرتيبة على سبيل
تسلية المنتظر، في حين تصبّب جبين أحمد بعرق غزير وأخذ قلبه يحفّق كدقّاق
الإسفلت "هيلتى دقّاق" . . لم يكن يعرف ما يقول، في حين اقتربت الفتاة
من عادة وأخذت تشرح لها الموقف فوضعت يدها على أذنها ثم أخذت
السّاعة . .

عادة: ألو

أحمد: . . .

عادة: ألو . . .

احمد: صباح الخير . . آنسة غادة؟
غادة: أيوة . . أتعرّف بحضرتك؟
احمد: أنا كمال إبراهيم اللي جيت من شهر ونصف وإتكلمت
معاكى . .

غادة: أهلاً بحضرتك . . . يا ريت لو تفكرنى أكثر.
احمد: ما أظنّس هتفتكرينى . . لكن أنا كنت عايز أشتري شوية حاجات
لشقتى . .

غادة: حضرتك شفت أو حجزت حاجة عندنا؟
احمد: في الحقيقة لسه ما حجزتش لكن شفت كام حاجة كويّسة . . آه . .
أنا كُنت هستأذنك إنى أبعث أحمد ابنى يشوف شوية حاجات
علشان بحب آخذ رأيه برضه . . إنتى بتكونى موجودة كل يوم؟

غادة: كل يوم لغاية الساعة خمسة ما عدا الجمعة .

احمد: على العموم هو لما بيعجى هيسأل عليكى .

غادة: تحت أمرك في أي وقت .

احمد: شكراً يا آنسة غادة . . واللامدام غادة؟

غادة: آنسة غادة .

احمد: مُشكّر أوى . . مع السلامة .

غادة: مع السلامة .

لو كانت هناك موسيقى تصويرية لسمعنا تترات مسلسل " رأفت
الهمحان " التي تضع حدّاً لتوتر المشاهد بعد الحلقة الساخنة التي كاد فيها
'الياهو جادوسكى " أن يكشف حقيقة رأفت . . اسمها " غادة " . . وغير

مُتَزَوِّجَةٌ . . وترحل في الخامسة . . شعر أحمد بفداحة خسارة المخابرات لأنه
لا يعمل فيها . رحل وهو يعرف في قرارة نفسه أنه على ميعاد مع تلك التي
أسرت حواسه . .

..... ❦

قبل أن يُقبل المساء ، كان أحمد في طريقه إلى المنزل حيث يعمل صديقه
مُهر في أحد فروع كوداك إكسبريس ، صديق أيام الطفولة ، وجاراً لأحمد في
السيدة زينب ، من ذلك الطراز الوفي الذي يرقص كثيراً في فرحك ، ويعرق
ويُفرج قميصه من بنطلونه ويطفح الكوتة ، وقد يُفجّر نفسه بسعادة
لمدتك . .

خريج حاسب إلى وعبقري في مجال الكمبيوتر ، يلجأ إليه أحمد كلما مال
عليه الدهر وسأعه الوقت ليثّ همّة وحُزنه ، ويتسلّى بما عنده من مخزون
صوتي ومرئي في حاسبه الذي لا يخلو من الأفلام الإباحية التي تحتل الكم
الأدبر منه . يسعد بصُحبته ، بدمه الخفيف الذي ينسى معه أحمد كل
مشاكله ، بدانته وطيبته ونظّارته العجيبة ووجهه الذي لا يعرف التكشير
ومسحكته الصاخبة . . بعد الحُضن الحار الذي اعتاد أحمد فيه أن يفقد أحد
صلوعه ، ويصاب بارتجاج خفيف وبعض الكدمات والساحجات ، استأذن
مُهر صاحب الاستوديو وخرج بصحبة أحمد إلى كورنيش " عبد العزيز آل
سعود " بعد أن حصل كلٌّ منهم على بسكوتة الآيس كريم المُعتاد من محل
لارين كما اعتادوا منذ أيام الصبا . .

عُمر : إيه يا ابني العكّ اللي حصلك ده كُلّه؟ وبعدين أنا كُنت فين ،
مِش قادر تكلمني؟

أحمد: يابنى كُل حاجة حصلت بسرعة، زى الأفلام العربي، ماكانش
فيّا دماغ أكلّم نفسي حتّى .

عُمر: طب وآية . . كدة خلاص؟

أحمد: أديك سمعت . . فيه حاجة أقدر أعملها؟

عُمر: إنت لأ . . أنا مُمكن أكلّمها وأفهمها إنك زعلان أو حتّى أخلى

أمي تروحلها إنت عارف إنها بتحبها ومترّية على إيديها .

أحمد: يا إبنى هيا مش هتقابلك إنت عارف، وكمان مش عايز أمك

تتهدل معاها . . الحيوان اللي هناك مُمكن يعمل معاها

مشكلة . . ده واد واطى وأنا عارفه ومش عايز أضطر أضربه . .

عُمر: وإيه موضوع الشغلانة اللي إنت فيها دى كمان، ما كلمتنيش ليه

لما سبت الفندق وسليم .

أحمد: أهو . . . اللي حصل .

عُمر: عمومًا أنا عندي صرفة، أستاذ وحيد صاحب الأستوديو هيفتح

فرع تانى في الشارع اللي ورانا هكلّمه عشانك . . الراجل جدع

أوى ومايرفضش طلب .

أحمد: طيب والسكن، لو مشيت من باريس مش هقدر أفضل في

الأوضة دى .

عُمر: حتقعد معايا .

أحمد: في البيت عند أمك؟ يستحيل . . .

عُمر: يا إبنى مش في البيت ولا حاجة سيبنى أنا أنصرف بقه مالكش

دعوة .

أحمد: ماتشغلش بالك بيا . . شوف إنت حالك بس . . صحيح . . لسه
مفيش حاجة كده ولا كده؟

عُمر: يا إبني البنات على قفنا مين يشيل المُهم النفس .

أحمد: نفسها هي طبعاً؟؟

استغرقاً في الضحك الذي أصبح شحيحاً بمرور الزمن، أخرج كل منهما
ما في جُعبته من أسرار حتى أصبحت السادسة والنصف . . .

أحمد: بقولك إيه كفاية عليك كده قوم شوف شغلك عشان أنا كمان
إنأخرت لأزم أروح لجودة، زمانه جه .

عُمر: إلا جودة ده كمان . . . ده نمره إنت إزاي ماسك نفسك من
الضحك وإنت معاه؟

أحمد: بس راجل طيب . . وبيحيتي . . بقولك إيه صحيح لو جبتلك
صور على "CD" تقدر تطبعها لي من غير ما حد يشوفها؟

عُمر: والله على حسب . . لو فيها موز أنا تحت أمرك .

أحمد: لأ بجد تعرف تطبعها لي بنفسك؟

عُمر: وأطبعلك أبوها . . يابني إنت مش عارف إنت بتكلم مين؟

أحمد: ماشي هبقى أكلّمك قبل ما أجيلك . . وافترقا إلى لقاء قريب .

في الطريق مرّ أحمد على بائع جرائد يفترش الرصيف، قريب من سينما
فاتن حمامة، التقط عنوان الصفحة الرئيسية لجريدة الحريّة . . اشتراها . . في
المنتصف كانت صورة "خالد عسكر" وهو يبتسم تصنع حواجبه في مسكنة
رقم ثمانية ليبدو على ملاحه الورع الشديد، كأنه يبكي من الإيمان، تحتها
عنوان أحمر صارخ يقول: "الداعية خالد عسكر يفتح النار على عمرو

حامد " ثمَّ يَبْنُطُ أسود على لسان خالد عسكر " عمرو حامد داعية من منازلهم . . لا يحفظ كلمة من القرآن . . يُقيم في فُنَادُق " خمس نجوم " ويدافع عن البُسطاء . . واجهته مرّةً بحقيقته أعطاني ظهروه وهرب . . أما أن الأوان لوضعه على القائمة السوداء في مطاراتنا " . . ثم على يمين الصفحة ، صورة كبيرة لـ " قمر " الممثّلة الصاعدة تحتضن مخدّة بين رجليها العاريتين ، وتلبس قميص نوم لا ترتديه زوجة لزوجها ليلة الخميس أو حتى الجمعة ، مكتوب تحتها " بُرج المتعة " فيلم جديد لقمر ثمَّ يقول الموضوع : " وقع اختيار المُخرج أكرم وحيد على الممثّلة الصاعدة " قمر " لتجسيد دور زوجة تُعاني الحرمان الجنسي فتلجأ إلى ساكني عمارتها لتروى ظمأها . . كما جرت اتصالات مكثّفة بين قمر وشركة إنتاج أجنبية للاستعانة بها في فيلم تاريخي عن صلاح الدين . . " قمر " تُمارس حالياً تمارين اليوجا للمحافظة على رشاقها ، وقالت إنها تنتظر حدثاً سعيداً في آخر الشهر الحالي مرّت فجأة سيارة مُسرعة كادت تطيح بأحمد وهو ينزل من الرصيف شاردّاً في جريدة الحرّية . . أغلق صفحاتها في فزع بعدما تلقى سيلاً من الشتائم من سائق ميكروباص كاد يهرسه هرساً فتمالك نفسه وأخذ طريقه مُسرِعاً إلى باريس . .

في تلك الليلة ، لم يكن المكان عادياً ، كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة . . توسّطت القاعة ترابيزة طويلة تسع حوالي خمسة عشر شخصاً امتلأت بما يفكّ أزمة الصومال . .

أحمد : مين اللي جاي النهاردة يا عم جودة؟

جودة : ده فتحي العسال . . أكبر تاجر مواد غذائية فيكى يا مصر .

أحمد: ده بتاع شركات العسال؟

جودة: آه . . . عارف اللي إنت هتشوفه ده كانت مراته بتجربى ورايا،
حفيت يا حمادة، كانت زى القمر، عود فرنصاوى وشعر لغاية
الهانش، حتت ألباطية، أنا اللي ماوافققتش . . . الله الغنى يا عم . . .
هى كبرت آه بس لسسه بخيرها، الدهن فى العتاقى، مش زى
جيلكم المخستك ده، طب عارف ساعة الزنزال بتاع ٩٢، كنت
معاها فى الشقة، كنت خلاص هخلص معاها، بس الواحد
يعرف ربنا برضه يا حمادة، لولا أن رأى إيه؟؟ برهن ربه، مش
كده، وبعدين فى المخبرات حذروني عشان جوزها ده مش تمام،
ماشى مشى مش صح، إنت عارف أنا تحت العين على طول . . .
بالك . . . إنت محمولك إترقب لما جيت هنا، بس أنا قتلهم
خلاص ده تبعى . . . لازم تبقى مصحصح كده يا أبو حميد . . .
حبيبى والله يا حمادة .

حاول أحمد السيطرة على عضلات وجهه كي لا تنفجر ضحكاً: يا عم
جودة إحنا هنا عايشين بنفسك، بس الراجل اللي جاى ده ماله بقة مش تمام
ليه؟

جودة: الراجل ده بيلعب فى كُـل حاجة، هو اللي بيرفع الأسعار
وينزلها، عنده مزارع ياما . . . بهائم وزرع، خير كثير، بيشتغل فى
اللحوم والفراخ . . . بيض وزيت وسُكَّر ودقيق وألبان . . . ده
حاجة . . . كمان أكبر مُورِد عسل وجلوكوز لكُل بتوع الحلويات
اللي فى مصر، ومن الباطن ماخفي كان أعظم . . . عنده تلات

رجّاله ولاده . . حيتان برضه . . بيعجو كلهم هنا . . كل واحد
ماسك مصنع . . إمبراطورية يا حمادة . . فوق كل ده وده قريب
الوزير عبد الرحيم العسال . . يعنى هو اللي بيأكلنا المم من
الآخر . .

أحمد: وإيه اللي بيعيبه هنا؟

جودة: اللي بيعيب غيره . . كل شهر ليه واحدة زى شهريار، عايز
يقعد قاعدة حلوة . . يشرب ويعزم ويدفع، وساعات بيعيب
ناس مليانة معاه عشان يمشى شغله، رجال أعمال وتجار . .
حبايه كثير . . أصله حاتي . . شبعان . . بيرش جامد . .

أحمد: بيرضى يتصور؟

جودة: ما بيعمهوش ويوجب مع الكل ويتصور بس صورته معايا أنا
بس . . ما يرتاحش غير مع العبد لله عشان أعرفه من زمن . .

في تلك اللحظة، التفت الأدمغة مثل غيط عبّاد الشمس عندما دخل
فتحي العسال إلى الصالة . .

دخل في موكب من أصدقائه ومعاونيه يحملون زادهم وزوادهم من
الزجاجات، يُحبي في مروره هذا، ويربت على كتف هذه، ويرفع يده
بالسلام لبعيد لن يستطيع الوصول إليه، حتى "سعد صديق" المطرب
الشعبي هداً غناءه الصاخب الراقص، وأعطاه ترحيباً يليق به في الميكروفون
هو وفرقته . .

كان ضخماً ممتلئ الجثة، يتكدس لحم لُغده تحت ذقنه، يرتدى بذلة بيع
فاتحة ورابطة عنق بنية، يعلو جبهته وتحت عينيه سواد من أثر مضاعفات في

الكبد، صابغاً البقية المتبقية من جوانب شعر رأسه فتبدو صلغته الواسعة كالطريق الصحراوي، تنتشر فيها بقع السن البنية، يرتدى خاتماً في خنصر يده اليسرى التي تُمسك بسيجارة ملفوفة بعناية. . . بعد خمس دقائق من الاضطراب، عادت الصلاة إلى ما كانت عليه، واندمج الكل في شأنه الذي جاء من أجله، وبدأت الكؤوس تصطك مرة أخرى . . .

على ترابيزة فتحي المسال الذي توسّطها كانت تُجاوره نادية . . . سيدة هملة تبدو في العقد الثالث من العمر، شرهة للسجائر يُلقبها أصدقاؤها المرَبون "نانى" . . . بضة يتدلّى لحمها الأبيض من كُل شقّ في فُستانها الأسود البراق. تبدو رفيقته من طريقة إمساكه ليدها، ومُداعبتة لها في همصها. اصطف على يمينها وشماله أصدقاؤهم المُقربون، رجال ونساء وكؤوس . . . ضحكات وقفشات وجودة بصور بلا حساب. يشير إليه فتحي المسال من حين إلى آخر أن صور هؤلاء وهؤلاء. يناول جودة الفيلم بعد الآخر لأحمد الذي وقف بعيداً يُصور باقي الصلاة ليذهب به ليُحمّضه ويُطمئن جودة، حتى أعلنت الساعة الثانية والنصف حين جاء كابتن الصلاة بسبعه اثنان يحملان تورتة شيكولاتة كبيرة كُتبَ عليها بالكريمة "نانى" . . . 'هاى بيرث داي توو يو . . . سنة حلوة يا جميل' صواربخ ورق مُلون وبالونات، ونفخت "نانى" الشموع، في حين أخرج فتحي علبة كُحلّية نامت فيها قلادة ماسية ما إن رأتها حتى صرخت ووثبت كالطفلة، ثم أعطته لظهرها ورفعت شعرها المُموج لِيُسلّس فتحي عنقها المرمرى العامر . . .

ثم بدأت نمره "سالى" التي أصابت فتحي بالأرتكارية، فأخذ ينزف هواكى كما تنزف الشاه، ينافس نفسه ويتغلب عليها، ألقى بثلاثين ألفاً أو

يزيد كأنه يرمى الحصى في البحر ، رقصت سالي على شرفه ونقوده
وترابيزته . .

كانت الساعة قد تخطت الثالثة والنصف عندما دخل جلال مُرسى إلى
القاعة . . كان يبدو في عَجالة . . أنيقاً مُبتسماً حاملاً علبة مغلّفة بورق أحمر ،
بدت هديةً ثمينة ، اتجه مباشرةً لترابيزة العسّال الذي قام يحتضنه احتضان
الفقمة لوليدها ، قبل يد " ناني " وأعطاهها الهدية فهلّل وجهها وهى تشير
إليه أن : " ميرسى أوى يا جلال . . تربه چونتى والله . . "

تبادل حديثاً سريعاً مع فتحي على إنفراد قبل أن يضحك معه بصوت
مسموع ثمّ سلام ووداع . . رحل جلال مُسرّعاً كما جاء في اللحظة التي
أشار جودة فيها إلى أحمد أن يأتي خلفه . .

جودة : حمادة خليك هنا . . خلى عينك على فتحي العسّال ، لو
شاورك روحله ولو سأل علياً قوله إنني بطمن على الصّور ،
ماشى . . . أنا في المعمل .

أحمد : ماشى يا باشا .

مشى جودة خطوتين ثمّ تذكر : أحمد ماتصورش غير لما يقولك .

أحمد : حاضر يا عم جودة .

اختفي جودة ورجع أحمد إلى الصالة . . تمشى مُبتسماً للترابيزات آخذاً
صورة هنا وصورة هناك ، مُستعيداً مكالمة التليفون مع غادة ، مُتحمساً
لمقابلتها والتحدّث معها . . كم أسرته صافية الوجه ، لا تتوه عن باله .
يتخيلها كلّمًا خلا بعقله بعيداً عن دوامة العمل . . حتى أخرجهُ من شروده

صوت طقطقة أصابع تُناديه من ترابيزة بعيدة تمامًا عن ترابيزة فتححي
العسّال . . في أقصى الصالة . . في الظلّ . . رجل يجلس وحيداً . .

اقترَب أحمد مُركبًا ابتسامته المعهودة رافعًا كاميرته باستغراب داخلي
لذلك الذي يطلبُ أن يأخذ صورة وحده . .

نظر إلى يمينه ويساره فلم يجد واحدة تقرب أو حتى تطلع من تحت
لرابيزته . .

أحمد : صورة يا باشا؟

كان فمه مشغولاً بسيجارة يُشعلها فتأخر عليه قبل أن يُجيبه : اسمك

٢٤١

أحمد : أحمد كمال يا باشا!

أشار على كرسياً خال بجانبه : تعالى أقعد يا أحمد .

سحب أحمد كرسياً ووضع كاميرته على الأرض بين رجله قبل أن يجلس
بجانب ذلك الرجل الغريب ، مُتذكراً مشاهد خالد الصاوي في فيلم " عمارة
مفلوحيان " عندما كان يُغرر بالعسكري البسيط . .

فتح الرجل علبة نحاسية وسحب منها ورقة رقيقة ، رص التبغ فيها
بعبارة الجراح ولفها قبل أن يناولها لأحمد . .

كانت المرة الأولى لأحمد التي يُدخن فيها سيجارة حقيقية ملفوفة . . عدا
بعض المرات التي جرب فيها قراطيس من الأعشاب قد تكون سبانخ أو
ملح القلقاس وقليلًا من الخشيش مع عُمر صديقه البدين ، على سبيل أن
المرفة تُغنى عن السؤال . . في أدب حذر تلقى السيجارة بعد أن ألقى نظرة
إلى العاملين علىَّه يجد مَنْ يغمزه أو يكمزه : شكرًا يا باشا .

قدح الرجل ولاعته الذهبية فأحاط أحمد بيده النار ناظرًا إلى ذلك الخاتم
الفضي الذي يحمل حرف " G " لاتيني . . كان الرجل يبدو أجنبيًا في أواخر
العقد السادس من عمره، وسيماً يُذكرُك بالبارمان اليوناني الوحيد الأوحده
" ينى " الذي احتكر فترة الخمسينيات في الأفلام المصرية، نظيفًا ومُهَندَمًا
يرتدى بذلة كُروازيه، وعلى الرغم من أنها لم تعد موضحة فإنها تبدو مناسبة
عليه تمامًا كأنها موديل السنة، مع عينيه الزرقاوين وشاربه الرفيع ورشاقة
جسده وشيبة فوديه المنمقة بدا هاربا من بويينة فيلم عربي قديم وزميل
لإستيفان روستى في الإعدادية، إلا أن لكتته العربية لم يكن يشوبها شيء
فالرجل مصري ومن شبرا الخيمة كذلك . .

الرجل : تاخذ مليون جنيهه وتيجى تقضى معايا ليلة؟

قلب أحمد الترابيزة، ولكم الرجل اثنتى عشرة لكمة غيرت معالم وجهه
ثم أمسك بزُجاجة كانت أمامه وكسرها على رأسه أعقبها خمسين شلوتًا في
بطنه . .

" ولو فلوس الدنيا كلُّها تحت رجلى يا واطى يا ابن الكلب " ثم أشار إلى

البودى جارد بإصبعه : شيلوه . .

فصق الحاضرون بحماسة شديدة . .

كل تلك الفوضى لم تستغرق من مُخيلة أحمد أكثر من ثانيتين؛ أفاق

بعدها على صوت : إنت منين يا أحمد؟

لم يكن ذلك سوى الرجل الذي تخيل أنه ضربه منذ قليل : أنا من السيدة

زينب عند شارع قدرى كده . .

سأله : متجوز يا أحمد؟ . . لم يعجب أحمد ذلك السؤال . .

أحمد : لسه والله .

إنت شاب باين عليك كويس . . لم تعجب أحمد تلك الجملة أيضاً . .

أحمد : سيادتك مستنى حد هيتصور معاك؟

الرجل : أنا مستنيك إنت . .

أحمد : أنا؟؟؟

هز الرجل رأسه من دون أن ينظر إليه : أنا شفتك المرة اللي فاتت وإنت

بتصور جلال مرسى . .

انزلت بصعوبة طوبة حمراء من مصانع "الحاج عبد اللطيف أبو طاجن"

للطوب بقرية طوخ طنشا مركز بركة السبع المنوفية في مرىء "أحمد كمال"

وامسقرت في فم معدته . . عرق غزير كسا جبهته، وسخونة انطلقت من

هليل أذنه التي حولها الدم المتدفع بداخلها إلى قطعة كبده نيئة . .

حاول أحمد أن يتلع الطوبة : جلال مرسى ! ده زبون عندنا هنا؟ مش

لاكر إني صورته . .

الرجل : يا أحمد إنت ليه عايز تلعب مع راجل عجوز؟

ووضعت الآن فوق الطوبة كتلة أسمنت . .

أحمد : أنا لسه جديد ومش مُتذكر الشخص اللي حضرتك بتتكلم عنه؟

الرجل : كُنت حاطط الكاميرا على البار .

حاول أحمد كبح جماح القولون الذي أخذ يصرخ : حضرتك مين؟ . .

أنا ماتعرفتش بيك .

الرجل : يا أبوحميد مش مُشكلة أنا مين . .

أطفأ الرَّجُلَ سيجارته، ووضع رجلاً على رجل مُبتسماً ابتسامة غريبة
عارف يا أحمد أنا باجى هنا ليه؟

هز أحمد رأسه بالنفي؟؟؟

الرَّجُلُ : باجى هنا عشان أتفرج على الناس . .

ظل أحمد يُحملك في الرَّجُلِ بلا تعليق . .

الرَّجُلُ : كُلِّ واحد هنا ليه قصة . . إنت كمان ليك قصة . .

تخيّل أحمد للحظة أن الرَّجُلَ سيُخرج محفظته الآن ويُبرز كارنيهها عليه
طائر ذهبي مكتوب عليه بخط ديواني مُنمق : اللّواء فلان الفلاني أمن
الدولة . . ثم يقول له في لهجة فيلم عربي : إتفضل معايا . .

أحمد : مُمكن أعرف حضرتك مين؟

الرَّجُلُ : يا أحمد مش مُشكلة أنا مين . . كُلِّ الموضوع إنني باجى هنا مس
زمن، وأول مرّة أشوفك كان الإسيبوع اللي فات . . إنت
مُختلف يا أحمد عن الناس اللي هنا . . لما شُفتك بتصوّر جلال
مُرسى عرفت إن فيك حاجة مُختلفة . . فيه حاجة بينك وبينه .

لو عايز تعرف أنا مين قوللى الأول ليه كُنت بتصوّره؟

وماتنكرش لأنني متأكد إنني شفتك . .

نزلت الطوية الحمراء إلى الجهاز الهضمي لأحمد . .

أحمد : أنا كُنت بس بصوّره لأنني بقراً جرناله وأول مرّة أشوفه . .

الرَّجُلُ : وده يخيلك تصوّره؟

أحمد : يعنى . . عادى . . مش قصدي حاجة مُعيّنة . .

الرَّجُلُ : إتصدمت لما شُفته هنا مش كده؟

أحمد: يعنى . . بس ده حاجة وجرناله حاجة . . دى حُرِيَّة شخصية . .

الرَّجُلُ : ده رأيك؟

أحمد: يعنى . .

الرَّجُلُ : إنت خايف تقول إنك متغاضب من الرجل ده وبتصوّره عشان
تورطه . .

في هذه اللحظة ، أصبحت الطوبه الحمراء تضغط على مائة أحمد
ومصارينه الغليظة بعنف . . انتشر العرق على جبينه حين شعر بالـ ٢٢٠
هولت اللذين مرّوا للتو في أطرافه فانتصب شعر رأسه ويده : حضرتك
كهرت الموضوع أوى . . كل ده لمجرد إني صوّرت زبون؟؟ وبعدين أنا في
الآخر مُصوّر وده شغلي . . ثمّ أنا مسحت الصّور دى ساعتها . .

كان أحمد يلهث داخلياً وهو ينتظر رد فعل ذلك الشيطان الذي جاء له من
أسفل سافلين ، مُرتدياً أفخم الثياب مُتأنقاً يلقى بالسؤال وراءه سؤالاً لا
يعطى أحمد مساحة من الفكر ليستوعب . .

داعب الرَّجُلُ ذقنه المحلوقة جيداً: إنت ليه قلقت كده؟ أنا بدردش
معاك . . تشرب حاجة . . أنا عازمك .

حاول أحمد أن يبدو هادئاً: مش أتعرف الأول على سيادتك؟
الرَّجُلُ : جميلة سالي . . كان الرَّجُلُ ينظر إلى سالي التي أخذت تلفّ
وسطها ببطء وتنحني كحية بيضاء .

أحمد: ؟؟؟

كان قد أدرك أن الرَّجُلُ لا يريد الإفصاح عن نفسه . .

الرَّجُلُ : صوّرتها يا أحمد قبل كده؟

أحمد: أكيد . .

الرجُل: لوحدها؟

أحمد: لأ مع الزباين . .

الرجُل: ماتمتهاش في أحلامك؟

كان أحمد قد وصل إلى الذروة فردّ بعصبية: لأ.

الرجُل: كُل الصّور اللي كُنت بتصوّرها ومفيش مرّة صوّرتها عشان
إنت عايز تصوورها . .

إنت مش صريح يا أحمد . . جِسم بالجمال ده مش مُمكن يعدّي على
مُصوّر زيّك . .

وقف أحمد وحاول ضبط كلماته: استأذّنتك يا باشا عشان أشوف
شغلي . .

و مد يده في الهواء فلم تتلقفها يدُ الرجُل الذي نظر إلى أحمد بابتسامة
ساخرة وغمز له بعينه: هشوفك تاني يا أحمد.

انسحب أحمد في هدوء تتنازعه الهواجس حول ذلك المخلوق القدم
الذي سدّد له لكمة بين ضلوعه، ورحل في سكّون الذئب بعد أكل
فريسته . . عاد لصخب الصالة ثانياً وحاول تجاهل تلك البقعة المظلمة،
الخلف التي يجلس فيها هذا المعتوه . . كلّما أسقط من ذاكرته الدقائق العشر
الماضية عادت إليه كالبقعة لا يُزيلها المسحوق . .

"كابتن . . يا كابتن يا مصوراتي . . " كم كره أحمد تلك الكلمة . . كار
النداء من ترابيزة فتحّي العسّال: . .

"تعالى يا حبيبي . . إنت مالك نايم على روحك كده؟؟"

نرى مثل مُتوسِّطِ الجِسمِ، شاربه مُنمَّقٍ وأنفه معقوف طويل يتحدَّثُ منه
بهوت مملوء بالغرور: تعالى . .

حاول أحمد الحفاظ على هدوئه وهو يقترّب من تلك الترابيزة التي
لكدّست بالكووسَ والمزّات لمعرفته بأخلاق المُرتادين وخاصةً في تلك
الساعة التي تتساقط فيها أقنعة الوقار، فاكتفي بالضغط على فكّه السفلى
مُبرزاً كُرّة من الغضب في أسفل صدغه: حضرتك بتنده؟

رد عليه الرَّجُلُ بابتسامة صفراء: إنت سمعك ثقيل؟
تقلّص وجه أحمد ورد من بين أسنانه: لأ يا باشا الصوت بس عالي مش
سامع . . أو مُر . . صورة؟

التفت إليه الرَّجُلُ بجسمه، وناوله ورقة صغيرة مطوية يُمسكها بالوسطى
والسبابة، تحتضن ورقة فئة العشرين جُنيهاً وابتسم له ثم غمزه بعينه . .
التقطها أحمد وفتحها، فقبض الرَّجُلُ على يد أحمد بقوة: أنا قلت لك
للنحها؟!!

اقترب أحمد من الرَّجُل: فيها إيه الورقة دي مش فاهم؟
أشار إليه الرَّجُلُ بسبّابته أن اقترب: شايف الترابيزة اللي هناك دي على
اليمين؟

كانت رائحة فمه تكفي لإشعال سبرتاية، وصنع كوب من الشاي
الحشري . . أدار أحمد رأسه ناحيتها، ولكن الرَّجُلُ ضغط على يده:
مانبش . . بقول الترابيزة اللي وراك يمين .

كان أحمد قد لمح فتاة تبسم من ثلاث يجلسن مُتجاورات: مالها؟
"البنت اللي على الشمال . . إديها الورقة دي"

شعر أحمد لأول مرة بشعور كوبري قصر النيل : الورقة دى فيها إيه .

ممكن أعرف؟

رد عليه الرَّجُل في عصبية باردة مُنخفضة الصَّوت : فيه إتنين في الصبر
ماسمعوش صوتك ، ممكن تعلّى صوتك أكثر من كده . . إيه يا بني آدم
بقول وصل . . الورقة . . دى . . للبت . . اللي قاعده هناك اللي لابسه
إسود . . فيها مُشكلة دى؟ مالك إنت ومال الورقة فيها إيه!!

لم ينتظر أحمد وفتح الورقة ، رقم من عشرة أرقام مكتوب تحته : " افتحي
البلوتوث " وتحتها " حبيب أمين . . "

حاول أحمد أن لا يثير زوبعة ، ففتح يد حبيب الحبيب ، وأعاد إليه
الورقة . .

أحمد : أنا ماليش في الكلام ده شوف حد يوصلها لك ، وإستدار تاركا
الترابيزة . .

قام حبيب والشرر يتطاير من عينيه : خُد يا حبيبي ، إنت بطلت واللا
إيه؟ . . إعتزلت؟

تحركت كُرة حمراء من الفحم داخل صدر أحمد : أنا ما إبتديتش أصلاً .
حد قال لك إني إيريال؟

ارتفعت نبرة صوت حبيب : خُد تعالِ هنا . . إنت بتتكلّم معايا إزاي
كده؟

أحمد : زى الناس . . ولم الدّور وبلاش عشان منظرِك ما يبقاش وحش .
التفت الرّؤوس ناحية الصّوت ، ووقف اثنان أو ثلاثة من الترابيزة علم .
رأسهم فتحي العسّال . .

رمى حبيب بكأس على الأرض فانكسر : يا حيوان يا ابن المره، إنت
مش عارف إنت بتكلم مين؟

اهتز عصب يد أحمد اليسرى : إنت بتشتمنى . . أنا أنضف منك ومن
اللي خلفوك كمان . .

اقترب منه حبيب وأحاط به ساكنو الترابيزة : إنت قليل الأدب
ومحبسك النهاردة . .

انفلتت الأعصاب خارج سيطرة أحمد، وأخذت يده اليسرى في
الاهتزاز : تحبس مين . . إنت فاكرها سايبه .

اقترب فتحي العسال من أحمد، وجذبه من يده : في إيه يا حبيبي ما تتكلم
بأدب . .

أفلت أحمد يده في عصبية حين اقترب كابتن الصالة موجّهًا حديثه إلى
لعلي العسال قابضاً على كتف أحمد بقوة : إيه يا باشا خير حد زعلك؟

حبيب : الواد ده قليل الأدب . . وأمسك بتليفونه المحمول . . وهيبات
في القسم النهاردة .

كابتن الصالة : بيات في القسم يا باشا . . بس ممكن طيب نتكلم برّه؟
أحمد : يا كابتن الراجل ده عايز يشغلنى إيريال . . ترضاها إنت؟؟

فتحي العسال : إنت برضه بتقل أدبك؟
حبيب : ده واد زبالة . . أنا هعرفه أنا مين . .

أحمد : أنا زبالة يا واطى . .

دفع كابتن الصالة أحمد في صدره : إيه يا أحمد . . إنت مش عارف الباشا
٢٠١٠ إنتفضّل برّه دلوقتي لغاية ما أجيلك . .

في حين ظهر البودي جارد وإتجه إلى مصدر الصوت وتوقفت الفرقة عن العزف وانسحبت سالي غاضبة تُتابع الشجار من خلف الستائر . .
فتحي العسال مُوجهاً كلامه إلى كابتن الصلاة : إندهلئ يا إبنئ المدير . .
يلله . . أنا مش هستنئ لما أشوف حمار مشغلينه يشتم ضيوفئ .
انكمشت ذقن أحمد ، وسرى تيار كهربي في ركبتيه ؛ وشعر بتنميل في وجهه : أنا حمار يا حمار؟؟؟

احتقن حبيب : وابن كلب واطئ كمان . . وأعقبها بصفعة دوت على صدغ أحمد أطاحت بنظارته وما تبقي من كرامته ، وأسكنت ذلك النمل الذي كان يرعى في وجهه . . اختفت تفاصيل كثيرة على إثر إقلاع النظارة من على وجهه . . شعر أنه يُصارع وسط مياه البحر . . ولم يشعر بيده التي طارت فجأة بلا تحكّم محاولة الاستقرار في وجه حبيب الذي ابتعد إلى الخلف لتستقر اللطمه غير الموجهة في يد سيد قدرئ ، ويُطوّقه والبودي جارد الآخر من وسطه : إيه يا حمادة صلئ على النبي مش كده . .

تعالئ بس بره . . صلئ على النبي . . الله . .
هاج أحمد وصرخ ولوّح : يا إبن الكلب . . أنا مش هسيك .
والمصحف لأورئك . .

كان حبيب ينظر إليه في ابتسامة المتصر : يالله يا حبيبي على أمك .
ما تخلينش أخطك بتليفون .

أحمد : تخيطني أنا يا زباله؟؟؟

دخل جودة من الباب: حمادة.. فيه إيه؟.. سيني يا عم جودة..
الراجل الوسخ ده عايزنى أبقى إيريال ولما مارضيتش أضرب؟؟
أضرب على وشى يا عم جودة؟؟
جودة: طب تعالى بس بره.. إهدا إهدا بس.. والمحنى ليلتقط نظارة
طارت منذ قليل عدستها اليمنى..

كان حبيب قد جلس ووضع سيجارة، وبدأ يصفق في الهواء لفرقة
صالي، لكي تبدأ من جديد، في حين المحنى عليه كابتن الصالة وبدأ حديث
وذى من نوعية: "يا باشا أصله لسه جديد.. إمسحها فيا أنا.. ده واد
لملبان مش واخذ على الشغل.. اللي إنت عايزه.. أنا هبهده معلىش يتيم
والله.. بالمناسبة يا باشا البنت اللي هناك دى سألت على سيادتك.. أبلغها
حاجة.. حاضر.. يا باشا تيجي لغاية هنا بنفسها يا سلام بس حضرتك
لهدى فتحى بيه إحنا مش عايزينه يتعكر مزاجه النهارده.. كمان عيد ميلاد
نانى هانم.."

صاح فتحى العسال: هات لى يا ابنى مدير الصالة؟

التف كابتن الصالة حول الترابيزة في لحظة ليصل حيث جلس فتحى
العسال..

كابتن الصالة: يا باشا مفيش داعي.. الولد ده هيتأدب ويتخصم منه
ولو سيادتك تحب نمشيه خالص يمشى المهيم سيادتك تنساه
وسيب الموضوع عليا.. وبعدين يا باشا البروجرام النهارده لسه
هيتدى وسيادتك لازم تروق.. بالمناسبة يا باشا سالي عملاك
هدية عشان مدام نانى..

و غمز لسالي ثم أشار للفرقة فبدأ العزف مرةً أخرى . .
أشاح فتحي العسّال بوجهه : إنت عارف حبيب أمين والسلا ما
تعرفوش . . عارف ابن مين؟

أبوه بتليفون واحد يقفل شارع الهرم باللي فيه مش الكازينو؟
كابتن الصالة : يا باشا حبيب بيه غنى عن التعريف . .

فتحي العسّال : يعنى ينفع ضيفي يتشتم؟ أنا ضيفي يتشتم؟ وبعدين من
مين؟ . . حتة مصوراتى لا راح ولا جه . . الواد ده شغال مع
جودة؟ فين جودة؟ . . هو كل مرة يهبش خمسين ومية ده غير
الصّور وفي الآخر واد ما يساويش من عنده يهزأنا . . أنا ليا
تصرف مع المدير بتاعكو . .

الكابتن : يا باشا امسحها فيا أنا . . ده مقام حضرتك كبير أوى هنا . .
ماتكسفينش وطلبات حبيب بيه كلها مجابة وهينبسط أوى عندنا
وحساب الطلبات النهاردة كومبليمون من المحل . . يا فندم
كفاية حضرتك منورنا والله . .

اندمج فتحي في حديث مع نانى ، وترك الكابتن متعمداً لإشعاره بمدى
استيائه مما حدث ، فانسحب الأخير بهدوء ولوّح لأحد الويترز أن يأتي في
سرعة : نزل كل حاجة ، وأي حاجة يطلبوها يلاقوها فاهم . .
قام فتحي وسحب كرسيّاً وجلس بجانب حبيب : إيه يا قمر ماتعكّرش
دمك . .

حبيب : لا ده عيل وسخ ، أنا مش عايز أشدّه بس عشان نانى ، والله
عشان عيد ميلادها . .

فتحي : أنا هتصرف معاه بس مش دلوقتى . . هو إيه اللي حصل ؟
حبيب : كُنت عايزه يوصل ورقة كده . . بدّيْلُه عشرين جنيه مش
عاجبه ، طمع باين عليه . .

فتحي : ولا يهْمَك . .

حبيب : خرّجنى الزبالة ده من المود . .

فتحي : دى عيال أصلها حاقدة ولاد كلب . . يبسُّ برضه للى فى
إيدك . . ما إنت عارف بيته وسخه مش لاقية تاكل . .

حبيب : نفسى البلد تنصف من العيال الزبالة اللي جايبينها ورا دول . .
أجيال خره . .

فتحي : البلد دى عُمرها ما هتنصف . . يستاهلوا كل اللي بيحصلهم . .
قولّى . . شريف باشا عمل لنا إيه فى الموضوع بتاع التصاريح
والموضوع التانى . .

ضحك حبيب : فى خلال يومين الأرض دى اعتبرها بتاعتك قبل ما
تخسّ كردون مباني بشهر . .

إنت قلقان ليه؟ اعتبر التصاريح معاك . . الموضوع التانى لسّه شوية . .
بس فى خلال يومين هتحصل حملة جامدة على شركة "نوتريمينتال" . .
الليفزيون والجرائد مش هيسكتوا . . مسألة وقت . .

فتحي : أخبار الانتخابات إيه؟ الوالد عايز أصوات؟

حبيب : يمكن نحتاج منك شوية أصوات فى كام دايرة كده . .

فتحي : رقتى . .

حبيب : شكليات ما إنت عارف . .

كان فتحي ينظر إلى ترابيزة خلف حبيب: حبيب.. فين البنّت اللي
كُنت بتلاغيها؟

حبيب: ليه؟

فتحي: أصل فيه واحدة بتضحكك أوى..

التفت حبيب إلى ترابيزتها: هي اللي على الشمال دى..

أشار لها فتحي أن تعالى.. قام لها يقابلها في وسط المسافة.. أحاط
وسطها برفق واقترب من أذنها وهمس: "اسمك إيه؟"

البنّت: هالة..

فتحي: هالة بتعرفي عملي إيه؟؟

عضّت على شفيتها في خُبث: يعنى إيه.. مش فاهمة؟؟

أخرج فتحي من جيبه عشر ورقات فئة المائة ودسّها في الحقيبة التي
تحملها: بصى أنا عايزك تنسى حبيب بيه اسمه.. وبعد ما تخلّصي فيه زيهم
تانى.. ماشى؟

ابتسمت هالة ولم تُعلّق.. أغلقت حقيبتها وحامت بجانب حبيب قبل
أن يدعوها لتجلس وتتصنّع حديثاً.. انسحب فتحي بعدما وقّق رأسين في
الحرام إلى حيث كانت تجلس نانى: إيه.. عملت إيه؟
فتحي: خلاص.. روقتّه..

نانى: موقف وحش أوى بصراحة.. إزأى الولد ده يعمل كده.. إنت
هتسيبه؟

فتحي: مش عايز أكبر الموضوع عشان الليلادى عيد ميلادك، أنا ليا
كلام مع المدير بعد كده..

نانى : حبيب مش زعلان . .

فتحي : المود بتاعه مقلوب شوية بس البت دى هتروقه . . شكلها شاطرة ، خدامة سريرها . .

نانى بميوعة : وانتِ عرفت مينين إن شاء الله؟

فتحي : نانى أنا خير يا نانى . . أشوف التتاية ، أعرف دى تعمل إيه وآخرها إيه . .

نانى : طب وانتِ قلتِ عليا إيه بقه لما شُفتنى؟

فتحي : قلتِ إن الفرس ده لو فلت متى يبقى مش هشوف نسوان تانى أبداً . .

نانى : قلتِ كده على مراتك لما شُفتها؟

فتحي : أهى دى المرّة الوحيدة اللي إضحك عليا . .

في تلك اللحظة ، هرول جودة إلى ترابيزة فتحي العسال وانحنى محاولاً لثم رأسه : يا باشا حقك عليا . .

فتحي : لا يا جودة . . المرّة دى ماتعديش ، إنتِ بتهرج . . الواد ده أنا مش هسكتله . .

جودة : تصدق وتؤمن بيايه يا باشا ، الواد ده أمه ماتت محروقة الإسبوع اللي فات ، معلىش امسحها فيا . .

فتحي : إنشالله تكون أمه ممسوكة آداب ، هو مش عارف بيكلم مين؟ أنا مايتعملش معايا كده وانتِ عارف ، ومش من حته مصوراتي لا راح ولا جه .

جودة: عيل ما يعرفش . . إمسحها فيا . . حقك عليا . . الواد جديد
وخام . . مش هتشوف خلقته تانى هنا يا باشا، بس سيادتك
هدى حبيب بيه . . سيادتك ما تعرفش إنت محبتك عندى أد
إيه . . ده المحبة ما بتتشرش يا باشا . .

فتحي: خلاص خلاص ماتصدعنيش . .

جودة: الله يباركلنا فيك يا باشا، جميلك على راسى . .
في الخارج كان حسن وسيد يحيطان بأحمد في محاولة لإبعاده عن الكازينو
وإخماد ثورته . . حتى خرج جودة واحتوى أحمد وابتعد به عن الصلاة . .
جودة: إيه يا حمادة . . روق بقه مش كده . .

كان أحمد يبكى ممسكاً بعدسة نظارته المخلوعة يُحاول إرجاعها إلى
مكانها: ده يرضيك يعنى؟

جودة: لأ طبعاً دى عالم بنت قحبة ماتعرفش ربنا . . بس أنا عايزك تهاأ
عشان نعرف نتكلم . .

تعالى نتمشى أنا خلاص مش راجع النهاردة الصلاة تانى . .

أحمد: لأ إرجع إنت، أنا عايز أمشى لوحدى شوية . .

جودة: والله ما أنا سايبك . . يغور الشغل . . يا نهار أبيض إنت عند
أغلى من أي حاجة يا حمادة ولثم خدّه بقبلة مبلة . . بس أنا ر
حمادة عاتب عليك . . الناس دى إنت عارف إنهم مليونين أو
ومنفوخين على الآخر ومش بيقسوا في وعيهم لما يتقلوا العيار
وإنت لازم تبقى هادى . . شغلتنا صعبة وعايزه سياسة . . أنا

عارف إنه بني آدم واطى بس لازم تبقى صبور . . دى لُقمة
عيشنا . .

أحمد: أي حاجة إلا كرامتي يا عم جودة . . أنا عمر أبويا ما رفع إيدته
عليًا . . وتغور لُقمة العيش اللي تيجي بالإسلوب ده . .

جودة: معلىش إنتوا أصلكم جيل ماشافش الحرب ولا حس بالمهانة اللي
بجد . . ده أنا في ٦٧ لما اتأسرت . . أنا حكيت لك مش كده؟
حكيت لك كانوا بيعملوا معنا إيه . . والله كانوا بيسيوا الكلاب
تجرى ورائنا ويضربوا علينا نار . . استحملت عشان أعيش يا
حمادة . . وبعدين فتحي العسال ده خيرَه عليًا وعلى المحلّ
كله . . ده راجل جدد أوى . . إنت عشان بس لسه
ماتعرفوش . . ده راجل سُكرة . .

لم يكن أحمد في مزاج يسمح له بالاستماع إلى قصص جودة في بلاد
العجائب، خاصة قصته مع سيّدة القلوب وجزيرة فقايع الصابون . .

نظر إلى السقف وزفر: عم جودة في عرضك أنا تعبان ومش ناقص . .
عادت دموعه تُغرق عينيه مرّة أخرى، اعتصر صدره وضّقت عليه نفسه
من بهانة لم يعهد لها . . تذكر لحظات موت أبيه وأمه، تذكر آية، تذكر نظرة
هُمام الأخيرة إليه، تذكر كل ما أحزنه وكأنه حدث منذ ساعة، تذكر
هادة، شعر للحظة أنها كانت حاضرة الموقف، تراه عاريًا، حتّى إنه استعمر
من الفاظه وسبابه في لحظة غضبه وكأنّها كانت تسمعها . . كأنه يعرفها . .
لمر في تلك اللحظة أنه يُحبّها كثيرًا . . حين إلى كل شيء افتقده . . هاج
وماح وصرخ وشم . . . ثمّ هدأ . . . سكت ولم يسكن . .

عندما تمالك نفسه كان جالساً على ترابيزة خشبية في محل كشري العريس ، وأمامه دورق مياه ستينلسستيل وطبق كشري وزُجاجة دقّة . .
وجودة: سَمَى بقره بسم الله وكُل . .

أحمد: ماليش نفس يا عم جُودة . .

جُودة: كُل عشان خاطري . .

أحمد: مش قادر أنسى اللي حصل . . أنا عمري ما حد بهدلنى بالشك

ده . . أنا ابن ناس يا عم ، إنت فاكر إنني عشان بشتغل في المك

ده أبقى مصوراتى بنكلة . .

شعر أحمد أنه قذف حجراً في وجه جودة . . خاصة حين نظر جودة إليه

بابتسامة عتاب . .

أحمد: ما أقصدش يا عم جودة . . أقصد إنني متربي وأبويا الله يرحمه كان

راجل فتان . . علّمنى في مدرسة كويّسة ومعايها بكالوريوس

تجارة . . أي نعم مالوش قيمة في البلد دى بس أعمل إيه . .

أروح أشتغل بميّة وسبعين جنيه؟ طب والمهنة اللي علّمها لي

أبويا؟ حتى أختي ما رحمتنيش بتقول لي حرام وكُل فلوسي

حرام . . أنا عارف إنها حرام بس أنا مش لاقى حتى مكان أنام

فيه غير هنا ومش حرام برضه إنها تقاطعني من آخر مرة كنت

معها . . وبعدين هو أنا لقيت وقُلت لأ . . يا عم جودة أنا متعبى

أوى . . تعبان أوى . . الراجل الوسخ ده ما ضربنيش على

وشى . . ضربني في قلبي . . خرّج كُلك حاجة سودة علّمت فيا . .

أنا إزاي أسكّت؟ ودمعت عيناه مرة أخرى . . أنا هسيب الشغل

ده . . ما ينفعش أكمل في مكان زى ده ومش هقضى عمري كله
أصور في موامس وسكرانين . . أنا آسف يا عم جودة بس دى
هى الحقيقة . . إنت نفسك مش قادر تواجهها . . إحنا بنصور
الناس الغلط في المكان الغلط . .

جودة: يااه يا حمادة ده الموضوع مش خناقة والسلام!!

أحمد: لا يا عم جودة . . إلا كرامتي . .

جودة: أنا معاك يا أحمد إن شغلنا فيه مهانة بس ده أكل عيشنا . .
حياتنا . .

أحمد: حياتك يا عم جودة . .

جودة: آه حياتي وما يستعرض منها، لو حد سألني هقوله أنا بشتغل إيه
وفين . .

أحمد: يعني إنت مبسوط بحالك ده؟؟

جودة: الحمد لله . . هو حد لاقى ويعدين أنا قابلت مواقف أكثر من
كده واستحملت . . عشان لقمة العيش يا أحمد . . الزمن علّما
كده . .

أحمد: أنا مش زيك . . إنت عودت نفسك على كده . . قبلت ده
واعتبرته نعمة . . أنا بشوفك لما حد يبشخط فيك . .
بتسكت . . بتضحك . . بتصهين . . يا عم جودة أنا مش كده . .
مقدرش أكون زيك . .

كان الكلام ثقيلًا كخزينة حتى بالنسبة لوجه جودة المكشوف الذي تعود
هلى عدم الحرج . . كان يدرك أن أحمد على حق . . ويدرك أنه وضع يده في

نسيج الجرح . . لكنه قرر أن يدافع عن موقفه باستماتة : أنت مش فاهم
 حاجة ومش هتفهم . . ربنا بعث لنا الناس دى سبب يا عم أحمد . . إحنا
 مش مُشترَكين معاهم في اللي بيعملوه، إحنا بنصوّر بس، لا إحنا بنسقيهم
 خمرة ولا بنقلع لهم النسوان . . وبعدين هوّ إحنا ضربنا حد على إيده . . إيه
 يعنى شوية نرفزة واللا حتى قلة أدب . . سكرانين . . في الآخر بنسلخهم
 وناخد حقنا واللا لأ؟ وكل مهنة فيها متاعبها . . برضه إنتوا جيل مدلّع .
 ماتعرفوش إن اللي إنتوا فيه ده نعمة، والأيام دى دلّع بالنسبة لزمان .
 ماشفتوش حرب ولا موت . . بوس إيدك وش وضهر إن فيه ناس زى دى
 بتراعينا وتيجي تنفعنا، طب والله فتحي العسال ده مرّة إدانى خمسميت جنبه
 من غير ما أصورّ ولا صورة، وحبیب أمين ده تنك حبيتين بس جدع
 وحاتى . . أبوه إنت عارفه، شريف أمين . . راجل ثقيل أوى . . اللي يلاتم
 الدلع وما يدلّعث يا سيدي . . حقّه . . معلش ابن عز وواحد قلم في نفسه .
 نستحملة . . فيه غيرك قاعد في البيت من ساعة ما اتخرّج مش لاقى شغل
 وبعدين يا حمادة إحنا مش قد الناس دى ولا قد مشاكلهم دى ناس واصاه
 لفوق أوى وإيديهم طويلة أوى أوى . . نيجى إحنا إيه فيهم . . يا أحمد أنا
 عارف إن كرامتك فوق كل شيء بس برضه دول اللي بيأكلونا . . لازم
 نطاطى عشان نعيش يا حمادة . . سيّد درويش قال كده . . واللا إنت عاجبك
 صحابك اللي قاعدين في البيت؟ فوووق . . إصحنى . . إنت في ويلكم تـ
 إيجيت . .

أحمد : يعنى إنت شايف إن المفروض أسكّت وأبوس إيدي وش وضهر
 على النعمة اللي عايش فيها؟

جودة: لأ.. بقولك إن وضعك ده فيه ناس كتير تتمناه وبكرة تنسى
وتتعود تبقى دماغك أكبر من كده..

أحمد: مش هيحصل يا عم جودة.. إنت مابتشوفش نفسك لما زبون
مايسواش يزعق فيك؟

عُمرِك ما حسيت إنك مانتتحقش ده.. ترضى مراتك تشوفك في وضع
ده؟ أنا مش عارف إنت ليه مش شايف اللي أنا شايفه.. زى ما أكون
بلسفل في مكان تانى.. مش معاك..

جودة: لأ شايف بس الحياة عودتنى أبقي ناشف..

أحمد: ناشف واللاسكت.. ميسوط باللي إنت فيه.. نعمة الذل
للأوساخ والحرامية اللي بيرموا كل يوم تحت رجل سالي سبعة
راكب قد اللي كسبته وهتكسبه طول عمرِك..

جودة: كلامك صح.. حلها إنت؟

أحمد: مش هكمل..

جودة: طب والسكن؟

أحمد: هتصرف.. عندي واحد صاحبي هروح أسكن معاه لغاية لما
تتدبر..

كانا قد خرجا معاً ومشيا مُصمّتين حتى اقتربا من الكازينو..

جودة في محاولة أخيرة لكبح جماح أحمد: يا أحمد أنا أكبر منك وشُفت
لي الدنيا دى أكثر منك..

إنت لسه عودك أخضر.. إسمع كلامي وما ترفسش النعمة اللي في
إهدك حاول تنسى وإهدا..

مفيش داعي لكل ده . . ده أنا لو حكيتلك على اللي حصللى في حياىم
هتقول على الدنيا السلام، طب إنت عارف أنا مرة وأنا في المخابرات آيا
الحرب، واحد رتبة كبيرة يعنى حسب يرسم نفسه معاىا . . عارف سيبه
ومشيت وبعد يومين جه وإتأسف لي بعد ما كرفته، لما عرف إن عبد الناص
ده حبيبي، وبعدين إنت مش عارف . . انفجر أحمد كغطاء الحلة البريستو
يا عم جودة كفاية بقه . . إنت مش حاسس بنفسك . . مش حاسس إن كل
اللي حواليك بيضحكوا عليك . . فوق بقه من الدنيا اللي إنت معيش
نفسك فيها دى ومعيشنا معاك . . إنزل على الأرض . . كفايك حكايات .
أنا زهقت من هرويك في الخيال . . إنت جودة مش رأفت الهجان . .

مفيش حاجة معمלתهاش؟؟ لما إنت بطل كده شغال هنا ليه وهاس
نفسك . . ده يهدلك وده يعطف عليك كأنك شحات . . مانفسكش مره
تتعامل بإحترام . . مانفسكش الناس ماتضحكش في ضهرك وتستأك عشام
يتسلوا عليك؟؟ دول بيشتغلوك . . فوق بقه . . بيشتغلووك . .

كثيراً ما كان يفعلها أحمد . . مع أخته وأبيه وأمه وحتى أعز أصدقائه
صفة أساسية في بُرج الدلو . . عصبية شديدة جداً وانفجار يُطيح بمن يحاول
تهديته . . ثورته التي تكون أحياناً بلا قضيّة . . يتبعها الندم الشدا
وإحساس بالذنب يزيد من حدة غضبه وسخطه على من أمامه . .

أطرق جودة برأسه إلى الأرض . . لم يتكلم . . لم يصرخ . . لم يُداع
عن نفسه . . كأنه كان ينتظر من يقولها في وجهه صراحة : إنت كدأب .
كان يعرف أنه كذلك . . كما كان يُدرك أنه لا ينبغي أن يشعر أنه يعرف . .
كان يخدع نفسه قبل أن يسرح بالآخرين . . ابتسم وهز رأسه . .

ابتسامة جودة أشعلت غضب أحمد: إنت كمان هتزعل منّي . . أنا هارف إن كلامي ده هيزعلك . .

بس أنا خايف برضه عليك . . لو زعلت منّي تبقى مش فاهمني . . أنا الكسفتلك . . أضحك معاهم عليك؟؟ حاولت . . معرفتش . . أنا بعتربك أوي . .

جودة: أنا مازعلش منك أبداً يا حمادة . . وإنت كمان ابني اللي ماخلفتهوش . .

كانوا قد وصلوا أمام الكازينو . .

أحمد: أنا آسف . . بجد آسف لو كُنت إتعصبت عليك وقلت كلام مش مظبوط . . أنا لما بتعصّب ببقى أعمى . . أمسكه من كتفه وضغط عليه . . ماتزعلش هه . .

جودة: أنا مبسوط إتها جت منك إنت . . لو كُنت أتمنى حد يكلمنى ماكنتش أتمنى غير حمادة . .

أحمد: حقك علياً يا عم جودة . .

جودة: ماحصلش حاجة . . أنا مش زعلان . . يالله تعالى معايا . .

أحمد: أنا مش هدخل دلوقت . .

جودة: هتروح فين الساعة دي؟

أحمد: هاتمشى شوية . . عايز هوا، مش هيجيلي نوم . .

جودة: على كيفك . . أنا هتكلم مع كاتبين مُحسنين عشان أسوى المشكلة

معاها . . راجل جدع . .

أحمد: مش هتفرق . .

جودة : لغاية بس ما نلاقى صرفة أو حتى سكن ليك . .
شعر أحمد أن جودة على حق في أمر السكن ولكنه خجل أن يسوح بأنه
يحتاج يومين لترتيب أوراقه فاكتفى بهز رأسه وطواه شارع الهرم ، لا يدري
أين تأخذه رجلاه . . كميت يصرخ من نعشه فيمن يحملونه . .

.....

٩ صباحًا . .

"الو . . أبوه يا عمر . . إزيك . . إنت في الشغل؟ طب بقولك إيه فاكر
المرسوع اللي قلت لي عليه . . بتاع الشغل يا أخي . . آه . . آه . . أقدر آجى
ما دم الأيام دى؟ طب ردّ عليًا وحياة أمك بسرعة . . لأ يومين ثلاثة إيه
ماول تنجز . . مش هينفع في التليفون . . هحكيلك لما أشوفك . . بُص
: ان بتكلم من الشارع . . ماشى . . آه فيه حاجة كمان . . شوفلى مكان
الرب . . إن شالله أوضة عتي . . لأ مش هقعّد معاك . . يا عم أمك بتشعتر
بالل . . لا والله هرتاح يابني طبعًا ده بيتي أنا بهزر . . بس شوفلى حاجة
مك عشان أبقى على راحتى . . خلاص هظبط حالى وأكلمك . . سلام .
على الرصيف المقابل ، وقف تاكسي عتيق ونزلت منه غادة أمام
الماليرى . . لم تلاحظ ذلك الكيان الرابض الذي استقرّ منذ الخامسة صباحًا
على الدكة في انتظار ظهورها . . أخذ يتابعها بعينيه . . تُنظّم المعرض . .
مع الكمبيوتر . . تضع لمسة هنا وأخرى هناك ثم تقف تلك الوقفة في
الرجاج كأنها تمثال ينظر ناحيته . .

قام من مكانه وتوجّه إلى كابينة التليفون : الو . . الو . .

وضع أحمد السماعة . . لم يرد على غادة التي وصلت مبكرًا بعدما نظر
إلى حاله فوجدها لا تصلح حتى لتسليك البلاعة . . قررت كُمل شعرة من
أسه شقّ طريقها وحدها . . نظارة بعين واحدة . . قميص فرمه قطار علاوة

على رائحة عرق مُعتق . . كان يجب أن يُغلق السَّماعة . . على بعد خمس دقائق كان هناك محل زهور . . اتجه إليه . . وابتاع صُحبة ورد صغيرة ، واستعان بابن بواب العمارة المُجاورة للجاليري بعدما رشاه بجوز جُنيهاً ، وأخذ عليه عهداً أن يوصِّل الورد لغادة بعدما كيَّله بكارت صغير اشتراه وكتب عليه : صباح الخير . . أحمد كمال . .

اتخذ احتياطاته وغيَّر مكانه وراقب الموقف من بعيد . .

وقف الصغير الأسمر النحيل على باب الجاليري يسأل زميلة لها عنها . أشارت إلى غادة التي اقتربت وتحدّثت بجملتين ، ثمَّ أخذت الورد وبدأت تقرأ الكارت ، في حين حاول الولد الصغير الانسحاب . . استوقفته . سألته عن شيء . . أشار بعدها إلى الشارع مُحاولاً العثور على الشخص المرسل . . يا له من وغد . . ألم يقبض الثمن؟ ذلك الخائن الصغير الجاسوس المزدوج الذي وقف يشير إليها بيده إلى فوق مُحاولاً وصف طوا مرسل الورد ، ثمَّ لفَّ سبَّابته علامة على الرُفْع ، ثمَّ أشار إلى عينيه يعني أنه يلبس نظارة . . "كفاك خيانة!!" قبل أن ينسحب الخائن . . كم تمنّى أحما لو معه بندقية قنّاص وهو يتابع ذلك الشيطان الذي يتحنجل في براءة عانا إلى عمارته وكأنّه طفل . . نظرت غادة إلى الورد ثمَّ إلى الكارت ورجعت إلى الرُجّاج شاخصة ببصرها إلى الشارع ، باحثة عن شخص يتابعها ويرصّها حركتها ، تمسك بوردة انتزعتها من البوكيه تعبت بها بين أصابعها . . لاحظ ذلك المُنْهَك الذي انسحب ناظراً خلفه كلُّ خمسة أمتار حتّى اختف من مرمى بصره . .

نزلت عباءة الليل سريعاً . . عباءة سوداء كالحبة مملوءة بالأتربة لكنّها
غافية لإضفاء جو من الغموض على ليل القاهرة . . ليلها الصاحب . .
كان أحمد قد توجه إلى كازينو . . مرّ بكأبتن الصالة . . تلقّى كلمتين
معمون مُرتحية وصبر حاول به عدم الردّ، حفظاً لمقام جودة، مُستمعاً بلا آذان
اصباح الكابتين في تمشية الحال . . إننا لا نشترك في شيء نحن فقط نُسهّل
بالأمن أن يفعلها غيرنا، ولو ما سهّلنا لوقف حال المكان . . نُحاول دفع
النية التحتية لتصل مُعدلات أفضل، ونسعى لرفع مُعدلات التنمية وزيادة
لمرس العمل . . ولم ينس إضفاء كرمه وجوده في إنقاذ حياة أحمد من بسرائر
الجبار، وتحذيره بلهجة شرسة من مغبة العبث مع الزبائن مرّة أخرى . . كل
ما كان يدور بخلد أحمد، كان الحفاظ على الغرفة المؤجّرة حتّى يرتّب حاله مع
مُمر . . استحم في المعمل كما تعودّ وغفي ساعة ثمّ قام وجلس في انتظار
مودة جودة بمفاتيح أورشليم . .

كان صدره مشحوناً . . شعوراً بالذنب ورغبة في رأب صدع أحدثه في
جودة . . كرامة مهتوك عرضها، وهواء يدخل الرئة ولا يخرج . . تخطت
الساعة الثامنة والنصف . . لم يكن جودة ليتأخّر بهذا الشكل . .
الناسعة . . التاسعة والنصف . . صوت خبط على الباب: لو جودة مجاش
إطلع إنت عشان الناس إبتدت تيجي يا أحمد . . يالله . . ؟؟؟

لم يفعلها منذ رُبْع قرن . . . جاء ليفعلها اليوم . . . يوم لن تتحمل قدما
أحمد حملة . . . كأنه يريد عقابه على ما فعل . . . أصبح غريباً عن المكان بعدما
هياً نفسه لتركه . . . لم يكن يملك أي رغبة في حمل الكاميرا . . . لم يكن
مستعداً لتحمل نظرات الآخرين . . . تلك النظرات التي تغتصبك من دون
فُرصة للمقاومة . . .

" أين جودة؟؟ أنا آسف بس إنت اللي إضطرّتنى أقول كده . . . " رقم بيته
لا يُجيب وتليفونه المحمول الذي يصدح بصوت أم كلثوم مع جرسه يصل
لآخر رنّه بدون رد . . . لم يرغب عن المكان إلا يوم وفاة زوجته، ويوم كُسر
رجله جاء بالجيب ليعمل في اليوم التالي . . . " يالله يا أحمد " حاضر . . . "
اضطر أن يدخل الصلاة مرّة أخرى . . . مرّت الساعات ثقيلة وهو يعمل
وحده . . .

يُصوّر ويُحمّض . . . يشرّد ويتخيّل . . . لم يدر ما تلك العاطفة التي
جعلته يختلس نفسه لأقرب كابينة تليفون هارباً إلى خارج الكازينو: ألو .
كان يطلب آية أخته: السلام عليكم . . . مين؟
أحمد: أيوة يا آية . . . أنا أحمد . . .

آية: أخيراً إفتكرت صلة الرحم؟
أحمد: والله أنا معايا تليفون مُمكّن تكلميني في أي وقت . . . يبقى أنا بقى
اللي مقصّر؟

آية: بس أنا أختك يا أحمد . . . أختك الصغيرة . . . أنا عارفة إنك زعلان
من آخر مرّة . . . جيت في وقت غلط وتريقتك على محمود .
وعارفة إنك زعلان من موضوع الفلوس كمان . . . والصور . . .

قاطعها أحمد: الكلام ده مش في التليفون يا آية.. أنا بتكلم أطمئن
عليكى وبس.. مش عايزة حاجة؟ غير الفلوس طبعاً عشان
عارف إنها حرام..
آية: ربنا يهديك..

لم يتوقع ذلك الرد الجاف في هيئة الدعاء: ماشى يا آية.. إبقى
المينى..
آية: إتصل إنت يا أحمد..

لم يتمالك نفسه: مين اللي المفروض يزعل بالضبط؟ آخر مرة ماشى
وأنا زعلان ومارضيتش أعمل مشكلة مع عم الشيخ عشانك..
فلوسي رماها في وشى، وصور أبوكى وأمك لمتها من التراب،
وآل إيه مابتخبيش عليا حاجة.. بديكى سلاح نووي أنا من
وراه؟ وقلبتى بيت أبوكى مستشفي الجن والعفاريست
التخصصي.. كل ده ومأموصة.. وإتصل إنت يا أحمد؟؟؟

انفجرت بدورها: لو فضلت تتريق عليا أنا ومحمود مش هرد عليك،
إقرا الأول في دينك وبعدين إبقى إتكلّم، الزوجة الصالحة
ماتخبّيش حاجة عن جوزها، وفلوسك حرام يا أحمد، طول ما
إنت بتمشى ورا الرقاصة فلوسك حرام، وبعدين موضوع
الصّور ده محسنى إني طعتك في الشرف، مش عيب لما أقول إن
أبونا كان غلطان، غلط في اختياره لشغله، وربنا يفرله لأنه كان
مغيب، أنا مارميتش صورته، أنا جتبتها بس وبعدين المفروض ما
أزعلش لما تهين جوزي وتتريق عليه؟ وبعدين بلاش تريقة بجد

على موضوع الجن ده بالذات إنت ما تعرفش حاجة عنه وربنا
يعفيك إنت مش قد العالم السفلى يا عم أحمد . . ربنا يهديك . .
أحمد: منا عارف جوزك واصل وله معارف كثير هناك . . فيه لواء حتى
في مرور الجن حبيبه . .
بقولك إيه يا آية ورحمه أبوكى وأمك أنا إطمنت عليكى ومفيش داعى
للكلام اللي يزعل . .
لو عايزة تسألني عنى . . تليفوني معاكى . . سلام . .
آية: سلام . .
لم يكن سلاماً ولا حتى مبادرة فاشلة . . تغيرت آية . . أصبحت إنسانه
أخرى . . ليست تلك التي أكل وشرب ولعب وبكى معها . . كانت نفسه
تصرخ: " ماذا جعلنى أتصل بها " . . إحساس بالذنب . .
بالالتزام . . بالضعف . . جرب رقم جودة من جديد . . لا رد . .
وقف أمام كابينة التليفون أكثر من خمس دقائق، حتى كسر السكور
سيارة مرسيدس سوداء بستائر اقتربت من مدخل الكازينو، ونزل منها
جلال مرسى . . لم تكن سيّارته، كان أحدهم يوصله، امتدت يده تُصافح
مودّعه . . شخص معروف . . يراه أحياناً في الجرائد . . وجهه مألوف . . لا
يتذكّر اسمه . . تبادل جلال مع الرجل الذي لم ينزل من السيارة حديثاً با
ودياً إلى أقصى الحدود، انتهى بسلام انسحب بعده جلال إلى الكازينو .
فانطلق وراءه أحمد إلى الداخل . . كان متأكّداً من أنه يألف وجه الرجل ؟
السيارة . . رآه عن قرب وهو بجانب باب الكازينو قبل أن ينغلق الزجاج
الكهربي وتختفي السيارة . . جلس جلال يُكدّس الزجاجات أمامه كأن

سـلـعـب البـولـينـج . . يتكلم في التليفون . . يحيى سالي وسعد صديق وهيام
المعلمة الجديدة . . يكتب في نوته . . حتى دخلت الصالة فتاة صغيرة . .
شيء ما فيها يقول إن سنّها لم تتعد الثامنة عشرة، تنكّر خلف المساحيق
والرموش الطويلة والسواد الذي يحيط عينها كأن البابور قد ذهب فيها، وأحمر
الشفاه الدموي كأنها أكلت طفلاً رضيعاً لتبدو في أواخر العشرينيات . .
يرتدي جيباً طوله حوالي خمسة عشر سنتي وبلوزة شفافة سوداء . . مسحت
المكان بعينها قبل أن تستقر عينها على جلال الجالس في الصف قبل الأخير،
لحها وأشار لها فاقتربت ليثم يدها بقبلة أودعها كثيرا من الرسائل لتصل
إلى دمّها عن طريق الجلد، ثم يفسح لها بجانبه على الترابيزة المحاطة بالظلام
بعد أن يغلق نوته، ويزيح تليفونه ليتوجه إليها كلياً . . تابعه أحمد . . يشرد
عنه لحظة ليلتقط صورة ويعود إليه ثانية . .

كم تضخمت كل أحاسيسه الآن . . وكأنه يرى العالم بصورة أوضح . .
بلاشت فواصل الزمن . . تزداد كراهيته لتلك الشخصية مع عقرب
الثواني . . وكأن ما حدث منذ أكثر من عام إلى الأمس ومكالمة آية الآن قد
انعكسا في وجه جلال . . كم خذلته تلك الشخصية . . تلك التي لو بحثت في
حقيقة الصور لعرفت أن هناك شيئاً خطأ في كل ما حدث . . لماذا ساير
الجرائد الرسمية في نسب الحادث لتراشق نيران ناتج عن خلافات شخصية؟
أين اعترافات محيي ذنون؟ لماذا تدخلت العناية الجنسية في الموضوع لتبريره؟
حتى نظرية المؤامرة بدت ركيكة مُصطنعة . . كأن من الممكن أن يعرف
الناس حقيقة المجزرة . . هل كان هناك سبيل لم يطرقة . هل قصر؟ تنازعت
ملك الأفكار كالضباع الجائعة فأخذ يحوم حول ترابيزة جلال المخفية عن

الأنظار في الخلف . . حتى اقترب من البار فاستند واندمج مع سامي في حوار
ليس له معالم، ثم وضع كاميرته وبدأ يسدد لقطاته . . يتدرّب على ما فشا
فيه من قبل . .

تلك المرّة كانت أكثر دقة . . سدّد ولم يرحم . . ثلاثون لقطّة تسجبا،
تمثّل موسم التزاوج لذكر الصحافة الصفراء مع أنثى مجهولة . . ينهل شفنها
ويدها تعبثان في كلّ خلية من جسدها بالعدد . . صغيرة هي عليه . . صغدا،
على كلّ ذلك العطاء . . لقطات مؤثّرة لا تحتاج إلى ترجمة . . إلى أن لاحها
ذلك الطيف خلف ترابيزة جلال في الصف الأعلى . . كانت يد تلوّح . .
فيها خاتم فضي . . لم يأخذ وقتاً، ليدرك أنه يحمل حرف ال " G " . .

قطعة من اللافا البركانية سقطت على رأس أحمد أطفالها العرق الغزير
أسرع صداع أصابه في حياته . . يالهذا الشيطان . . دقق النظر . . نعم، إنه
هو يشير إليه . . يتتسم ويغمز . . رفع كأسه إلى أعلى دعوة لمشار . .
الترابيزة . . تجاهله أحمد وشدّ حزام الكاميرا على كتفه وابتعد عن مرمر
بصره . . هل رآه مرّة أخرى وهو يُصوّر " جلال " . . كيف جاء، ومتى؟
يلحظ وجوده حتى لوّح . . لعله لم يلحظ شيئاً وكان مجرد سلام عابر
لو أنّه مباحث كنت في السجن الآن . . سأذهب إليه . . أيّا كانت النتائج
كان ذلك صوت هواجس بداخله أخذت تسعل من الانفعال . .

وصل أحمد إلى ترابيزة الصداع النصفى، ولم يمدّ تلك المرّة يده بالسلاخ
مساء الخير يا باشا . .

الرجل: اتفضل . .

أحمد: اعفيني يا باشا . . عشان مُدير الصالة واقف . .

تجرّع الرّجل كأسه : اقعُد يا أحمد . .
جلس أحمد بعدما وضع كاميرته على الأرض وأعطى ظهره للصالة ،
للافتان للفت النظر ، مُعطيّاً ظهره لتراييزة جلال ، دافعاً بالاتهام المُتوقّع من
ذلك الكائن الليلي الذي سيمتص دمه . .

الرّجل : سيجارة؟ كان قد أخرج علبة أنيقة مرصوفاً داخلها السجائر
بعناية طيب القلب . .

أراد أحمد مد جسور الوفاق والتعاون ، وحرص على تدعيم ودفع عجلة
السلام فاجتذب سيجارة بإبتسامة : شكراً يا باشا . . شايف سعادتك غيرت
اللف وبدأت تشرب جاهز!! . .

بدا سخيفاً وهو يتملق ولا يتلقّى رداً؛ فأخرج ولاعته البلاستيك ذات
البطارية والموسيقى ، المطبوع عليها صورة فتاة بمايوه : إتفضل يا باشا . .
ومد يده للرّجل الذي اقترب واقتبس من النار الرخيصة : ولاعة شيك . .
أحمد : صيني . . بنص جنيه . .

الرّجل : أخبارك إيه؟

أحمد : الحمد لله ماشية . . أنا ماتعرفتش بسيداتك برضه . . إمبارح
ماكانش فيه فرصة . .

وبعدين حصل مُشكلة الصراحة كده فإتشغلت شوية . .

الرّجل : كان قلم جامد أوى . .

أحمد : ياباشا والله أنا لو راجل لراجل كان يبقى فيه كلام تاني . .

وبعدين ده خبط في دقني مش قلم قلم يعنى . . أنا كُنت

هبهدله . . بس إنت عارف اللي بيعحوشوا وكده يعنى . .

شعر أحمد بإحساس من حاول سد الشرخ الناتج عن اصطدام جيل
الجليد في جسم التيتانيك بسولي تيب . .

لم يبد مُقنِعاً . .

الرَّجُلُ : ولو جه النهارده؟

لماذا يعقمون الإبرة السامة لقتل المحكوم عليهم بالإعدام؟

أحمد : لو راجل لراجل هعرفه شُغله . .

هزَّ الرَّجُلُ رأسه بابتسامة ساخرة قبل أن يُخرج من جيب جاكته ورقة

صغيرة يُحطِّط فيها بقلم باركر بضع كلمات لم يتمكّن أحمد من قراءتها : تقدر

توصل الورقة دي لجلال مُرسى؟

تأزمت ملامح أحمد وظهر رقم مائة وإحدى عشرة على جبينه . . لم يكرّ

يعلم أنه فتى توصيل البيتزا الجديد : اعفينى يا باشا . . الموضوع ده عملّم

مشاكل . .

الرَّجُلُ : مش قد المشاكل اللي هيعملها لك جلال لو عرف إنك

بتصوّره . . وصل له الورقة بطريقتك . .

قام . . انسحب إلى خارج الصالة ، وفي لحظة كان قد اختفى . . لم يدفع

حساباً . . لم يلق سلاماً . .

تأمل أحمد الورقة قبل أن يفتحها وهو يواربها بين أصابعه . . خير الكلام

ما قلّ ودل . .

كانت الورقة فارغة . . أكان يمزح أم نسي أم يتلاعب ويسخر . . حاوا.

أحمد اللحاق به . . خرج من الكازينو . . نظر يمينه وشماله . . اختفى وكأنه

لم يكن . . . رجع أحمد إلى الداخل وجلس إلى البار بمواجهة سامي البارمان :
أبو السام . . .

سامي : حمادة عاملٍ إليه . . . أمال جودة فين النهاردة؟

أحمد : والله فكّرنتني هكلمه أهه . . . تليفونه مايردّش أصله من بدري . . .

سامي : تلاقيه نسيه في المُخابرات واللا عنده ميشن إيمبوسيبول في
إسرائيل . . . وضحك فبانت سنّته الذهبية فبدا بارمان حقيقي . . .

الغريب أن أحمد شعر بضيق لأوّل مرّة من الاستهزاء بجودة في
غيابه ، تطوّر لقلق أخذ يتصاعد ، خاصةً لما لم يتلقَ ردًّا مرّة
أخرى : ربّنا يستر عليه يا سامي أنا قلقت والله . . .

سامي : يا ابني ده قرد . . . هتلاقيه داخل دلوقت وصحّته أحسن منّي
ومنك . . .

أشعره ذلك الجواب بالشؤم أكثر فحاول تغيير الموضوع : بقولك إيه
صحيح . . . كان فيه واحد من شوية كده قاعد ورا الحبوبّ اللي هناك ده "
بفصد جلال " خدت بالك منّه؟ راجل كبير كده وزبون باين عليه من
إمان . . . شكله ريتش وستايله أجنبي شوية . . .

سامي : ماخدتش بالي . . . طلب إيه من عندي؟

أحمد : ماعرفش . . . هو زبون على طول . . .

سامي : مش فاكّر إن فيه حد قعد هنا . . . لما ييجي تاني قولّي عليه وأنا
أعرفهولك . . .

لم يُرد أحمد إثارة الشكوك فإكتفي بالسؤال ، ومضى إلى المعمل ليطلع
بعض الصور التي التقطها نيابة عن جودة الذي كان يتولّى تلك المهمة . . .

أضاء النور ووضع الصور في ألبومات، وهم أن يرجع إلى الصلاة قبل أن يضع يده في جيبه لا إرادياً ليتذكر الورقة الفارغة التي أعطاها له مسه إكس . .

تأملها كثيراً قبل أن يبحث بسرعة في المعمل عن قلم ووجد نفسه يكتب طبّاخ السم هيدوقه . .

لم يجد أسخف ولا أكثر ارباكاً من تلك المقولة التي سمعها في فيلم عربي لم يتذكر اسمه . . لم يكن يُدرِك ما كتبه . . كان فقط يريد أن يُلقي حجراً في البئر . . البئر الهادئة . .

رجع إلى الصلاة . . سلّم الصّور . . تأكد من وجود جلال علم تراييزته . . خرج من الكازينو . . رفع سماعة تليفون سوبر ماركت علم الرصيف المقابل وطلب رقم جلال المطبوع في ذاكرة هاتفه . . انتظر حتى أنا صوت جلال . . كان هناك شيء يُحرّكه . . شيء أكبر منه . . فكرة مبتورة لم تكتمل . . ألو . . ألو . . صوت فقرة المطربة هيام يبدو عالياً جداً الخلفية : ألو . . مساء الخير يا جلال . .

جلال : مساء النور، مين؟

تصنّع أحمد ضعف سماعه للصوت : جلال . . ألو . .

جلال : أبوة . . ألو مين؟

أحمد : مش سامعك يا جلال . . اللواء حامد عايز يكلمك . . وطن الصوت شوية . . هحوّلك بيه . . إستنى . .

جلال : لواء مين . . ثانية واحدة معايا . . وبدأ صوت الموسيقى يخفت . . كان يتحرّك خارجاً . .

حتى ظهر أمام باب الكازينو . . ألو . .

أحمد : خليك معايا هحوالك بسيادة اللواء . . ولم ينتظر رده . . كان قد ضغط على زر الانتظار في تليفون السوبر ماركت ، ولم يضع السماعة في موضعها الصحيح . . دفع حق المكالمة ورحل في سرعة . .

عبر الشارع ، ومر بجانب جلال المنتظر ، ودلف إلى العمالة ينظر وراءه . .

بالداخل ، كانت فتاة جلال الصغيرة التي فقدت صفائرها تعبت بلبنونها المحمول . . اقترب من خلفها . . تأكد من انشغالها وعدم مراقبة احد من الصالة له ، وبحركة سريعة دس الورقة تحت زُجاجة كانت أمامه ، ولا يعرف ما دفعه للاستيلاء على تلك الولاة البنزين . . الملك الولاة التي لا تُغادر يد جلال . . ثم اختفى . .

لحظات وظهر جلال من الباب . . اتجه في هدوء ليجلس بجانبها مرة اخرى . . اندمجا في الحديث . . ضحكات ونغزات . .

مرت خمس دقائق قبل أن يأتي الساقى بزُجاجة جديدة بعد أن أشار إليه ملال أن هل من مزيد . .

رفع الويتر الزُجاجة فظهرت الورقة المطوية . . لاحظها . . فتحها وأحرج نظارة القراءة . . سأل رفيقته فأجابته بالجهل . . أخفي الورقة عنها . . لم يرد أن تُدرِك محتواها . . سألها ثانياً . . تدمرت وظهر التوتّر على وجهها . . سكت . . نادي الويتر الذي يُخدمه . . استجوبه وأدرك أن لا شأن له . . مرّ بنظره على الترايبيزات القريبة . . أخذت عيناه تتجولان

كسيارات الدورية الراكبة إذا أتقنت عملها . . لا أثر لمن ألقى الطوية علم
 الزُجاج . . حتى أنه مرَّ بعينه على أحمد الذي انخرط في حديث ضاحك علم
 البار مع سامي البارمان، بدا طبيعياً فلم ينشغل به كثيراً . . ابتسم ابتسامة
 الذي اكتشف سر شوييس، كأنه يقول لمن راسله: "لعبة جيدة" حاول به
 أن يظهر هدوءه وعدم جدوى العبث معه ولكنه سرعان ما استسلم للعصه
 وأخذ يضغط على أسنانه . . نادي الويتز . . دفع الحساب . . شد الفتاة من
 يدها ورحل بعد أن وضع الورقة في جيبه ناظراً نظرة أخيرة علّه يجد من
 يتبعه، أو يضحك بسخرية، أو حتى يناديه ليُخبره أنها مزحة، قبل أن يختفي
 غير مُتنبه أيضاً لفقدانه ولاعته . . نشوة عارمة ألمت بأحد من جراء ما فعله
 في جلال . . شعر بشعور "على الزئبق" (*) في مُغامراته مع "سنقر
 الكلبى" . . بشكل ما شعر براحة غريبة تتسلل إليه لتُضيع أثر ما حدث ليه
 أمس . . مكافأة من القدر في شكل نصر معنوي على شخصية تدين له
 بالكثير من الاعتذار على ما بدر منها من استهانة وتلفيق . .
 شعر لأول مرة في حياته أنه إيجابي . . كسر حاجز الجمود والاستسلام .
 رفع يده بالتحية في الفراغ . .

كان يُحیی "حسام" . . صديقه . . رآه على باب البار . .
 لا لم يره . . تخيله يبتسم ويُشير إليه قبل أن يختفي . .
 بقي له خراجاً من نوع آخر بدأ يحتقن . . جودة . . أين ذلك الرجل
 فقط أراد أن يطمئن أنه قد صالحه، وأنه نسي له ما تقياً به ليلة أمس . . هل
 من المنطقي أن يُصارحه بأنه كذّاب ويسرح بخياله مع الآخرين؟ فقط كار

(*) سيرة شعبية شهيرة عن بطل يقاوم فساد السلطة المتمثلة في سنقر الكلبى . .

من يُنظّف مسدسه ، وخرجت طلقة في صديقه . . تفرّغ لشحنة غضب
اماحت به ، ولكن لا بأس ، فأحمد عنده قدرة أيضاً على الإقناع والصلح ،
ولكن أين هو؟ جرّب تليفونه مرّة أخرى وفي تلك المرّة استجاب . . لم يكن
جودة من رفع السماعة : ألو . .

أحمد : عم جودة؟؟

الصوت : حضرتك قريبه؟

اقشعر جلد أحمد : أيوة . . فيه إيه هو فين؟ حضرتك لقيت التليفون ده؟
أنا بتكلّم فين دلوقت؟

الصوت : إحنا في مُستشفى الحسين الجامعي . . الأخ جودة وصل عندنا
من ساعتين و . . . خفت الصوت بعتة في أذن أحمد . . لم يكن
يُريد أن يسمع المقطع القادم الذي اخترق طبله أذنه كالسكينة في
قالب الزيد . .

مرّت ساعة قبل أن يقف التاكسي أمام مُستشفى الحسين . . نزل منه ذلك
الناحِب الضائع مُسوّد الوجه الذي ركض على السّلم وكاد يقع بعد أن
الهم بالأجرة إلى السائق الذي تدمّر وتلفظ بلفظتين على سبيل العادة
المسحة . . ركض إلى الاستقبال وسأل عن اسم جودة فأشارت إليه المُمرضة
بـ "ور الأم المُرضعة أن اصعد إلى الدور الثاني . . أكل السّلم أكلاً حتّى وجد
بالطه مكتوب عليها بخط يد رديء " المشرحة " . . دمعت عيناه وهو يدخل
مع التومرجي الذي هبش ثمانية جُنّيات ليسمح له بالدخول من دون إذن
الطبيب حين رأى بطاقته وعرف أنه ليس من أقارب الدرجة الأولى . .

كانت المشرحة ضيقة . . خانقة . . تفوح منها رائحة فورمالين حاول منع التعفن ولكنه فشل . تتقطع الإضاءة المنبعثة من اللمبة النيون الوحيدة التي تعتم المكان أكثر من أن تُضيئه . رُصت الثلجات التي ملأها الصدأ بداخل حيطانها وتآكلت مقابضها وتقشّر لونها الأزرق الباهت . .

مشى التومرجى يقرأ اللافتات ويقفل بعض الثلجات المواربة مُحللاً الجنيهات التي حصل عليه من أحمد ، ماراً بثلاجة نصف مفتوحة كانت تظهر منها سيقان لأنثى بدت شابة بجانبها زُجاجة مياه ، تناولها الرجل وأغلق الباب على شبابها فصنع صوت فرقة مكتومة ، وفتح الزُجاجة التي كان يثُلجها وتجرّع منها قبل أن يتوقف أمام ثلاجة أخرى : يا قوى . .

زجر الباب في صرير مُرتفع قبل أن يستسلم وينفتح كاشفاً عن قدم بائسة عارية مُعلتق فيها ورقة صفراء ، مكتوب عليها : جودة السيد رجب . .

تاريخ الدخول : ١٣ مايو ٩٥ , ٤٥ صباحاً . .

وفي خانة الملاحظات : جرح طولي في الفص الأيمن أدى إلى نزيف داخلي وهبوط في الدورة الدموية . . كان رف الثلاجة قد أكتمل فتحه حاملاً جودة الذي ازرق لونه ، نائماً على ظهره وقد ظهر جرحه الكبير في رأسه الذي لم يُخف ببركة الدم المتجلط تحته . . دموع ودموع . . انقباض ولهاث . . نظرة يتبعها تدفق للدم في عروقه . . تبللت نظارته . . سال أنف وإخترق صدره . .

جلس القرفصاء بجانب الجثة التي كانت . . كانت تتحمله . . جودة . . من يُصدّق أنه رحل . . هكذا في سهولة . . لم تكن تلك لتكون نهايته . .

التومرجى : تعيش وتفتكر . . باين عليه كان راجل طيب . . هو
مالهوش حد؟

لم يستطع أحمد أن يرد . .

التومرجى : ده خاتمته مسك ، عارف ده خبطه الموكروباظ فين؟ قدام
سيدنا الحسين . . وهو بيعدّي الشارع خارج من الجامع . . يعنى
في الجنة إن شاء الله . . دى موته حلوة ربنا يكتبها لنا . .

ثمّ بدل وجهه وكأن مفعول الجنهات الثمانية قد نفذ مثل كارت شحن
التليفون المحمول : يالله بقه يا أستاذ عشان الدكتور لو جه هيعملنا حكاية . .
البقاء لله . .

أغلق التومرجى الثلاجة بعدما ودّع جودة بنظرة أخيرة . . أصيب بنخرس
وقت . . أمسك بيده الباردة وضغط عليها قبل أن يندس جودة في غياهب
الثلاجة . .

التومرجى : تحب يا باشا تشوف الحاجات اللي كانت معاها . . وغمزه في
إشارة إلى عقد صفقة جديدة .

همّ أحمد أن يرحل . . فلم يكن في نيّته ما يحمل على تفقّد أغراض
مودة . . ثمّ تذكّر أن لا أحد له غيره قد يكون يحمل ما يرشده إلى أي
م . . عاوز كام؟

التومرجى : كارثة . . في إشارة إلى ورقة العشرين جنيهاً المرسوم عليها
رسميس على عجلته الحربية التي تحوّلت بقدرة قادر إلى كارثة :
يمكن يكون فيه حاجة مهمّة كده ولا كده . .

لم يجد أحد في جيبه غير خمسة عشر جُنيهاً فناولهُ عشرة: مفيش معايا
فلوس تانى . . . عشان أروّح . . .

التقط التومرجى الورقة الحمراء بعد أن رماه بابتسامة سخيفة: ماشى يا
باشمهندز . . .

فتح دُرْجًا من دولاب صاج قديم، وقلّب بعض المحتويات قبل أن
يُخرج محفظة جلد مُهترئة ومندبلا كبيراً وسلسلة بها ثلاثة مفاتيح وتليفونه
المحمول . . .

فتح أحمد المحفظة فوجدها خاوية كما ولدتها أمّها إلا من بعض الأوراق
المبعثرة التي كان يهوى جودة جمعها، تحمل أرقام تليفونات وعناوين وتذاكر
أتوبيس وكرنيهًا قديمًا بائدًا عليه صورته منذ حوالي أربعين عامًا مضت .
كان مبتسمًا رافعاً رأسه في كبرياء وعظمة كأنه المشير، وبطاقته الجديدة التي
يبدو فيها وجهه كقطيرة مثلتته، بهتانًا لا نرى عينيه من انعكاس الإضاءة
على نظّارته بيتسم كأنه جثة وجدوها في البحر بعد عشرة أيام من الغرق .
طبعًا كانت النقود قد تم تأميمها مع الولاة والسجائر والساعة . . .

لم يكن في حالة تسمح له بفتح لجنة تقصّي حقائق . . . بدأ التومرجى
يجمع مُمتلكات جودة عندما استوقف نظر أحمد مفتاح قديم يملأه الصدأ .
مفتاح أصفر عليه رسمه عصفورة . . . لم يكن عليه التفكير كثيرًا . . . مد يده
إلى السلسلة وأخرج المفتاح الأصفر فيما صاح فيه التومرجى: لأ أما
إتفقناش على كده . . .

أمسك أحمد بيده من عند الكوع بقوة: الراجل ده كان معاه ساعة وولاه
ومايمشيش من غير فلوس والمحفظة فاضية والراجل ده إتقلّب وإنت كاتب .

مدك سلسلة مفاتيح . . مُمكن يبقَى فيها مُفتاحين بس وحلال عليك الباقي
اشى . .

لم يُعقَّب التومرجى ، فقط حدجه بنظرة حادة واستدار ليُغلق باب
المشرحة : ماشى يا زميل إتكل على الله . . نهارك أبيض . .

مشى أحمد كثيراً . . لم يدر أين قاده رجلاه إلى أن وجد نفسه في السيدة
بنب . . مر أمام منزله . .

فكر أن يصعد فلم تُطاوله نفسه . . تحبَّطت أفكاره كدجاجات في
مضور الثعلب . .

الكازينو!! ماذا سيقول لهم؟ هل يستمر؟ لن يستطيع . . بكى كثيراً . .
:عور خائق بالذنب يحيط به . . أمات جودة وهو يحمل له ضغينة أم ساحه؟
مب أن يتصل بعمر . . الآن . . ليس الآن . . من سيتسلم الجثة؟ هل يتركه
هكذا؟ بكاء بدأت تخف حدته بعد أسبوعين . . بعدما بدأ مفعول النسيان
سرى في عروقه . . وإن ظلَّ الألم في مُخيلته لا يغيب . .

تخللت هذان الأسبوعان أحداث كثيرة . . علم الكازينو بوفاة جودة
الماجئة . . لملموا من بعضهم حق الخارجة ، وجاءت من صاحب الكازينو
الراحة هزيلة لا تليق بالعشرة الطويلة . . تم دفن جودة في مقابر باب
المسر . . لم يحضر الجنازة الكثيرون . . جمع صغير من أهل الحي وبعض
العاملين في الكازينو وصديق أو اثنان . . معارف بعدد شعر رأس جودة . .
لأنه أصلح . . ذلك كان كُل ما جمعه طوال سنين عمره التي تعدت
الستين . . كان هناك أيضاً ذلك الورم الخبيث . . متى جاء؟ . . ذلك الكيان
الذي ظهر فجأة من العدم كأنه الكونت دراكولا إذا قرر أن يعمل صباحاً في

مقابر باب النصر . . الأناقة القاتمة نفسها والسيجارة الملوّفة بعناية . . يقف بعيداً مُرتدياً نظّارة شمس . . أُخْرِجَ منديله ومسح دمعته بدت حقيقية . . أشار إلى أحمد بعدها بأصابعه وبابتسامته المستفرّجة التي قابلها أحمد بتجاهلٍ وأشاح بوجهه إلى العمّال الذين أخذوا يُهللون التراب على القبر ويرشّون الماء ليهدأ الغبار . . بعدها نظر أحمد إلى المكان الذي كان يقف فيه ذلك الصّداع النصفى ذو الخاتم الغريب فلم يجده، كأنّه تبخّر . . هل من الممكن أن يكون صديقاً لجودة . . لم لا، فجودة كان زميلاً لغاندي في مدرسة الهند الثانوية بنين، وصديقاً شخصياً للرئيس جمال عبد الناصر، ومُلهماً لعبد الحليم حافظ وناقداً لأم كلثوم، وراعياً لرأفت الهجّان ومُحرراً للعبيد وراضعاً على " سبارتكوس " . . سيفتقده كثيراً . .

مرّ يومان لم يعمل فيهما أحمد في الكازينو . . قضى أغلب وقته مع عمر لترتيب أمر عمله الجديد والمشكلة الأكبر . . السكن . . بحثا حتى عثرا على شقة صغيرة ستين متراً في دور ثالث من عمارة قديمة متهالكة، تصلح تربيته بإيجار ١٣٠ جنيهاً في الشهر . . لم يكن يملك أي رفاهية للاختيار . . أخبر مدير الكازينو بعزمه الاستقالة . . طلب منه الانتظار يومين حتى يأتي من يحل محله وكان . .

استقبل أحمد الرجل الجديد . . عرفه المكان وبروتوكولاته . . لم يتعب معه كثيراً لأنه كان مُتمرساً ومُحترفاً في كازينو آخر من قبل . . بدأ يحزم أمتعته لينقلها للسكن الجديد حينما اصطدمت يده في شيء معدني في جيبيه . . كان مفتاح جودة . . تذكّر الدولاب . . دولاب الأسرار

العسكرية . . دولاب أليس في بلاد العجائب . . دخل العُرْفَة وهم أن يفتحه
عندما دخل الساكن الجديد : أشيل معاك حاجة يا أحمد؟
أحمد : آه والنبي كنت هنسى الدولاب الصغير ده . . شيل معايا وحياة
أبولك . .

هلل المصوّر الجديد كثيراً وكاد يُقدِّم القرابين عندما حمل أحمد ذلك الحمل
الثقيل ليخفف عليه الوطأة قليلاً . . كفاه مخزن الخُرْدَة الذي ورثه عن جَوْدَة
الذي لو رآه ابن الحاج " عبد الغفور البرعى " لأكل جلباب أبيه . . استقل
أحمد السيّارة رُبْعَ النقل بعدما وضع أغراضه . . حاسبه وكاميرته ومكواته
ومرتبته وهمومه . . ودولاب جودة . . رصّ أشياءه كلّها داخل الشقّة وغير
لفل الباب . . استحم واستلقى على المرتبة في أرض عُرفته الجديدة . . كان
نُدرك في قرارة نفسه شيئاً واحداً فقط . . أنه على شفا حدث كبير . . حدث
لقد يُغيّر مجرى حياته . . عندما جذب نظره عنكبوت يمشی على سقف العُرْفَة
نُرتّب خيوطه ليصنع بيتاً . . أو فخاً . .

.....

أسبوعان . .

استغرقهما أحمد في تجميع نفسه . . الشقة صغيرة لكنّها مناسبة لشاب لا

ملك ما يخسره . .

ليلة أو ليلتان في أرق من الأصوات المريبة . . مروحة السقف القديمة

والشبابيك كثيرة الشقوق وأفرع الشجرة التي تدغدغها ليلاً . الأثاث البالي

الذي يتناقش يوميًا حول الساكن الجديد . زيارتان رسميتان للسباك

ومباحثات موسّعة شملت الوضع في الحمام والأراضي المبتلة . تغيير بعض

اللمبات المحروقة ورحلة البحث عن مطعم قريب . تلك الرحلة التي

حفت حذتها المعونات الغذائية التي تأتي من "أم عمر" الذي بدأ يبيت في

شقة أحمد أكثر مما يبيت أحمد . . ذلك الكائن المكبلظ المظلّظ العرقان المتفاني

الذي طالما أدخل السرور في نفس أحمد . . كان حقًا يُحبه . . طور له

الكمبيوتر وغذاه بما لذ وطاب من أفلام وبرامج، وبعض "السيكوسيكو"

من مكتبته الخاصة التي تضم أفلامًا إباحية تعود إلى نشأة السينما، لزوم كسر

الملل وتسلية عزوبيته، وإيمانًا عميقًا منه بأنّها شفاء من كل داء . .

حاول بشتى الطرُق إخراج أحمد من حالة الجمود والسكون التي أحاطت

به . . نكات وقفشات وبيات معه إذا لزم الأمر؛ بشخيره المنتظم ورائحة

جله التي قد تستعمل لفض مظاهرات الطلبة . . محاولات للتأقلم مع

الوضع الجديد . . استلم أحمد عمله الجديد . . أصبح مُصوّرًا في أستوديو،

وأحياناً يخرج لزيادة دخله . . أفرح مُتنوّعة . . فنادق ونواد، خطوبة في بيت
وزقة في الشارع . . وقفة على كوبري الجامعة وركوب فلوكة، ولا ننسى
صورة النافورة الشهيرة في ميدان الجامعة أمام حديقة الأورمان . .

كان أحمد قد نسى تماماً أمر الدولار الصغير . . دولاب جودة . . علاوة
على عُمر الذي احتل بكراكيه نصف العُرفة تقريباً فلم تكن حالته تسمح
بعد باجترار ما يُذكره بجودة، وتحديدًا ما حدث معه الليلة التي سبقت
وفاته . . كان يعرف جيداً أنّ القدر كُتب مُسبقاً إلا أنه لم يستطع أن يتقبّل أنه
تركه يموت وهو يحمل له شيئاً في صدره . . هل سألته؟ . . لعنة الله علم
حبيب أمين . . لولاه لما انقلبت الدنيا ولن تعود كما كانت . . حتّى جا.
اليوم الذي وجده أمامه . . قديم هو تكثُر عليه الخدوش . . بنّي داكن ألص
عليه جودة كل ما جادت به نفسه من مُلصقات لأنواع أفلام اندثرت ول
تعد . . ساكورا . . تيودور . . أورفو وفورتى . . وصورة بهتت ألوانها لبس
يابانية تحمل شمسية . .

جذب الدولار الصغير وربّع جالساً على أرض العُرفة قبل أن يولج في
المفتاح الذي وضعه في سلسلة مع مفتاح التربة . . أقصد الشقة . . وفتحه .
كان الدُرج الأول يحوى بجانب بعض فتايت الطعام والمسامير الصغ
ملقاً به أوراق صفراء . .

شهادة ميلاد جودة . . مواليد أكتوبر ١٩٤٠ . . الأميرية . . بطاق

القديمية . . شهادة وفاة زوجته . .

و تقاريرها الطبية . . عقد شقته . . ساعة حريمي قديمة ودبلة عتيقة
وبعض الصور لزوجته تبدو في فترة الستينيات وصور لهما معاً أبيض وأسود
وبالألوان . .

الدُّرَج الثاني والثالث كانا مُكتنزين بعُلب الأفلام . . عُلب سوداء
وشفافيات . . كُلُّ عُلْبَةٍ لُصِّقَتْ عليها ورقة صغيرة . . "سالي" . . كانت
محتوبة على أكثر من عُلْبَةٍ . . "كريم أبيض" مُدير الأعمال والزواج المرن ،
انتهت له علبتان . . "جلال مُرسى" كانت له ست علب . . "فتحي العسَّال
& حبيب" أكثر من ثمان علب . . وفي جوف الدُّرَج الثالث أربع علب عليها
اسم "هشام فتحي" . . تلك البذلة السمّية التي سجَّل سقوطها في حادث
العُدُق . . كان يسمع كثيراً عن ماضيه الفاسد . . أسماء شَبَّه على أكثرها
وسمع عن بعضها همساً وآخرون احتلوا مساحات على صفحات الجرائد
اغلبهم فنانون وفنانات وبعض السياسيين . . وربّتان أو ثلاثة لم تتعدَّ حدود
العقيد غير بعض العلب من دون أسماء ، وفي جوف الدُّرَج عُلْبَةٌ واحدة
المؤفة بورق أبيض ومُغلقة بعناية مكتوب عليها كلمة "الفرح" . . كان
الاولاب يحوى حياة "جودة" . . أرشيفه . . زوجته . . عملاءه وزبائنه . .
فان بالطبع أكثر ما استرعى انتباه أحمد نيجاتيف "جلال مُرسى" . . فتح
إحدى العلب . . فرد الفيلم . . لم يتمكن من استكشاف تفاصيله في ضوء
المُرفة الأصفر الباهت . . أضواء تليفونه المحمول ووضعته في خلفية الشريحة
عالمه يستنبط شيئاً من نوره الخافت . . كانت الشريحة تحوى صوراً لأشخاص
علم تراييزة في الكازينو ، مَيِّز من بينهم خيال "جلال مُرسى" . . صور له
مع ذكور وإناث لم يتبيّن معالمها . . فتح عُلْبَةٌ لسالي . . صور لها ترقُّص ،

وصور أخرى تجلس على تراييزة مع شخص . . كذلك " كريم أبص " صورته بدت مشبوهة ، وعدد لا بأس به من صور فردية لبنات يتقصمن أوضاع تبدو مثيرة . . فتح علبة " هشام فتحي " . . تسجيلات منتظمة لزيارات الكازينو . . لم تبد حالة النيجاتيف جيدة علاوة على ضعف الرؤية ، فاكتفي أحمد ورتب محتويات الأدراج كلها من الأفلام قبل أن يسمع صوت مفتاح يدور في الباب ، وصوت تكريرة عرف من خلالها أن " عمر " . .

أحمد : صحّة يا وحش . . سيد إشطة جاى يزورني . .

عُمر : حموة . . كان ذلك هو النداء الشعبي لأحمد . .

إنت صاحي؟

أحمد : لأ . . نايم . .

عُمر : طب قوم هزها كده وتعالى شيل معايا . .

قام أحمد وتوجه إلى الباب فوجد عُمر يحمل شاشة كمبيوتر : إيه . .

ياض؟

عُمر : الكمبيوتر بتاعى . .

حمل معه أحمد الشاشة ، وخرج عُمر وأحضر باقي الجهاز : إيه يالله أمك

طردتك ولا قفشتك بتتفرج على حاجة سيكي ميكي؟

عُمر : يا عم لا كده ولا كده . . هنعمل " Net Work " . . هعيشنا

اللحظة يا ابن عم كيمو . . هناخد خط من النت كافي بتاع الوا

كوكو اللي جنب العمارة . . هناضيها Games حَس

الصباح . .

قاطعهُ أحمدُ في لهجةِ جادةٍ: بقولِكَ إيه . . البتاع ده سكانر (*؟؟

كان يشير إلى جهاز أتى به عُمرُ مع أغراضه الأخرى . .

عُمرُ: آه . . أنصف من اللي عندنا في الاستوديو كمان . .

تأمل أحمد الجهاز: مُمكن أعمل سكان لنيجاتيف عليه؟

تلملم عُمرُ: أيوة يا إبنى فيه إيه؟ هو تحقيق؟ إنت عايز تشتغل دلوقتى؟

إعمل اللي إنت عايزه في الشغل بُكرة . . أنا عندي تظبيط كتير

هنا مع كوكو . . بُص نام إنت وأنا هخلّص وأبقى أحكيلك،

ماتعطلنيش ورحمة أبوك . . انسحب أحمد واسترخى على المرتبة

تاركًا عُمرُ الذي انهمر عرقه وأخذ يشدّ في الأسلاك والوصلات

حتى تدلّت كرشه الشبيهة بالعوامة البطة إذا ارتداها أحد من

تحت القميص، وكلّما انحنى بان لباسه العريض الذي يصلح

غطاء سيارة نصف نقل . . ينفخ وينفر . . يسب ويشتم ويركل

كأنه يعيد تركيب قمر صناعي سقط من مداره . . كان كالونش

الشوكة إذا فقد الشوكة . .

أشعل أحمد سيجارة سارحًا في فكرة بدأت تغزو عقله . . تُسيطر على

هوانه وتحتل حواسه . .

عندما فتح عُمرُ الشباك على مصراعيه وتدلّى منه: ولا يا كوكو . .

احدك السلك . .

في صباح اليوم التالي قام أحمد على صوت جزار زراعي يحرق أرض

المُرقة . . كان ذلك صوت عُمر الذي فتح فمه كالتمساح النيلبي نائمًا

مُشخراً بجانبه، مستحوذاً على ٨٠٪ من أسهم المرتبة . . قام في هذا
ووضع نظارته على وجهه ليطلع وكالة ناسا الفضائية التي صنعها عمر أنا.
نومه . .

أوصل الجهازين ووضع بجانبهما شيء أسود يضيء . . وصلا
وأسلاك بعدد أفاعي المامبا السوداء في إفريقيا . . كان اليوم أحداً . . إجازة
الاستوديو . . مواتياً تماماً للخروج في مشوار أهمله للظروف الأخيرة
مواتياً تماماً للمرور على الجاليري . .

غسل وجهه، وغمس أصابعه في علبة الجيل التي لا تفارقه . . صفه
شعره وتأكد من لمعته . . لبس الحتة اللي على الحبل . . كتب ورقة لعم
الغارق في غيبوبة: شوفلنا حاجة ناكلها . .

أنا نازل ومش هتأخر . . إبقى نضف اللي إنت عملته ده . . ملحوظه
إغسل رجلك . .

ألصق الورقة على إحدى شاشات الكمبيوتر، ورحل غالقاً الباب
هدوء . . ولم ينس حكم إغلاق دولا ب جودة بالمفتاح وزحزحته بعيداً ع
أغراض عمر، فهو لا يضمن فيما قد يستعمله . .

أمام الجاليري، وقف أحمد نصف ساعة مُحاولاً ترتيب أفكاره . . ل
يكن قد رآها بعد عندما وقفت سيارة أمام الجاليري يقودها شاب وسيم
انفتح بابها ونزلت منه غادة . . كانت جميلة بحق . . يتهادى شعرها الممو
على ظهرها . . شعرها؟؟؟؟

ألم تكن مُحجبة؟؟ قرصت الشاب الوسيم في خده وقفزت في رشاقة
الداخل . . لم تكن الكاميرا معه اليوم . . لو كانت معه لصور القاضي وهـ

مُخْم عليه بالإعدام علناً، وأمام الناس في ساحة الجاليري . . أخذ أحمد
. امل ذلك الوسيم الذي أطاح به بالضربة القاضية . . لا مجال للمُقارنة بين
المر وذكور الجمبري . . جلس على الدكّة وقد سرت قشعريرة باردة
صدره حين نزلت غادة ووراءها غادة في اتجاه السيّارة . .

اتخذ الأمر من أحمد ثواني ليُدرك مدى سعادة أرشميدس عندما اكتشف
داون الطفو . . كانت غادة توءماً . .

توءماً شديداً الشبه . . هلل قلبه وأطلق أعيرة نارية وزغرطت شرابينه
ورزعت الدم على كُل أعضاء الجسم، ابتهاجاً بالخبر السعيد . . انزلقت
الوهم بجانب صديقها في السيّارة، ورجعت غادة الأصليّة إلى الجاليري بعدما
لمت على فتى الشاشة الوسيم . . التفت أحمد حوله باحثاً عن مكتبة أو
هل خردوات حتى ملح واحداً ليس ببعيد . . ابتاع قلماً وأوراقاً وظرفاً
اسفن، وجلس مثل الكاتب المصري يُدوّن الكلمات على الدكّة . .

انقضت ساعة وهو جالس يكتب، صنع خلالها كومة أوراق قد تُشير
بورة بين جامعي القمامة . .

طبّق الورقة ووضعها في ظرف، وعبر الشارع متّجهاً إلى الجاليري مُتخفياً
حصان طُرودة . .

كان الجاليري من الداخل غاية في الذوق . . سلعته الأساسية . . أثاث
ودرن فاخراً . . ألواناً مبهرة ورائحة ذكيّة ووروداً في زُهريات شفافة كبيرة
اشعة شمس تتخلّل الرُجاج .

كانت غادة تتكلّم مع عميلة تبدو ثرية . . لم يكن قد رآها بذلك القُرب
قبل . . كانت جميلة بحق . .

صوتها . . لم يكن قد سمعه . . عندها لثغة صغيرة رائعة في حرف السين
لا تُرى بالأذن المجردة، تجعل كلمة "Selection" أو حتى "بسبوسة".
كأغنية أنت عمري لأم كلثوم . .

صباح الخير . . مع حضرتك عبير حجاج أتعرف بحضرتك . .
كانت تقف أمامه فتاة جميلة تصلح موديلاً لبيت أزياء . .
حاول أحمد التركيز واسترجاع الدور الذي حفظه: صباح الخير . . واه
أنا كنت مستني الأنسة عادة . . أنا جاي لها من طرف المهندس كمال
حاول أن يأكل الاسم عليها ترحل في سلام . .

الفتاة: مهندس مين يا فندم؟

أحمد: أنا هستنى أنسة عادة لما تخلص . . ميرسى أوى . .

الفتاة: تحت أمرك!! خُد راحتك . .

أخذ أحمد يدور في دوائر حول عادة وعميلتها . . يتابع شفتاها وهم
تتكلم . . يسمع صوتها الرقيق . . يتأمل يديها وهي تتحرك . . أصابه
الصغيرة . . لون إشاربها . . عينيها التي بدت تحمل حُزناً خفياً . .

انتهت عادة وودعت عميلتها عندما لفتت زميلتها نظرها إلى من؟
انتظارها فتوجهت إليه مُبتسمة . . هوى قلبه على الأرض وتدحرج تح
إحدى الكنبات . .

عادة: صباح الخير . .

أحمد: صباح الخير . . عادة؟

هزّت رأسها في ابتسام . . أنا جاي من طرف المهندس كمال . . هز
رأسها مرة أخرى وهي مُحافِظة على ابتسامتها: أهلاً بيك . .

أحمد : المهندس كمال كان عايز ييجى بنفسه بس ظروفه ماسمحتش . .
على العموم هو شارح كل حاجة في الظرف ده وبيوصيكي تقريه
بإهتمام . .

مد يده بالظرف . . التقطته : سوري أنا مش فاهمة . .
هو مستر كمال باعت معاك مواصفات معينة . . أنا مش مُتذكرة . . هو
ان كلمني بس أنا . .

قاطعها : هو شارح كل حاجة في الظرف ده . . متأسف أنا لازم أمشي
دلوقت . . أرقام التليفونات موجودة في الظرف . . أرجوكي
فكرى كويس الموضوع صعب وعايز تركيز . . ميرسى مرة
تانية . .

انسحب وتركها تتجه إلى أقرب مكتب وهي تفتح الجواب حينما تذكرت
سألته : ماتعرفتش باسمك؟

بوند . . جيمس بوند . . الله يمسيك بالخير يا شون يا كونرى . .
اجابها : كمال . . أحمد كمال . . واختفي قبل أن تفتح جوابه . . قبل أن
تربط بينه وبين بوكيه الورد الذي ذُيِّله باسمه . . ركض
مُسرِعاً . . قفز السلالم وخرج إلى الشارع ينظر خلفه كأنه
لص . . مدّ مُسرِعاً حتّى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام الخائن . .
كان الصغير يلعب مع أقرانه في وداعة وكأنه منهم . .

لا يعرف أحدهم أنه باع أسرار البلد من قبل ويعمل جاسوساً مزدوجاً
ملك جهاز استقبال وإرسال مُتطور أيضاً . . لم يكن الوقت يتسع
الحساب . . كان وقت الفرار . . إلا أن ذلك لم يمنعه من مدّ رجله أمام

الخائن الذي كان يجرى في اتجاهه يلعب الاستغماية، ليصطدم بها ويطيّر علم
الرصيف . . درس صغير حتى اللقاء في حلقة أخرى . .

مأخوذة وشاردة جلست عادة على المكتب . . فتحت الجواب . . كان . .
طريقة غريبة من عميل أن يُرسل رسالة بدلاً من أن يأتي بنفسه ليختار
أثائه . . وذلك الأحمـد كمال الذي أتى في عُجالة ساعي البريد . .
كُل شيء كان غامضاً إلى أن قرأت أول سطر في الجواب . . .

بسم الله الرحمن الرحيم . .

بُصّي يا ستّي . . أنا أحمد كمال اللي بعث لك بوكيه الورد
قبل كده . . أيوة والله العظيم . . إصبري علياً بس عشان
أفهمك . . أنا متابـعك من فترة كبيرة أوى . . كُـل ما بعددى
هنا بشوفك واقفة سرحانة . . أنا مُعجب بيكى . . ومش
عارف أوصلك ده إزاي . . وخايف تكسفيني . . وعشان أنا
مش عارف إنتى مُرتبطة والا لأ؟ قررت أكتبلك جواب . .
لو فيه أمل هستناكى الساعة خمسة ورُبـع الأسبوع اللي جاي
زى النهاردة عند بتاع الورد اللي جنب الجاليري . . ولو
مفيش أمل ولازم نضحّي بالأُم والجنين متروحيش . . سهلة
دى مش كده . . ما تسألش بعد كده على الشاب اللي رمى
نفسه من فوق السجادة واللا دلق على نفسه عصير جوافة . .
أنا بشتغل مُصوّر في كوداك إكسبريس شارع المنيل . . .
خُدَى وقتك وفكرى، وختلى بالك، أنا لما بحب حد يبقى
لزقة . .

أحمد كمال

كان الخط رديئاً . . . نكش فراخاً مُصابةً بجنون البقر تجرّعت كوباً من ماء
البار . . . انفجر الدم في وجنتي عادةً للمرة الخامسة التي قرأت فيها الجواب
المأغت من ذلك النحيل الذي اقتحم حياتها عنوة . . . لم تُصدّق تلك
العريقة البائدة في إظهار الإعجاب . . . طريقة لو اتبعها روميو لانهتمته
حوليت بالتخلف العقلي . . . ولكن سرعان ما ظهرت تلك الابتسامة الخافتة
من جانب الشفاه علامة على إرضاء غرورها . . . ها هي تشعر مرةً أخرى
سلك القشعريرة الباردة التي تتلج صدرها . . . لم تكن تنتظر مثل هذا الحدث
وسلك الطريقة الرومانسية . . . أخذت تستعيد ملامحه، صوته، ذلك الذي
راقبها، باغتها وانقض عليها، كم هو جميل الاستسلام لذلك الشعور . . .
ولكن عادةً لم تكن فتاة الإعدادية التي تقع على صف أسنانها من أول
إشارة . . . علاوة على إحساسها الفج بنقص الاتصال بالآخرين ونظرات
حبيبة الأمل لها عند اكتشاف نقطة الضعف فيها . . .

كانت ميّادة تمثّل بالنسبة إليها حقل التجارب الحي التي ترى من خلاله
الحياة بمنظور تلك الشقية السيامية . . . نافذتها على العالم . . . أغلقت الجواب
ووضعت في حقيبتها . . . وأخذت تنظر إلى العيون من حولها راجيةً ألا تجد من
راقبها . . . بالطبع كانت هناك واحدة . . . عبير . . . صديقتها المخلصّة وبئر
أسرارها . . . لم ترفع عينها عن عادة طوال قراءة الجواب . . .

ظلت تُراقب انشغالها وإخفاءها للنعيمية في حقيبتها فاقتربت منها قائلة:
عادة . . . مش فاهمة؟

سحبته عادةً من يدها إلى جانب الزجاج : مش هتصدّقني . . .
قاطعتها عبير : بوكيه الورد؟؟ مش كده؟؟

نظرت غادة لحركة شفاه عمير لتُكْمِلِ قراءة كلماتها جيداً: تعالى ..
هحكيك ..

اندستاً معاً في زاوية بعيدة .. رؤوسهن قريبة .. تبادلان أسرار
الإناث .. سر أحمد كمال ..

.....

مر اليوم مرور السحاب . . يتخيّل أحمد ألف سيناريو لأوراقه التي
امطأها لعادة . . أخذت الاحتمالات تتضاءل حتّى توصل إلى بعض
النتائج ، بعضها مُشجّع ويُمثّل حوالي ٨٪ والباقي يدخل ضمن قائمة أفلام
الرعب . . ناقش عمر نقاشاً طويلاً . . ذلك اللسان السليط الذي عاب عليه
شيراً طريقته الرخيصة في إظهار الإعجاب من دون أن يستشير به باعتباره
خبيراً في مُعاملة الجنس الآخر " . .

كانا يجلسان على قهوة ليلينا بالمنيل . . الساعة العاشرة والنصف . .
توبان من الشاي وشيشة تُفّاح لعُمر الذي أخذ يُمارس دور بُركان
فيروف " الغاضب نثراً دُخانهُ . . صخب الدومينو والضحكات المدوية . .
حديث الأهلي والزمالك . . مُتابعة الفتيات على الرصيف المُقابل . .
حرطوم مياه التكييف الذي يرشح على كُم القميص . .

عُمر : يا إبني دى مش طريقة . . البت هتقول عليك عيل شنكوتى . .
أحمد : اللي يشوف كده يقول الواد مقطّع وجارر الحريم وراه جر . .
عُمر : جالاهل . . يا إبني أنا شغال في إستوديو ، وعارف البنات بتفكّر
إزاي . . دى شُغلتى . .

أحمد : يا إبني إنت علاقتك الوحيدة بأنتى كانت مع الحاجة أمك
والأفلام السكس ، والبِت نَحْمِدُهُ أم وِدن واحدة بتاعت
الإعدادية . .

عُمر : بُص يا عاجز . . أنا هلمْخصلك الليلة كلَّها في شوية احتمالات .
إنت غالى وأنا ما أخلش عليك بتحليل للموقف اللي إنت فيه
ده . . واحد بمنظرك ده آخره أربع احتمالات . .
توقَّف للحظة سحَب فيها نفساً عميقاً من الشيثة . . كركرت زُجاجتها
بعُنف كأن بها ماردًا والتهب الحجر وسُمعت طقطقته . . انطلق بعدها دخان
أبيض كثيف من شكمان ميكروباص موتوره مفوتّ وهو يصعد مطلع
المقَطَّم : ممكن تكون البت شافت الورد الجربان اللي إنت جبته وعرفت إنك
إيحة . . خدت الجواب . . قرأته زى جوابات " مارسيل مورياك " بتاعت
رأفت الهجَّان من روما ، ولعت فيه وكان الله بالسِرِ عليم . . ده غير إن
خطك هيلوغريفي عايز " زاهي حوَّاس " يفك لها رموزه . . فيه احتمال
كمان إن البنت ما فهمتش حاجة خالص وقطعت الجواب . . وأخيراً كل ما
تفتكر شكلك بنضارة البحر اللي إنت لابسها دى ، حقها تولع فيك
الصراحة . . عرفت إنك واد تعبان وهفتان وزمانها هي وصحباتها بيقطعوا
في ليتك مش فروتك . . إصرف نظر وكبر دماغك ، دى نصيحة من أخت
مرضعة قبل كده . .

وختم خطبته بنفس عميق صرع الحجر ، وأصاب الشيثة بإسفكسا
الخنق قبل أن يردف : تصدِّق بييه ، الكلام ده ما يطلعش غير للغالى اللي
زيك . . طب والله أنت عندي في مقام شاكيرا يا أحمد . . شوف المعزة .
شاكيرا . .

أحمد: الله يطمّنك يا فانتوماس . . عارف إنت مكانك مش هنا . . إنت
المفروض تتعبد زي بوذا في الهند . . إيه الحكمة المدلّلة دي يا
واد . . شاكير!!! الله يبارك لك . .
هز عُمر رأسه بامتنان: ميسى . . الله يخلّيك . .

في الأفق البعيد لاح حسين . . حسين عبد الهادي . . يعبر الشارع
. . ملعته الباهرة التي تأكلت بفعل الزمن . . قصير . . مدكوك الرأس بلا رقبة
. . جأحظ العينين . . طويل اللسان فيزيائياً وأدبياً . .
أحمد: جالك الموت يا تارك الصلاة . .

نظر عُمر إلى حيث يشير أحمد: يا دي النيلة . . مش هيتغير . .
سلامات وأحضان . . قرصات شقية في كرش عُمر، وضحكات
مساخبة وشتيمة أو اثنتان على سبيل التمجيد وذكرى الأيام الخوالي من
. . مديق دراسة أصبح مُدرّساً للأحياء في نفس المدرسة التي نشأوا فيها . .

أحمد: إصلعيت يا حُس . . القرعة نورت خالص . .
حسين: من الجواز والعيال يا حبيبي، بكرة تشوف .
عُمر: إنت خلّقت كمان؟

حسين: معايا سارة كده قدك . . ستين ونص . .
أحمد: ومراتك عاملة إيه؟

انقبض وجه حسين: ماتفكرنيش ورحمة أبوك . . ماتقولش مراتي . . ده
سائن حي وحيد الخلية سكن معايا في البيت زي البلهاريسيا . .
الإسكارس . . الدودة الشريطية . . ذبابة الفاكهة . . تصحى الصبح كده
ملى صوت حاجة فاتحة التلاجة وبتأربع الميه فشر الخريت اللي قاعد معنا

ده " يُشير لِعُمر " ، وبعدين ترقع تكريفة ماتجيبهاش إنت بعد أكله
كشري . . مين اللي أنا متجوّزه ده؟! تصدّق بإيه يا أحمد، أنت فيك أنوثه
عنها . . أنا اضحك عليّا . . ده غير بقه الأصوات في الحمّام . . واحا
صاحبك وبياكل تبّن يا ريس . . إيه يا إبنى ده! هي دي نسوان؟ . . يوم
القيامة هناخود الحور العين ودول هيعذبوا بيهم الكفّار . .

أحمد: يا نهار إسود . . طب وإنت عايش إزاي كده . .
حسين: مدرّس الصبح ودروس خصوصية بعد الضهر . . ما بروحش
البيت . . لولا سارة كُنت ندهت عربية الكلاب ينشوها
عيارين . . وبعدين أفتح الدش . . أبارك الله . . أكره اليوم اللي
إتولدت فيه . . "نانسي" على "إليسا" على "هيفاء" علم
"روبي" . . وجبات مُفرحة وعليها هدية . . أعمل إيه أنا مع
طبق القُلُقاس البايِت في البايِت معايا ده؟ أبصّلها إزاي؟ زى ما
تكون يتشوف الجاتوه في الفاترينة في محل الحلويات وترجع البيت
تلاقى العشاء سلاماندر بالدمعة . . تروسيكل عامل حادثة . . ما
إبنى ليلة الخميس بقت واجب وطني زى الجيش كده . . عيش
جراية وطبخة سودة وشاويش عطية كمان . . بعصر على نفسي
لامونة عشان أعدّي الوقت، وساعات بعمل إن عندي مغص
وإسهال عشان أنام . . أيوة بابا هو العُمر بعزّة . . ده غير يا إبنى
الأجيال النيلة اللي بدرّسلها . . هو القرعة وسعت من شوتة
عيال راضعة زبالة، تفكيرهم لا يتعدّي تفكير خُلد الماء . .

عُمر: كلّمنا عربي ورحمة أمك . . بلاش مصطلحات الإعدادية دي . .
خُلد الماء واليعسوب وأنثى الكركدن . . ما تقرّ فناش . . إلا
صحيح . . أمك عاملة إيه؟

حسين: عاملة حلاوة . . يا حمار إفهم . . العيال دي مش عيال . . مش
زى أنا وأنت والبغل الإسترالى ده وإحنا صُغِيرين . . " كان يشير
في مقطع البغل لعُمر الذي إبتسم كمن يسمع الشاء في حضرة
الخليفة الأموي " إحنا كان آخرنا برنامج سينما الأطفال . . بابا
ماجد . . فوازير نيللى . . كوميّة وحليمة . . أنا أنا أبريق
الشاي . . العيال دي معاها موبايلات وبتخُش على النت من
دلوقتي . . ستاليت وقنوات مفتوحة زى البلاعات اللي من غير
غطيان . . فتحوها لنا على البحري يا عمى واللي مش عاجبه
يولّع في نفسه . .

سكت عُمر دهرًا ونطق كُفراً: طب منا بُخُش على النت؟؟

حسين: أيوة إنت بقيت شحط . . دول عيال عشرة حداسر سنة فما
فوق . . لسانهم متبرّى منهم . . يعلّموك الأدب . . شُفت البنات
وهي بتصرّخ لما تامر حسني يطلع ينحنح على المسرح، تحس إنه
هيرجع من الرومانسية . . رابط بتاعة على إيده ولايس سلسلة
جنزير، وقميص أمك ماتمسحش بيه الشقة . . وفانلة عليها
الرجل الإخطبوط . . و . .

قاطعه عُمر مُصححًا: الراجل العنكبوت يا تعبان . .

حسين: أيوه "بات مان" يعنى يا عم الدثييء . . المهم . . الواد يشاور
كده البنات يله ، بنات إيه فايرة مش المقشآت اللي كانوا معنا
أيام المدرسة ، البت شيماء كنبه وإيناس أمّوز واحد اللي كان
عمر بيريل عليها . .

عمر: إحقد إنت . . إحقد . . لعلمك بقه ده كان أكثر حاجة سكس
فيها ، فريدة من نوعها يا جالاهل . .

نظر إليه حسين بإشمئزاز: ما علينا، البنات الثانية خمستاشر سنة توقف
شارع على رجل ، تقوم ماسكة في رجل الواد وتشد البنطلون
والواد يغتنى على روجه ، والبنات تصرخ ، الواد ده بتمن حقله
واحدة يشتريني أنا والمدرسة بالعيال اللي فيها . . تخيل إنت لما
تدرّس لدول بقه . . ده غير الولاد بقه . . خيرة شباب مصر .
العيال مش فاهمة في البطيخ . . سجاير وبانجو وأفلام سكس .
أهو شحط أهو بيتفرّج لغاية دلوقت . . صح؟ " في إشارة ثالث
إلى عمر الذي انتشى بنفسه كشاعر في سوق عكاظ " . . العيال
دى عملتها في السن اللي إحنا كان آخرنا ترايبزة البنج بونج
وبنحلق كابوريا . .

عمر: طب ما إنت بتدّى دروس وعلى قلبك قد كده . .

حسين: هي عينك دى اللي جاياني ورا يا يا ملتصق الفخدين . . اه
بدّى دروس . . إيه المشكلة يعنى . . عايزنى أقبض الربعميت
جنيه من المدرسة ويقضونى أنا ومراتى والبت ومصاريف طول
الشهر والبلاوى المتلتلة اللي بتطلع فجأة وأعرف أعيش؟ طب

إزاي . . ولو عندي كمان واحد بقه زيكَ . . يا سلام . .
كملت . . هطلب الأمم المتحدة ترمى أكياس إغاثة في الشقة . .

عمر: إنت تطول تبقى عندك ابن شبيهي؟
حسين: كُنت وأدته في ساعتها . . يا ابني الداية اللي ولدت أمك جالها
زُحار أميبي، والممرضة جالها إيولا علي الألب، وأبوك مات
عشان بتاكل أكله يا فنتاس على سطح عمارة في الزاوية
الحمرا . . عايز حاجة تاني؟ وبعدين أنا المفروض آخذ بدل بعزاة
كرامة . . .

عمر: من زمااااااا . . إنت ليك حتى بدل عندي من أيام المدرسة . .
حسين: إستتي إنت يا حامله الطائرات . . عارف يا أحمد مدرسة
المشاغبين دي عملت إيه؟
أحمد: مش فاهم . .

حسين: يا ابني المسرحية دي كانت قصة أجنبية . . ماشى . . إتعملت
فيلم مثله "سيدنى بواتيه" الراجل الأسمر ده . . لقطوها هنا
وعملوها مسرحية . . الفيلم كان هادف . . يعنى في الآخر تلاقى
نفسك مش عايز تبقى واطى . . عايز تنضيف وتتعلم . . يعنى
المغزى في الآخر نضيف . . هنا يا ابني العيال أخذت الموضوع
مثل أعلى . . يعنى الواد وصل لمرحلة إنه بيقلد الحوار بالظبط . .
كل العيال عايزة تبقى "بهجت الأباصيرى" و"مُرسى الزناتى"
حریم وشيشة في الفصل . . عشان يبقى فيه حكايات وذكريات

قُدّام البنات . . العيال حافظة أسماء فريقت الأهلّي كلّهم
بالإحتياطى ومش عارفة " تيودور بيلهارس " ده بتاع إيه !!
عُمر : أيوة صحيح بتاع إيه تيودور بيلهارس ده؟

حسين : ده اللّي اكتشف البيلهاريسيا عند أمك يا ابن الوارمة .
المسرحية دى بهدلتنا . . خلّت منظر المدرّس كلوت . . نفسى
طالب واحد يحطّ أبوه مطّرح المدرّس . . ويتخيّل زمايله بيعملوا
فيه كده . .

عُمر : أعوذ بالله . . يا ساتر يا رب . . مش قادر أتخيّل . . بس إنت كنت
نصيبة برضه أيام الثانوية!

حسين : ما هي دى المشكلة . . ما يحسش إلا اللّي كبير وفهم وبقى
أب . . أنا دلوقت بندم على كلّ اللّي عملته في أي مدرّس . . اه
والله . . حاسس إن ربنا بيخلص حقه فيا . . العيال كمان بقت
صعب أوى . . جيل تعبان . . مهما كانت شقاوتي أيام الثانوي
ما كنتش أقل أدبي على مدرّس . . أغش آه . . أزوغ ماشى .
أعاكس بنات أوكيه . . نرمى أستيكه وننزل نجيبها في ساعتين
ونتفرّج على كوارع ميس " شادية " . . بعمل ده وأنا
مكسوف . . أبويا لو عرف تبقى حكاية . . يعنى إنت عارف أنا
ما أحبش بنتي تشوفني وأنا بدرّس . . يطلع واد واطى رمه يرمى
كلمة تضحك عليّا الفصل كُله . . آه بطرّده وأشتمه . . بس
هاعمل إيه تانى؟؟ . . بدّيله درس بره ويديّنى ظرف فيه
فلوس . . كاسر عيني ابن الكلب . . اطعم الفم تستحي

العين . . ما إنت عارف . . ما ينفعش حتى أسقطه . . أبوه يفكر
إني بعمل كده عشان عايز فلوس زيادة . . وساعتها متس هشتغل
دروس وأرجع تانى للروبعوميت جنبه . . كلام بينى وبينكم . .
هي إسرائيل . . بيحطولنا حاجة في المية . . بيرشوا حاجة في
الهو . . هو الجليل جالّه تخلف مش من شوية . . وعلى فكرة
الكيمائيات دى أثرت على النسوان كمان . . بتبعجر شكلههم . .
مراتي بالذات غالباً شربت الكيمائوي كله . . أنا على شقاوتي
دى كلها وأنا في الثانوية العامة ومن غير كيمائيات بالنسبة لهم
كيس جوافة . .

عُمر : مش بقولك من زمان . . أديك إعترفت . .
اشتبكاً معاً في نقار يُشبه نقار الديوك . . طقس من أيام الدراسة لم ينقطع
لما تقابلوا . . حُب وعشرة وصدّاقة لدودة . . ضحكات من القلب وعيون
. . امعة من سباق القافيات قبل أن يشرّد أحمد في رجلٍ عجوز يعمل ماسح
أحذية، يمشی على الرصيف المقابل أمام القهوة . . أكثر من سبعين عاماً
. . يرتدي جلباباً مُخطّطاً باهتاً . . ضعيفاً هزياً يُثقله صندوق التلميع . .
بقوس ظهره وانحنى، يكاد رأسه يلامس ركبتيه . . ضئيل الجسم دقيق
الأرجل الأشبه بعيدان الكبريت . . ينظر فقط إلى أسفل . . إلى موضع
دميه . . خطوة أو اثنتان ثم يقف للراحة . . تردّد في ذهن أحمد سؤال واحد
نأسطوانة المشروخة . . ما يجبر هذا الرجل على العمل حتى ذلك العمر؟؟
اسحب من الجلسة . . لم يشعر به الديكة المتشاكسون . .

عبر الشارع وهو يكور خمسة جنيهاً في يده: خُد يا بابا . . ناولها
للرجل الذي رفع رأسه في بطن ممتماً بالشكر والدعاء . . شعر براحة نفسه
كبيرة قبل أن يرجع مقاطعاً حرب المائة عام التي تنشب بين عمر وحسين كل
لقاء: طب وبعدين يا حسين؟؟

حسين: كل سنة وإن طيب . .

أحمد: يعنى إيه؟

حسين: يعنى الأيام الجاية بالمنظر ده وبالجماجم اللي إتغسلت بكلور
وإتببضت بالزهرة دى . . ولادنا مش هيقوا منّا ولا إحنا
منهم . . البلد مش هتبقى هي البلد يا معلّم . . العيال دى
أحلامها غير أحلامنا . . ثمّ نظر إلى عمر وتأمّل كرشه الذي بدأ
يهتز ككيس الرز بلبن، وفي إشارة رابعة له: غير أحلام أكمل
العُشب اللي ببجتر مش بيهضم اللي قاعد معانا ده . .

ظلت الحرب العالمية الثالثة تدور رحاها في القهوة حتى حلت ساعة
العودة إلى الحياة الحقيقية . . انقضت السهرة . . وداع حار ووعد بلقاء
قريب . . سبة أو اثنتان على سبيل المحبة . . انفض الجمع ورجع أحمد وعمر
إلى الشقة المتواضعة، كانت وراءهما سهرة طويلة . .

أحمد: بقولك إيه يا عمر . . تعالى شغل السكانر . . عندي نيجاتيف عايز
أشوفه . .

عمر: دلوقتي؟؟

أحمد: شغل ونام . . عرفنى بس إزاي . .

عمر: متعب . . متعب . .

قام عُمر يسحب بنطاله الذي تدلّى ، عرف أحمد كيف يعمل الجهاز وهو
. ناءب : معاك ربّنا يا معلّم . .

استوطن المرتبة كالعادة ولم تُمرّ دقائق حتّى جلجل المكان بسيمفونية
، هوفن المفقودة . .

استغرق أحمد عشر دقائق ليألف الصخب الصادر من عُمر ، قبل أن يفتح
الدرج الثاني ويخرج علبة فيلم مكتوباً عليها " جلال " . . وضع النيجاتيف
، بدأت الصور تظهر . .

.....

في ذلك الوقت ، كانت عادة تستعدّ للنوم في عُرفتها المشتركة مع اختها . . سريران وكومودينو عليه صورة لأب يحتضن طفلتين صغيرتين في حديقة مجهولة . . كانت عادة وحدها في العُرفة ، فميّادة لا تُودّع التلفزيون ليل الرابعة صباحاً ، في حين تصحو الأخرى في الثامنة إلا الربع صباحاً . . انذهب إلى الجاليري . . مدّت يدها خلف أذنها ، وخلعت السمّاعة ، ووضعتها بجانبها . . ذلك السكون الحميم الذي تعودت عليه منذ أبصرت الحياة . . تشعّر فيه بالهدوء النفسي وكأنّها في بيتها . . لم تكن تُحبّ الضوضاء وصخب الحياة وإيقاعها السريع . . عندما تتوتر أو تُصادف ما يملقل راحتها كانت يدها تتّجه إلى السمّاعة فتخلعها ليعود إليها السكون مرّة أخرى . . ذلك الصديق الودود . .

مدّت يدها إلى الحقيبة وأخرجت الجواب منكوش الخط . . فتحتّه وأخذت تقرأه للمرّة الثامنة ربّما أو التاسعة ، كانت فكرة الجواب رغم عتق استخدامها كرسالة حُب ، قد تركت أثراً لذيذاً في نفس عادة . .

مادة فوّارة بين رثبتها تدغدغها كلّما تذكّرت أنّها تلقت ذلك العرض . . منى لو لم تقبله . . كان غامضاً رغم صراحتة فهي لا تعرفه . . كان تحليل صديقتها عيبر أنه شاب خجول رغم خفة دم الخطاب وحمستها للقائه على إله حال . .

تشبّث بلامحه التي تتلاشى وتفرّ فرأ من ذاكرتها، مُحاولَةً ألا تُضيعه
كما يضيع وجه سائق التاكسي . .

كان أحمد كمال مُباغتًا . . لم يترك لها فُرصة التأمل للرفض أو القبول
أتمت قراءة الجواب . . لم تدر ما تفعل . . قامت وصلّت ركعتين لله .

دعت بالمشورة والاستعانة . .

طوت الجواب ووضعت في حقيبتها . . أطفأت الأباجورة واستلقت تتأمل
السقف، لا تسمع سوى صوت الصمت حتى غلبها النوم . .

في شقّة أحمد كان الوضع مُختلفًا . . إعصار من اليقظة أخذ يدور بلا
هواده في نفسه . . مرّت ساعتان وهو يحفظ الصورة تلو الأخرى . . قام
بمسح جزءاً كبيراً من البيانات على القرص الصلب ليتيح مساحة للصور التي
قرر أن يحفظها بجودة عالية، حتى أنه مسح بعض "السيكوسيكو" الذي
يحتل أكثر من ٧٥٪ من المساحة في جهاز عُمر . . كان يعرف أنه سيقضي
عليه لا محالة، ولكن الصور كانت تستحوذ على كُله اهتمامه . . لم يعا
يسمع الحفّار "نفرتي ٣" الذي يرقّد على المرتبة خلفه باعثاً سحابة من
الرطوبة في سماء العُرفة، تلاشت الأصوات وساد الصمت في عقل أحمد . .

تسجيل كامل لزيارات مُتعدّدة لجلال مُرسى في الكازينو ونفس
اللازمة . . فتيات صغيرات السن لم يتعدّين العشرينيات . . لا تكاد الفتاة
تتكرّر معه مرتين . . مكياج صارخ . . وجوه وأجسام نضجت قبل أوانها،
يحتضنهنّ أو بالأحرى يعتصرهنّ، وفي عينيه نظرة ظفر من حررّ أورشليم .
فتاة أو فتاتان أصبحتا في الوسط الفني، منهنّ "قمر" التي رآها معه . . بدت

سغيرة في الصور قبل أن تنضج ثمراتها . . تربت على يده وباتت عند حُسن
المد . . عدد لا بأس به من الصور بدا فيها صغيراً عن سنّه الآن . .

كان يُحب الصور إذن؟ حتى دخلت حياته في دائرة الضوء . . لم يعد
يريد أن يرى أحداً كواليسه وبنش ماضيه الشائن، فامتنع عن التصوير وإن
للـ يكافيء جودة كلِّما رآه على سبيل التعويض، ومن باب سد الفم
مستحي العين عمّا رأت وسجّلت . .

صنع أحمد ملفاً وسمّاه "جلال" . . رتب فيه الصور بعناية المنمّق . .
أخرج علبة مكتوباً عليها "سالي" . .

فتح ملفاً باسمها وبدأ يجمع صورها . . صوراً كثيرة لها وهي ترقص . .
بادل رقص ساخنة . . عدد لا بأس به من الصور مع معجبين سكارى
عقولين وبعض رجال أعمال معروفين وأثرياء عرب يُكلِّنون مجهوداتها
الرائدة في مجال التنمية بعناقيد المئات . . بعض الصور الغربية لها مع "كريم
أبص" . . بدت مُختلصة . . بدون فلاش . . يتبادلان بعض النقود،
بتشاجران بعنف . . وأخيراً صور لها مع "هشام فتحي" . . بدا بعافيته
يُحيط وسطها بيديه ماسكاً سيجاراً . .

أغلق أحمد ملفّ "سالي"، وفتح آخر باسم "كريم أبص" . . ملفه بدا
مشبوهاً . . كلّه صفقات مُصوّرة مع مؤجري حق الانتفاع بسالي أو
غيرها . . فأحمد يعرف أنه يُدير شبكته الخاصة . . شبكة لا تعرف رسالة
"هذا الرقم غير مُتّاح حالياً"، ثلاثة ملفّات شديدة الشبه في المضمون لفتحي
العسّال وهشام فتحي وحبيب أمين ذلك المسمار المكسور رأسه في قلب

أحمد . . يُمثّلون خيلاء الذكور في قلب الحرملك . . تناقُس على الوجوه
والأجسام نفسها وصُحبة أساسية لسالي . .
قضى أحمد ليلته يُجمَع ويُصنّف غنيمته . . صنع رُكنًا خاصًا للسياسة
وأعضاء مجلس الشعب . . وجد فيهم صورتين مُستشار سياسي شهير مع
نجمة سينمائية كبيرة . . كانا أليفان أزيد من اللازم . .
غنيمة ثمينة لم يتخيّل أن يملكها في يوم من الأيام . . وأخيراً صنع ملفًا
سمّاه " X " . . وضع فيه كلّ الوجوه التي لا يعرفها، أو يعرفها، ولكن لا
يعرف لها اسمًا . . مع الوقت، أدرك حقيقة واحدة . . تأكّدت له مع
الصورة تلو الأخرى . . أن جودة كان بداخله الكثير . . الكثير الذي لم
يُفصح عنه، اكتفى بستار من الحكايات الخُرافية يصنع فيها ما لم يجرؤ على
تنفيذه في الواقع . . لم يكن أعمى كما ادعى . . كان يرى حقيقة ما حوله . .
كان بصيرًا، ولكن هناك ما حمله على السكوت . . على الاستسلام . . ليس
أكل العيش ما جعله شاهدًا أخرس . . كان هناك سبب . . سبب يجعل هذا
الرجل يُسجّل ويحتفظ بالصُور . . كعامل المشرحة الذي لا يجرؤ على
التصرّف في عهدته من الجُثث، إلا أنه لا يمنع نفسه من التلصّص عليها . .
كشّف سترها وعورتها أحيانًا . . أخذت الأفكار تتضارب في رأسه ككرة
الإسكواش حتى أدن الأذان . . قام ليتوضأ وصلّى الفجر . .
ثمّ رجع إلى الكمبيوتر وهم بغلقه لينام بعض الوقت قبل الذهاب للعمل
عندما نادته تلك العلبة المدسوسة بين الأفلام . . الوحيدة الملفوفة في ورق
أبيض . . مكتوب عليها . . " الفرّح " . .

فض أحمد الورقة . . كان مكتوباً عليها من الداخل " شيراتون الجزيرة /

٢٠٠٥-٤-٢١ . .

بدا فيلم فرح عادياً عندما رفعه أمام شاشة الكمبيوتر . . على ضوءها مِيز
رفة بتوسطها عريس وعروسة . . صور لمجموعات من المعازيم . . لا شيء
موق المعتاد . . عكس الأفلام النيجاتيف كُلُّها، بدا الفيلم دخيلاً على
متويات الدرج . . إلا أن شيئاً داخلياً حمله على لف الفيلم المجزأ إلى
شريحتين، ووضع الأولى في السكانر " الماسح الضوئي " . . أخذت الصور
بلهر الواحدة تلو الأخرى . . زفة . . أب يمسك بيد ابنته ينزلان سلماً . .
نسلّمها لعريسها . . نساء يزغردن . . تلك الفتاة البدينة قريبة العروسة التي
رقص رقصة " سالومى " أمام " هيرودس " طلباً للعريس . . عجائز سعداء
كأسان طويلتان من الشربات تُخب الزفاف . . دبل ذهبية تنتقل من اليد
المنى إلى اليد اليسرى . . ثم ظهر فجأة " محمد فؤاد " لتزدحم الصور أكثر
وتتلى بالأيدي المُصفّقة . . انتهت الشريحة الأولى . . لم يكن هناك ما كان
وحي بالغرابة في تلك الصور

التي فرزها أحمد بعناية باحثاً عن ما يريب . . سحب الشريحة الثانية
وضعها في السكانر وبدأت الصور تظهر . . اختفى " محمد فؤاد " من
الصور وحلت محله راقصة مغمورة عامرة الجسد . . دقق أحمد في وجهها
الذي بدا في النهاية تقليدياً تكاد تكون معه موظفة حكومية . . العروسان
تقطعان تورتة عشرة أدوار ثم صور لهما يتفقدان البوفيه تبعتهما ستة صور
مُظلمة تزداد الإضاءة فيهم تدريجياً من الأولى إلى السادسة، ليظهر شبح مبنى
" ضيء على النيل . . شبح فندُق جراند حياة . .

انجبت أنفاس أحمد دقيقة . . مدة متابعته للماسحة الضوئية التي بدت
بطيئة كالسُلحفاة إذا مشت فوق الجليد . . اقتربت عدسة الكاميرا الزووم
الطويلة من بار الدور الأربعين . .
بار فيرتيجو . .

سبع عشرة لقطه شلت تفكيره تمامًا . . ألجمت عقله . . قضت على ما
تبقي من اتزان . . تبلل جبينه واقشعر جلدته وجزّ أسنانه . . لم يكن جودة
يكذب . . لم يكذب في هذه الرواية بالذات . . جاءت في وسط حكاياته
الخيالية التي بهتت عليها فصبغتها بلونها . . كحكاية الصبي الكاذب الذي
أخذ يستغيث من الذئاب ليسخر ممن يحاولون إنقاذه كل مرة، حتى هاجمته
الذئاب حقًا فاستغاث . . ولم يصدقه أحد . . كانت الصور تسجيلًا
للحظات الأخيرة في حادث البار . . مذبحه فيرتيجو . . جزء من رأس أحمد
يظهر من أعلى السور وهو يُصور المذبح من وراء الزجاج . . هشام فتحي
وهو يُصوّب إلى الفراغ . . يسقط . . شبح وقف في الظلام لا يظهر وجهه
موجهًا ظهره للرائط . . مهاجم يقترب من محيي ذنون . . يُصيبه . . ينحني
فوقه . . صورتان خاليتان ثم صورة مهاجمين يتحركون ناحية باب
الخروج . .

إذا كانت الدنيا مسرحًا . . فأين يجلس المتفرجون؟

أغلق أحمد عينيه ودفن وجهه بين يديه . . لا يعرف كم من الوقت قضى
على ذلك الوضع . . أخذ شريط سينمائي كامل يدور أمامه . . كل تفصيلا
كأنها تحدث الآن . . تذكّرها كخفر على نحاس أُزيلت من فوقه طبقات
التراب . . لمعت عيناه قليلاً . . ضحك وكتّم ضحكته حتى لا يصحو

سديقه . . أخذ يُقَلِّب الصور أمامه كالمجنون . . فتحها على برنامج
 الفوتوشوب . . أخذ يُعالج الإضاءة . . يُقَرِّب الوجوه التي فقد أثرها من
 مل . . وجه القاتل . . ذلك الوجه الذي كان يظهر في خياله كالطيف أصبح
 أسامه الآن . . صنع له صورة مُقَرَّبة وحده . . كان يبدو مفتول الجسم ، لكن
 «لامح الوجه لم تكن واضحة . . كان التصوير عكس الضوء . . يا
 للحظ . . لو رسم ذلك المحطوظ خطة لكي لا يظهر أثناء تنفيذه لجريمته
 لنشل ، ولكن القدر خدمه . . قَرَّب صورة أخرى يظهر فيها الشبح الملتصق
 بالحائط الخارجي . . شبحه . . أخذ يتأمل . . أضاف بعض الإضاءة
 للصورة . . لا أمل فالوجه كان من لون واحد . . أسود . . قلب بعض
 الصور للحظات حتى شعر بتلك السخونة خلف رقبتة : هات الصورة اللي
 قبلها كده . .

التفت أحمد في دُعر ليجد عينين مُعمَّصتين وفمًا على جوانبه الزبد . .
 كانت أنفاس عُمر : إنت صاحي من إمتي؟

عُمر : من صورتين فاتوا . . إيه الصور دي؟

لم يُجبه أحمد . . فسأله عُمر : ماتقوليش !! حادثة حسام؟؟

أحمد : هي .

عُمر : يا نهار اسود . . إزاي؟؟

استغرق أحمد أكثر من ساعتين ونصف الساعة ليستوعب "عمر"

نفاصيل كثيرة لم يكن يعرفها عن حادث الفندق و "حسام" وتركه "جودة"

من النيجاتيف . . حكى له بصور "جودة" وصوره عن "جلال وسالي"

وحبيب وفتحي العسال" . . عندما انتهى أحمد من حكاياته التي بدت كفيلم

عربي مقاولات، ظل عمر فاتحاً عينيه بذهول من اغتصبها عشرة أشخاص على غفلة وهربوا . .

عمر: طيب . . سؤال واحد . . لأ سؤالين . . جودة ليه سكت كل المدة دي؟ ليه ما إتكلّمش؟ الصور دي كان ممكن يقلب بيها الدنيا .
التحقيق كان هياخد طريق تانى . . وبعدين ليه مصوّر كل الناس دي؟ كان عايز يستغلها؟ ماحصلش . . مش فاهم . . الراجل ده الاحتمال الأول إنه يكون غبي جداً، والاحتمال التانى إنه يكون برضه غبي جداً . . مفيش غير الاحتمال التالت . . إن الراجل ده حاجة حصلت له خاف بسببها يتكلّم . . طب لما هو خايف احتفظ بالصور لبييه أصلاً؟؟ أنا مخي وقف . .

سكت أحمد لحظات استقلها عمر قبل أن يُجيب: أنا فاهم . . شوف يا عمر . . جودة كان من الناس دي بشكل ما . . شايف بلاويهم وساكت . . بياكل من إيديهم . . زى ما همّا كمان بياكلوا . . من نفس الطبق . . يعنى مثلاً واحد زى "جلال مُرسى" بطل يتصوّر لما اسمه إتعرف وبقاله صوت . . غاوي بنات تحت العشرين . . كان بيحب يجمع صورهم . . بيتصوّر مع كل واحدة، زى دكتور الأسنان اللي إتقفش بيصوّر نفسه وهو نايم مع النسوان اللي سنانها بتوجعها . . مش كويس إن حد يشوفه وهو كده بعد ما بقى اسم . . بس كل زيارة كان لازم يراضى "جودة" .
"جودة" اللي شهد كل أيامه اللي فاتت . . وطبع له كل الصور كمان .
حاجة كمان . . "جودة" مصوّر بنات كتير في أفلام "كريم أبص" . .
القرنى بتاع "سالي" . .

كُلُّ الناس عارفة " أَبْص " بِيصوَر البنات دول ليه . . " جودة " كمان كان
 مارف . . الصور دى بتتوزع على الزباين زى الكتالوج عشان يختاروا
 المنت اللي هتقتضى الليلة معاهم . . تسويق وبيزنس . . بلاش . . " فتحى
 المسأل " كان بيعجى مع واحدة مرافقها . . حفلة وهدية وفلوس بترمى قد
 نده وبعدين على شقته الثانية . . الأسبوع اللي بعده بيعجى مع مراته . .
 جودة مايسلمش الصور بتاعت الأسبوع اللي قبله . . يستنى كمان إسبوع
 وبعدين يحاسبه . . كان فيه إتفاق . . صور " سالى " مع كُل الناس دى . .
 سور " هشام فتحى وحبیب " . . الخ . . بس فيه حاجة مُشتركة في كُل
 الصور دى . .

عُمر : إيه؟؟

أحمد : إن الناس دى كُلهَا كانت بتدفع بزيادة . .

عُمر : " جودة " ده كان باين عليه يطلع الجنيه من الكابينه . .

رمقه أحمد بنظرة اشمزاز من هذا المثل الفسواح : لأ . . هُمّا اللي كانوا
 بتعمدوا يدفعوا بزيادة . . عشان عارفين إن الراجل ده لازم يتراضى عشان
 شايف وساكت . . عشان يفضل شاهد أخرس . . لسان مقطوع . . هو
 كمان لما يقبض من الناس دى صعب عليه بيعهم . . مهما شافهم بيعملوا
 أى حاجة . . بقة فيه عشرة . . عيش وملح . .

عُمر : طب تفسر بيايه إنه شايل الصور دى؟؟

أحمد : يمكن عشان يفضل معاه ورقة ضغط في أى وقت ، أو يمكن حد
 يطلب صورهِ القديمة . .

ثمّ سكت قليلاً قبل أن يُضيف : ويمكن يكون حاسس بالفساد اللي جوه
الناس دى .. صورها وكان ناوى يعمل حاجة بس الوقت ما أسعفهوش ..
يمكن .. مفيش حد يقدر يعرف دلوقت ..
عُمر : طيب وموضوع الحادثة ده ..

أ- ردة حكى لي الموضوع ده قبل كده .. ماصدقتوش .. في وسط
ناوى اللي كان بيقولها كان لازم أحس إن دى كمان كدبة ..
كان في فرح بالصدفة واقف على النيل ومعاه الكاميرا .. لمح
حركة .. صور وكمل الفرحة .. تخيل إنني أكون لازق في الإزاز
وما أصورش حاجة وهو من فندق تانى يجيب صوراً!!

عُمر : دى عدسة إيه دى؟

أحمد : ٥٠٠ زووم .. شُفتها مرّة عنده .. المهم إن مالهاش لزمة في
الفرحة .. بس هو كان غاوى منظره .. كان متأثر أوى بنور
الشريف في فيلم "ضربة شمس" .. الأ-بي-جيه (*) اللي كان
شايله طول الفيلم ده .

عُمر : وتجب كل ده؟؟

أحمد : تجيب .. بقولك إيه إنت أحسن منّي في الفوتوشوب تعالى أقعد
مكانى ..

استلم عُمر الدقة .. فتح الصور .. أخذنا يتأملان الصور أكثر من
ساعة .. حاول عُمر تنقيحها .. وضع مرشحات لإزالة الشوائب من
الخدوش التي تكوّنت على النيجاتيف من أثر الاحتكاك .. ضبط مستوى

(*) سلاح مضاد للدبابات يحمل على الأكتاف ..

إساءة الصورة وتباينها حتى بدأت معالمها تنكشف . . إستنى . . فيه
حاجة . . قالها عُمر وهو يُقَرَّب مقطَعاً من الصورة في خلفية المكان . . عزله
وحده . . فتحة وكبره قدر حجم الشاشة . .

كان ما ظهر مفاجئاً بكلِّ التوقُّعات . . لم يكن القاتل محظوظاً بالقدر
الخاص . . كانت صورته معكوسة على حائط في الخلفية عليه زُجاج قاتم
يُظهر وجهه من الناحية التي يضربه منها الضوء . . الجانب الذي لم يره
سوى من قُتل في تلك الليلة . .

رقص قلب أحمد وكاد عُمر يُزغرد فخراً باكتشافه . .

قال أحمد بعد أن كاد يجلس على حجر عُمر : تعرف توضّح الصورة

؟

عُمر : أوضّح لك أبوها . .

استغرق الأمر من عُمر نصف الساعة وهو يُحاول توضيح الوجه . .
مربّات لا تنتهي على رأس الفأرة المسكينة . . فلاتر مُنقّحة لإزالة
الشويش . . تفتيح وضبط تباينات حتى أخذت المعالم تتضح نسبياً . .
صورة شبه جيدة لانعكاس القاتل في المرأة . . ملأ عُمر الشاشة بوجهه ورجع
بخرسيه إلى الورااء في حين جلس أحمد على المرتبة يتأمل الوجه من بعيد : يا
ارى كان يتخيّل إن فيه حد هيصووره؟

حد زى جودة . . صدفة ما تحصلش . .

رد عُمر بسؤال سخيف كان يطرق باب أحمد : هتعمل إيه؟؟

أحمد : قصدك هنعمل إيه؟

التفت له عُمر : يعنى إيه؟

أحمد: يعني من دلوقت إنت بقيت شريكى . . أنا مش عايز منّا

حاجة . . ساعدني بس في الفوتوشوب وسيب عليا الباقي

مش إنت اللي صحيت ودللت دماغك في اللي أنا بعمله؟؟

كان عُمر ينتظر سماع ذلك الجواب . . ذلك التكليف: بقى كده؟؟

أحمد: غصب عنك يا ناقص . . فيه مشكلة . .

عُمر: مفيش يا معلّم . .

أحمد: حاجة كمان . . لو فيه أي حاجة طلعت من اللي حصل النهاردة،

أنا وأنت والحاجة اللي إنت سايبها بتأكل زيادي في البيت دى،

مع السلامة، والحاجة بالذات هيشغلوها في كازينو . . ماشى .

عُمر: عيب عليك . .

أحمد: كُل مرة بتقول عيب عليك وتفتن يالله . . المرة دى مفيش

تهريج . . فيها رقبتي يا عُمر . .

عُمر: أبيعك من أول قلم يا حمادة . .

أحمد: أصيل يا أبو شادية . . ثمّ قام وقفز فوقه يدغدغه وينغز كرشه

الثرية . . ضحكات وقفشات وسباب حتى هدّ حيلهم . .

خارت قواهم فاستلقى عُمر على المرتبة وأشعل أحمد سيجارة وهو

يجلس في المساحة التي تركها له عُمر، يضمّ ساقيه أمامه ناظراً إلى الشاشة مر

خلال الدخان في الوجه الذي ملأها . . وجه خانه الحظ . .

.....

مرّت ساعات النهار كأنها حلم . . قضاها أحمد كالسكران . . عيناه
تارتدين تنظّران إلى الفراغ ، يُصوّر الأطفال والبنات والزفاف ولا يكاد
يأكل . . وجه أحداً . . شعوراً مختلطاً يجمع ما بين الدهشة والحُزن والفرح
معاً . . كان ما حدث في الليلة الماضية كثيراً بكلّ المقاييس . . أخذت فكرة
واحدة مُلّحة تُسيطر عليه سيطرة النداهة على عليوة الفلاح بجانب
الرعة . .

عُمر : يعني هتعمل إيه . .

كان عُمر قد انحرف في دك الفحم ورصّه فوق حجر الشيثة في قهوة ليالينا
التي تعودا على المرور بها بشكل شبه يومي بعد انتهاء العمل في
الاستوديو . . ووجه ذلك السؤال إلى أحمد : لازم أعمل حاجة . . ربنا بعث
إي الصور دي لهدف . . أنا مش عارفه بس حاسس بيه . . مش هكون
موودة التاني . . مش هاسكت . . وإلا يبقى ما استحشش إن الصور دي تبقى
عابا . .

عُمر : ماشي . . هنعمل إيه برضه؟؟

لم يكن أحمد يعرف جواباً لتلك المشكلة . . شرد قليلاً في الشارع عندما
وقف أمامه رجل قصير أحول يبدو "مريخي" وقال له :
أنا اراهم جمهوريو فداخر ساع . . نبأ دستور حرّية . . حوريتيُنصال الدنيا . .
مرو نلامصريليوو . .

لم يكن "مريخي" .. كان بائع جرائد ..
كان الإنترنت قد أغنى عمر عن قراءة الجرائد منذ زمن : شكراً بابا ..
في حين أمسك أحمد بيد الرجل الذي همّ أن يرحل : إستتى يا ريس
هات كل اللي عندك ..

عمر : إيه يا عم الدودة .. هتشتري كُله؟؟؟
أحمد : إستتى إنت .. ثمّ أخرج محفظته وسأل الرجل : كام يا ريس
أجاب الرجل وهو ينظر في اتجاه آخر تماماً : تسعة ونُص ر
باشا .. حاسب أحمد ورحل الرجل .. أمسك بالجرائد ووضعها
تحت باطه وقام : يالله حاسب وقوم ..
استنكر عمر : الحجر لسه يا إبنى !!

أحمد : يا دغف ده خامس حجر النهارده ، كفاية عليك كده .. قم
حاسب ..

قام عمر رغماً عنه ينفخ ويتوعد بصب اللعنات على أحمد لقطع متعب
الوحيدة في أكل أحجار المعسل .. اتجه بعدها أحمد إلى شقته ووعده عب
بالمروور عليه بعد أن يشتري والزبادي لأمه ..

دخل أحمد .. خلع جزمته واستلقى فاتحاً الجرائد أمامه في دائرة ..
لم يدر كم من الوقت استمر في تلك الجلسة حتى زحفت جيوش النما
في شرايين أقدامه .. قام ليحركها ويهزّها عليها تراجع أو تستسلم .. أشء
سيجارة وبدأت خيوط كخيوط العنكبوت تُنسج بداخل رأسه .. تترك
وتتكاثف في بطنه .. لم يسمع باب الشقة وهو ينفتح وإذا بعمر يُفزع
بتجشؤ عال وهو يقف بباب الغرفة ..

أحمد: الله يقرِّفك . .

عُمر: إيه اللي إنت بتعمله ده يا نيلة؟

أحمد: تعالى . . جذبه أحمد وأجلسه على المرتبة بعد أن أمسك بإحدى

الجرائد القومية . . بَص العنوان ده . . قرأ " عمر " العنوان في

سرّه . . لم بيد عليه الفهم: إيه يعنى فيه إيه؟؟

كان العنوان يقول: " إبراهيم راشد يتقدّم بطلب في مجلس الشعب

الموافق على قانون التأمين الصحي الجديد . . . " جلسات مكثفة في

المجلس لدراسة القانون قبل طرحه في الجلسة المقبلة . . وصورة لرجل يُشير

إياه وهو مُنفعل في وضع تصويري وأمامه مايكروفون رفيع . .

أحمد: الجرنال ده من إسبوعين . . جبتة عشان أفك فلوس للناس اللي

طلعت معايا الحاجة في الشقة . .

عُمر: يا فرحة أمك بيك . . إنت عبيط يا إبنى . .

أحمد: إستنى . . بَص . . ورفع له جرنال الحرية: اقرأ . .

كان العنوان يقول " قانون التأمين الصحي أم التأميم

المسحي؟ " القانون الجديد تُطيح بنوده بمحدودي الدخل " " لا نتوقع من

الحكومة مُراعاة للفقير " بقلم جلال مُرسى . .

عُمر: عادى . . راجل واطى وبيهش في الكل . .

أحمد: صح . . جرنال الحرية ده طلع أوّل إمبراح عشان إسبوعى

ماشى؟؟ . . بَص بقه . . ده جرنال بكرة طبعة أولى . . فتح له

جريدة قومية: اقرأ . .

"وبفضل توجيهات سيادته، تم تعديل مشروع قانون التأمين الصحي الجديد ليناسب محدودتي الدخل . . إيماناً منه بحقوق المواطنة . . وقد تفضل سيادته و . . . "

أحمد: فهتم حاجة؟

عمر: طبعاً . . لأ . . من إمتي يله إنت بتهمم بالتأمين الصحي؟

أحمد: يا كلب البحر أنا مش مُهمم بالتأمين الصحي . . شايف الراجل ده؟ وأشار له على عضو مجلس الشعب الذي يتكلم بجُرقة أمام المايكروفون في الصورة . .

عمر: مين ده؟

أحمد: ده الراجل اللي حكيتلك إنه وصل جلال مُرسى مرة لغايه الكازينو . . اسمه إبراهيم راشد . .

الراجل ده طرح موضوع التأمين الصحي في المجلس . . جلال مُرسى بعد كده يشردّه في الجرنال بتاعه! ليه؟؟ اللي شُفته غير كده . . الراجل كا، باين عليه صاحبه أوى . . ضحك معاه ووصله . . يعنى فيه اتفاه وانسجام . . فيه صداقة . . وبعدين يشد السلخ عليه في الجرنال . . متر غريبة دى؟؟ الأغرب إن الحكومة بعد كده تعدل وتضبط القانون ويتنفذ ويرجع الفضل المرة دى ليهم . . بس زى الحُرية ما قالت . .

لم بيد عمر مُقتنعاً فعاجله أحمد: طيب بُص فيه حاجة كمان . . فتح ل جريدة الحُرية مرة أخرى . . عنوان يقول: "الأغذية الفاسدة وعودة لحُقه الثمانينيات" "شركات توكلنا السم في العسل" "تحقيق واسع يُشير إلى تورط شركة "نوتريميثال" للأغذية في توريدات مُنتهية الصلاحية بمعرفة "عبد الرحيم العسال"

الموضوع يخوّف مش كده؟؟ بٌص هنا بقة . . وفتح آخر صفحة في
لمدة . . كان هناك إعلان كبير بطول الصفحة في الخلف عن مجموعة
الأسّال " وصور لجميع مُنتجات شركاته . .
عُمر : مافهمتش دى . .

أحمد : فتحي العسّال ده غول . . بيشتغل في كُل حاجة وبيورد أى
حاجة . . مسنود من " عبد الرحيم العسّال " . . الوزير عارفه
طبعاً . . أياً كان، حتّى لو مش قريبه . . الراجل ده قُرّيب أوى
من فوق . . المشكلة مش في كده . . المشكلة إن السوق كُلّها فيه
شركتين بس . . " العسّال " و " نوتريمينتال " . . هُما اللي
مُسيطرين على الأغذية كُلّها، يعنى دى حملة تخلّى السوق كُلّه مع
العسّال . . وارد تكون " نوتريمينتال " دى شركة وسخة طبعاً بس
منين " جلال " يخبّط في الوزير " عبد الرحيم العسّال " ويتّهمه
بالتدليس، وفي نفس الوقت عامل إعلان لفتحي العسّال قريبه في
نفس العدد صفحة كاملة . . منين الصداقة دى وبعدها يخبط في
ضهره اللي بيسنده . .

عُمر : غريبة دى طبعاً!!

أحمد : مش غريبة ولا حاجة . . دى سياسة . . عارف الصيادين بيعملوا
إيه عشان السمك يدخل الشبك برجليه . . أقصد بز عائفه . .
يعملوا دايرة ويخطوا الميه بعُصيان طويلة يخلّوه يتفزع ويهرب . .
مايلاقيش غير ناحية الشبكة هي اللي مفتوحة . . يجرى وهو
متهيأ له إنه بقى حر . . أثاره رايح للموت برجليه . . وخذ من

ده كثير . . جرايد كثير عايمه على نفس العوم وشوية جرايد
بسيطة هي اللي تاخذ منها حاجة . .

عُمر : يعنى الراجل ده مع مين في الآخر؟

أحمد : الراجل ده مُناقف يا عُمر . . بيكتب بالعكس . . بيخبط عشا
السّمك يخش الشبكة . .

شغال مع الكسبان . . مع الموجة اللي ماشية . . فيه ناس كثير اوى

تخدمها الفضيحة وتكبر اسمها . . كمان الهجوم الجامد على الكُبار يخلنا

تصدّق أي حاجة على أي حد تانى . . لو جنب التخبيط في كام رجل أعاء

على كام واحد بتاع سياسة نزل خبر بيقول إن أمك بتشتغل في توظيف

الأموال أنت نفسك هتصدقهم . . فيه ناس الهجوم عليهم مكس

ليهم . . ولازم يبقى فيه تنفيس . .

عُمر : تنفيس إزاي يعنى؟؟

أحمد : يعنى حد يهاجم بالنيابة عن الناس اللي مش فاضية . . الناس

اللي أكل العيش هو اللي بياكلها . . الناس اللي بتجرى طوا

اليوم عشان القوت وبس يا عُمر . . زي وزيك كده . . مفي

أحلام ولا طموحات ، يدوبك يحط دماغه على المخدّة عشا

يصحى تانى يوم يشتغل زى الحمار في الساقية . . بس ما يمنع

يقرأ الجرنال بالليل ، يسمع له كلمتين حلوين يطروا قلبه شوية

حبة شتيمة في كام وزير على كام مسئول وشوية أخبار مُمنذ

على كام صورة بت سلبوتة وحادثتين دعارة بالتفصيل المُمل

تبقى كده الوجبة كملت ومعها عيش وسلطة طحينه كمان

حد يزقق عشانه ويهلل أكتّه بيحبيب حقه . . حد يرّحه . . يدّيله
 حُقنة البنج عشان همومه تعدّى وفي نفس الوقت شوية ديمقراطية
 على حقوق إنسان على معارضة مُستقلّة في بلد حرّة وشعب
 حر . . لازم النبي آدم يهدا برضه . . يحس بأمل في بكرة . .
 يحس إن فيه تغيير . . طب إنت عارف نصّ الناس إن ماكانش
 ثلاث ترباعهم عايزين التغيير عشان يكسروا الملل . . يغيّروا
 الوشوش . . يشوفوا سحنة جديدة . . لو جيت قلت لحد فيهم
 قضيتك إيه؟ مش هيلاقى حاجة يقولها . . الجرايد فكّرت له
 وزعّقت بالنيابة عنه وصرخت في اللي كابس على نفسه . .
 شربته سيجارة معمرّة وأكله ثقيلة يشخّر بعدها طول الليل . .
 يشخّر للسنة اللي جاية كمان . .

عُمر: الكلام ده إنت من إمتى بتفكّر فيه؟ إنت بتقوله أكتك حافظه . .
 أحمد: الشغل في مكان زى اللي أنا كُنت شغّال فيه ده يعلم اللي ما
 يتعلّمش . . على رأى " جودة " الله يرحمه إحنا بنشغل في دورة
 مية . . تخيل إنت بتصوّر واحد وهو في الحمام . . بنشوف
 المجتمع عريان بلبوص . . مش مكسوف لأن فيه حيطة بتداريه ،
 وناس قبل الحيطة بتأكل عيش وطالما دخل المّم في الموضوع ؛ كُـل
 سنة وإنت طيب . . إعمل اللي إنت عايزه وزيادة . . وبعدين أنا
 برضه مفيش عندي مسئولية ولا عيال ولا بيت . . فيه وقت
 أفكّر . . غير اللي متجوّز . . بيبقى مش شايف قُصّاده . .
 عُمر: أنا مش فاهم دماغك رايحة فين . . ناوى تعمل إيه بالظبط؟

أحمد: بُص يا عمر . . " جلال " ده كان ملجئ الوحيد بعد حكاية
 " حسام " . . لما شُفّت صورُهُ وهو يفرُّك في البنات مش عارف
 إيه اللي حصل . . يمكن إتكسرت صورته اللي في خيالي .
 كُنت فاكِر إن فيه ناس مُحترمة . . طب والله الراجل ده أنا كُنت
 مُتخيِّله مثلي الأعلى . . سكوته وموضوع الصور اللي نسبها
 لنفسه ساعد في توضيح حقيقة حادثة البار، وأمّه بقت عضم في
 قُفَّة من بعده، ده غير البت " كريستينا " اللي إتجوَّرت بعد
 إسبوعين من موته . . كُله ده ليه؟؟ تخيِّله صورة من عندي
 وكاتب لهُ جواب بشرح فيه اللي حصل، يقوم ينشرها ويألف
 قصة وينسبها لنفسه كمان!! ويودى التحقيق في اتجاه تانى . . ده
 غير التعميم اللي حاصل أصلاً، كمان الحكومة مش هتستنى
 الدليل يبجي من جرنال أصفر . . يبقى هُما كده ما بيشتغلوش
 صح . . راجل واطى ابن جزمة . . لازم يدوق السم اللي
 طبخه . .

لا يدري لماذا ظهرت صورة الرجل ذي الخاتم أمامه كومضة الفلاش
 عندما تذكر الورقة التي أرسلها لجلال بالعبارة نفسها . . تذكر ذلك الضرس
 المسوس ذو العصب المكشوف الذي يصعبه إذا لمسه . .

عمر: يعنى الراجل ده لو كان نشر الصور كان القاتل هيتعرف؟؟
 أحمد: الراجل ده إستغل البروباجاندا عشان يلمع جرناله على حسابي
 وحساب الحادثة، وحساب ناس مالهاش ذنب زى " حسام "
 واللي كانوا في البار وقتها . . ومش من مصلحته إنه يبين الحق

فين . . الموضوع مش موضوع القاتل . . الموضوع أكبر من
كده ، "جلال" بشكل ما جالهُ أورد ريموت الموضوع . . يقبله
فيلم سكس . . نسوان ورجال أعمال بتتخايق . . المواضيع دى لما
يُخس فيها ريحة وسخة بتفسد . . بتبقى فزورة محروقة . . الناس
تملها . . تزهق وتنسى . .

عُمر . . أنا عايز منك حاجة صغيرة . .
عُمر : إرغى؟؟

أحمد : عايزك تحيب لى من على الإنترنت شوية معلومات . .
عُمر : معلومات زى إيه؟

أحمد : عايز الإيميل بتاع جلال . . عنوانه . . عايز أراسله . . عايز شوية
معلومات عن مجموعة العسّال . . يعنى شهادات دولية . .
آراء . . تصنيف . . وعناوينهم طبعاً . .

الناس بتوع مجلس الشعب . . عايز أسمائهم . . معلومات عنهم . .
أكثر زباين باريس كانوا منهم ، عايز أطبع كمان كام صورة قديمة لجلال وهو
بيعط في الكازينو . . و . .

عُمر : هيبس . . حيلك يا عم إنت هتقلبها حرب عصابات؟؟ عايز
تخبط في الناس دى كُلها مرة واحدة . . الناس دى مش سهلة يا
أحمد . . الناس دى إحنا بالنسبة لهم هاموش . . شوية حصى
على الأرض . . مش هيسنتوك لما تهدد . . دول ياكلوا إخوانهم
لو مصالحهم وقفت . . يهرسوك من غير رحمة ومحدش يسمع
عنك تانى . .

أحمد : اللي إنت قلته ده ميزة . . مين هيتبته لهاמושة واللا حصواية على الأرض؟؟ محدش يعرفنى . . أنا مش هواجه حد . . أنا هارمى طوبه وأطلع أجرى . . حرب عصابات زى ما إنت قُلت . . مفيش حاجة أخسرها . . هنعاكسهم . . بدل ما نسكُت . . أنا معايا صور تودى فى داهية . . نقلق نومة الناس دى . . نخليهم يندموا شوية . . يعيشوا فى توتر . . يمكن نعمل حاجة . . يمكن نغير حاجة . .

حاصرته أحمد بطموحه . . كان مُقنعاً . . مُندفعاً لكن على حق . .
عُمر : الموضوع مش سهل . . مُمكن جداً حد يتابعنا . . سهل يبقى فيه بصمات . . أرقام الجهاز اللي إتبعته منه إيميل مباحث الإنترنت تجيب صاحبه . . عايز رأيي؟ نتعامل بالبريد العادي . . زى رسائل الجمره الخبيثة كده . . وسيلى موضوع الإنترنت ده . . هجيبلك أي معلومات إنت عايزها . . ليا سكك . .

كلام عُمر كان مُحترفاً إلى حد كبير . . منطقياً . . كان أحمد يملك الأحجار لكن لا يعرف أين وكيف يُلقيها؟ كان يحتاج إلى ترتيب أفكاره . .
كان يحتاج لخطة مُحكمة . .

عُمر : مين ده؟

كان عُمر يُشير إلى صورة من ضمن الصور يقف فيها جودة مُبتسماً
ابتسامه عريضة بجانب مُمثل مغمور . .

أحمد : ده جودة يا سيدي . .

عُمر : ماله عامل كده ليه؟

أحمد: كان يبحب يتصوّر مع أي حد . .
عمر: مم . . بيتصوّر على روحه يعنى؟؟
أحمد: بس كان طيّب . .

استغرق الأمر منهم أكثر من ثلاث ساعات . . استرجع فيها كل منهما
الأفلام الأجنبية التي شاهداهما معاً في سينما أوديون بوسط البلد . . تلك
السينما التي قضوا فيها معظم حفلات مُنتصف الليل من ليالي الخميس أمام
الأفلام الأكشن . . نوعيتهم المفضّلة منذ أيام الدراسة . . خاصةً أفلام "
بروس ويليس " نجمهم المفضّل . . ثلاث علب سجائر صنعت سحابة
رُمادية حجبت الرؤية في الغُرفة قبل أن ترسو أدمغتهم على فكرة . . فكرة
بليق بزماله الإعدادية . .

.....

بعد خمسة أيام . .

الدور الرابع بعمارة عتيقة بوسط البلد، في شارعٍ مُتَّعِرٍ من ميدان
للعت حرب . . سُلَيْمان باشا سابقاً . .

" جريدة الحُرِّيَّة "

كانت تلك العبارة مكتوبة على لوحة نُحاسِيَّةٍ بجانب الباب، تحتها شعار
" أربعة حروف تعنى الكثير " . . قرع الجرس شاب يعمل ساعياً في
المريدة . . فتحت الباب فتاة مائعة لا تختلف كثيراً عن فتيات المكتب اللاتي
م اختيارهن بعناية من قبل رئيس التحرير شخصياً بعد مُقابلة واحدة فقط
. . وأكد فيها من مدى استعدادها لتقديم السبت وربما الأحد ليقدم لها هو باقي
انام الأسبوع . .

بدلت ابتسامتها ورفعت حاجبها للشباب الذي بدا مُرهقاً: إيه اللي

أخرِك؟ كُل ده بتجيب غدا؟؟

كان الشاب قد تعود على معاملة العبيد فلم يأبه كثيراً للشفاه التي
انقلبت، ناولها الفكّة الباقية وأخذت هي الكيس قبل أن تعطيه ظهرها . .
اختلست عيناه صورة لساقها الملفوفتين وهى تبتعد قبل أن يتذكر ذلك
المظروف الأصفر الكبير الذي يحمله تحت إبطه: آنسة ماهيتاب . . فيه ظرف
لأستاذ " جلال " . .

رجعت ماهيتاب إلى الشاب والتقطت الظرف: من مين ده؟

الشباب : كان موجود في مكتب الأمن تحت . .

قلبت ماهيتاب الظرف يميناَ و يساراً : مش مكتوب عليه جاى مين !!

كان الظرف مغلقا بإحكام مكتوب عليه : جريدة الحريّة . . خاص

بالأستاذ جلال مُرسى . . " لا يُفتح إلا بمعرفته شخصياً " . .

ماهيتاب : دخله على المكتب الأستاذ . . يمكن يكون حاجة خاصة . .

يعمل لنا مشكلة . . وشغل التكييف . . زمانه جاى . .

لم تنقض ساعة حتى وصل جلال مُرسى . .

" " " تن تن تن " " "

نرجو من السادة القراء قلب كل حروف الرء إلى واو في كل الجمل

الحوارية الخاصة بجلال مُرسى ، وذلك لظروف اللثغة ، وشكراً . .

" " " تن تن تن " " "

دخل من الباب قاصداً عُرفته مباشرة : صباح الخير . .

رماها في عُجالة كأنها ستكلفه مالاَ ووقتاً . . دخل مكتبه وأغلق باب .

بصوت مسموع . . لم يكن هذا غريباً . . كل من بالمكتب تعودوا على ذلك

السلوك . . كان جافاً لا يرحم . . لا يتعب كأنه الشيطان نفسه في مهمته

الرتيبة . . تصاعدت حدته في الآونة الأخيرة . . لم يكن كذلك منذ أربعة

أعوام . . كل من حوله يرجع تلك العصبية المُفرطة والمزاج السيئ للانفتاح

الذي حدث لجريدته منذ أصبحت تُنافس الجرائد القومية في المبيعات . .

أصبح انعزالياً . . يرفض ويُعدّل أي مقال لا يعجبه بروح الديكتاتور ولا يأبه

برأي أحد . .

يسهر في المكتب كثيراً ويغيب عنه أيضاً كثيراً . . رحل عن جريدته
التيرون مَن لم يتحمّلوا سلوكه وكان رأيه دائماً أن الباب يقوّت جملاً
وودج يحمل عروساً . .

خلع جاكته ورمّاها لتلقّاها يد سكرتيرته وجلس على كرسيه المريح في
مفتحة الأبيقة الباردة . . كان لا يستغنى عن التكيف . . يعرق بغزارة كخزان
مروم . .

جلس على المكتب : قهوة . .

لم تُعقّب الفتاة، هرولت سريعاً وعادت بكوب القهوة بعد خمس دقائق
وساها جلال في مطالعة العدد الماضي من جريدته : طلّعي لى عدد الإِسبوع
اللي فات . . ذهبت الفتاة إلى دولاّب، فتحت أحد الأدراج وأخرجت
العدد : إندهيلي علاء جُمعة . .

السكرتيرة : حاضر . .

خرجت وبعد دقيقة قرع الباب علاء جُمعة . . شاب في السادسة
والثلاثين . . صعيدي أسمر من سوهاج . . طويل نسبياً متناسق البنية،
مريض الفك مُجمّد الشعر . . بياض عينيه تعلوه صفرة بسيطة . . أنفه حاد
وصوته عميق : حضرتك عايزنى . . قالها بجفاء . .

لم يدعه جلال للجلوس : الإِسبوع اللي فات أنت كاتب مقال عن
" شريف أمين " . . في العدد الإِسبوعي ، أنا شُفّته قبل الطبع . .
ماكانش فيه السطر قبل الأخير ده كلّهُ . . قالها ولوّح بالجريدة في
عصبية . .

نظر علاء للمقال حين أردف جلال : عندك تفسير؟؟ إيه موضوع ابنه اللي عنده قرية سياحية في الساحل الشمالي؟ وإيه موضوع سفريات باريس الترفيحية على حساب السفارة دي كمان؟؟ الكلام ده إنصاف بعد ما شُتت المقال . . الكلام ده إنت جيتنه منين؟ وبعدين إيه اللي دخل ابنه في الموضوع؟ إنت بتتكلّم عن "شريف أمين" يعني تركّز على "شريف أمين" . .

رد عليه علاء بأعصاب بدت هادئة : الخبر ده عرفته قبل ما المقال يطبع بنص ساعة . . ما كانش فيه وقت أوريّه لحضرتك . . سبق صحفي وهضيف للموضوع كثير ، موثّق بصور عقود ملكية . وبعدين الكلام ده ما خرجش عن روح المقال ده ، بيكمل الموضوع . . .

قاطع جلال وقد هدأت نبرة صوته تماماً : أقعد يا علاء . .

حدق علاء في وجهه لثانيتين ثمّ جلس . .

لم يكن أبداً الوفاق ثالثهما . . كان دائماً الشيطان . . مع اختلاف المهمة . .

جلال : بّص يا علاء . . إنت ما ينفعش تكتب حاجة من غير ما أشوفها . . مش كل حاجة نعرفها بنكتبها ، وبعدين أنا اللي في الوش . . لو حصل حاجة أنا اللي بواجه الناس كلها . . ده واحد . . اتنين . . من إمتى بيتنشر مقال من غير ما أقرأه؟

علاء : حضرتك قريرته . .

جلال: ما تقاطعنيش . . أنا مش بسألك ، أنا بأكد قاعدة سيادتك
نسيته . . كلمة واحدة تطلع من غير ما تعدى عليا مش قادر
أحدّد رد فعلى هيكون إزاي . .

علاء: أنا عايز أصحّح لحضرتك معلومة . . أولاً الخبر ده أنا متأكد منه
مية المية . . ثانياً . .

قاطعه جلال: مفيش حاجة اسمها مية في المية . . عندك مصدر؟

علاء: أيوه فيه مصدر ، أنا مش متعود أفبرك . .

جلال: مين مصدرك؟

علاء: واحد في الوزارة . .

جلال: اسمه إيه؟

علاء: أظن ده مش مهم . . المصدر لازم يفضل مجهول عشان يفضل
مصدر . .

جلال: إنت مش عايز تقولى مصدرك إيه . . متوقّع منى إزاي إنى
أصدق إنك ما فبركتش . .

علاء: حضرتك مُصمّم إنى بفبرك أخبار؟؟

جلال: مصدرك مين يا علاء؟؟

علاء: واحد من الوزارة عنده . .

هوى جلال بقبضته على المكتب: أنا ما مجبش التكرار . . أنا بأفهم من

أول مرة . . إدينى أسماء . . أنا مش بلعب معاك هنا . . الخبر ده ممكن يأتّر

أبى مصداقية الجرنال . .

علاء: ده على إفتراض إنّه غلط . . مش كده . .

جلال: غلط أو حتى صح، إنت نشرت حاجة من غير إذني . . الخ
بِيفْضَلِ إِشَاعَةِ إِلَى أَنْ يَتَمَّ تَأْكِيدُهُ وَحَضْرَتِكَ مُصَمِّمٌ مَا تَعْرِفُنِيهِ
المصدر . . كده إنت بتأكد لي إن فيه حاجة غلط . .

جزء علاء على أسنانه: حضرتك مفيش داعي للزعيق . . فيه زملاء أكا
سامعين . . مصادري مش متعود أكشفها وحالف على ده .
الراجل ده هيتقطع عيشه . . عنده بيت مفتوح . . وبعدين أدا
مستغرب، هو حضرتك مُهْتَمٌ ليه بشريف أمين وموضوع ابنه ده
بالذات . . حضرتك طول عمرك بتهاجمه، إيه اللي جاب
حضرتك كُنت بتشتم أخباره، والخبر كان ينزل من أي مصدر إ
شالله يكون ناس بترعى على القهوة . . لو حضرتك جتلك
المعلومة دى . . كُنت هتجججها؟؟ أشك . .

كان الرد ضربة أخلت بتوازن "جلال" الذي أجاب مُتصنِّعاً الهدوء .
مُحَاوَلًا غَلَقَ الْمَوْضُوعَ: على العموم أنا مش هتكلم معاك دلوقت
الموضوع ده ما يتكرررش . . أنا هراقب شغلك إنت بالذات . . مفهوم . .
و في مُحَاوَلَةٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ، رَكِبَ جَلالُ فِيهَا دَوْرَ الْأَبِ الرَّاعِي: إن
مش عارف مصلحتك يا علاء . . إنت لسه صغير . . أنا كُنت محضراً
مُفَاجِئَةً، إنْت بوظنتها بتسرُّعك . .

تأمل علاء وجهه مُحَاوَلًا فِهْمَ الْمُنَاوَرَةِ . . كان يعرف عادته في قل
الترابيزة على خصومه . . أشعل جلال سيجارة بولاعة بنزين جديدة بدا
التي فقدها، وأخذ يقفلها ويفتحها . . كان يُرتب أفكاره . .
ينتظر إجابة: إيه رأيك في صفحة التعليم؟؟

علاء: مش فاهم؟؟

جلال: عايز بروفة منك لصفحة التعليم الإيسبوع اللي جاى . . لو
طلعت كويسة همسكها لك . .

علاء: ده امتياز والا استبعاد . .

جلال: نظرية المؤامرة أكلت دماغك . . أنا مجاول أعلى شغلك يا بنى
آدم رغم إنك غلطان . . عندك عقدة اضطهاد . . بقولك
همسكك صفحة التعليم وإنت تقولى استبعاد؟

علاء: هو من إمتى حضرتك لما بتغضب على حد بترقيه؟

جلال: دى مش ترقية . . ده تكليف . . وأنا شايف إنك هتقدر تخرجها
بشكل كويس . .

علاء: أنا ماليش في سكة التعليم و حضرتك عارف . . أنا بكتب سياسة
ومجتمع . .

جلال: هو التعليم بقى عيب . . دى فرصة تغير وتشوف عالم تانى . .
يمكن تلاقى نفسك فيه . .

علاء: آسف . .

جلال: يعنى إيه آسف . . الجرنال ده بتاعى وأنا مسئول عنه وأعرف إيه
اللي يمشى وإيه اللي مايمشيش . . مش هتيجى إنت تعلمنى . .
إنت فاكر نفسك عشان كتبلك كام مقال خبطت فيهم في ناس
كبيرة خلاص بقيت اسم . . فوق يا حبيبي وإنزل على
الأرض . . إنت بتكتب عشان أنا سايبك تكتب . . الجرنال ده

إنت من غيره اسم على ورقة ملفوف فيها سندوتشات طعمية
فاهم!

كان جلال ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر . . يسعى إليها بأسلوبه العا
الذي تعود عليه . . يُحاصر خصمه في ركن رُقعة الشطرنج . . يستفزّه حد
يفقد السيطرة ويتخذ طريقه برجليه للفتح الذي أعد له . .

قام علاء بهدوء شديد : أستاذ جلال مفيش داعي للطعمية والفوا
والكلام ده . . حضرتك تقدر تعتبرنى مُستقيل . . شوف
يستلم منى الشغل . .

جلال : مُستقيل ليه؟ إنت مرفود . . وليا كلام مع نقيب الصحفيين . .
توجه علاء للباب : مش فارقة . .

جلال : ماشى . . هنشوف مش فارقة إزاي . .

كش ملك . .

رفع جلال سماعة التليفون وطلب رقماً غاية في التناسق . .

جلال : صباح الخير . . محفوظ؟ . . جلال مُرسى معاك . . أهلاً يا حبيب

إزيك . . الله يخليك . . شريف باشا أمين موجود . . شكراً

حبيبي . . موسيقى مُملّة . . ألو . . صباح الخير شريف

باشا . . الحمد لله . . بخصوص العدد اللي فات يا باشا . . المُشاة

إتحلت خلاص . . ده أنا حتى مشييته والله . . هو كان مُشاغ

وبيشغل بدماعه . . ما يقدرش يا باشا . . هو عارف ، وبعد

تليفون للنقيب يُقعد في بيتهم ، مايشوفش الشارع تانى . . يا باشا

أنا اللي آسف لإزعاجك . . آه ، ما هو ده الموضوع الأساس

اللي بكلم حضرتك عشانه . . المصدر عند سيادتك في
الوزارة . . مصدر مُطَّلَعٌ قُرَيْبٌ . . مستواه المادي ضعيف وعنده
أولاد . . مش هيقول إسمه ده إنسان فاشل وعاش في الوهم . .
سيادتك ما تقلقش مفيش جرنال هيرضى يشغله . . سيب
الموضوع ده سيادتك عليا . . آه . . الموضوع الثاني هنبدأ فيه
الإسبوع اللي جاي . . تحياتي يا فندم . . مع ألف سلامة . . في
رعاية الله . . مع السلامة . .

أغلق الخط، ثم طلب رقماً آخر وهو يعث بأصابعه في الظرف الأصفر
الله حتى أتاه صوت المتكلم من الجانب الآخر: الو . .

جلال: صباح الخير . . أكلم إبراهيم بيه شافع والله . . أنا "جلال
مُرسى" . . موسيقى . . صباح الفل يا باشا . . حمد الله على
السلامة . . إيه أخبار لندن؟ الله يخليك يا باشا . . ليا عند
سيادتك خدمة . . فيه ولد كان عندي اسمه علاء جمعة . . أيوه
هو يا باشا . . الواد ده عمل لي مشكلة كبيرة مع أحد المسؤولين
هقول لسيادتك على إسمه بعدين . .

رفع جلال الظرف الأصفر إلى النور مُستشفاً محتواه: لأ هو
Already مشى . . أنا عايز أقرضه من ودنه . . يقعد في البيت شوية وقت
. . نسوه بغلظته . . اسمه علاء جمعة . . علاء حسين السيد جمعة . .
. . ابعت ل حضرتك بياناته على الفاكس . . مُشكراً أوى يا باشا . . في رعاية
الله . . في رعاية الله . .

انتهى من المكاملة، وتناول خنجراً صغيراً يغذ به الجوابات . . فتح الظرف
الأصفر وأفرغ محتوياته . .
كانت هناك ورقة مطوية وظرف آخر أبيض . . فتح الورقة . . صفحة
بيضاء إلا من عدة أسطر في الوسط مكتوبة بخط صغير استدعت نظار
القراءة من جيبه . . لم يكن خط يد . . كان مكتوباً على الكمبيوتر . .

عندك فرصة تصحح فيها غلطة قديمة . .

إبريل ٢٠٠٥ . . حادثة بار فير تيجو . . كان فيه طرف ثالث . .

الطرف اللي نفذ الجريمة . . الصور في الظرف الأبيض . . انشرها واطل
فتح التحقيق مقابل صور ليك معايا . . جرايد كتير تتمنى تشوف الجانب
المظلم لجلال مرسى . . سبق وإتقابلنا في الكازينو . . مش هتفتكرنى . .

هرب الدم من شرايين جلال الذي لم يملك وقتاً للتفكير . . مزق الظرف
الأخر بيديه وأخرج محتواه . .

قلب الصور بعصية . . كانت صامدة . . لم يتخيل الإحساس بتلك
الجمرة الحارقة بين يديه . .

كان يُشاهد آخر صورة، عندما سقطت ورقة صغيرة محشورة به
الصورة الأخيرة والتي قبلها؛ مكتوباً فيها ملحوظة: فيه عينة من صورك
مكتبة الشروق . . قسم التاريخ القديم رابع رف . . خامس كتاب علم
الشمال . . سقوط الدولة الفاطمية . . الكتاب ده عليه طلب ☺ . .

أفرزت الغدّة فوق الكلوية جرعة مُضاعفة من هرمون الأدرينالين . . قبل أن يقفز جلال من مكانه إلى الباب وقد دس الصور بالظرف الأصفر، وخرج إلى السكّرتيرة التي كانت مُنهمكة في الكتابة على الكمبيوتر: ماهيتاب . . مين اللي جاب الظرف ده؟

ماهيتاب: فيه حد سلّمه للسيكيوريتي بعد الساعة عشرة إمبارح . . لم ينتظر أن تسأله عن جحوظ عينيه وقطرات العرق التي أغرقت وجهه لتصنع بركة على ياقة قميصه . . فيه حاجة يا أستاذ جلال؟؟ كان قد انطلق كالمجنون إلى الخارج . . قطع المسافة بين مكتبه وميسدان طلعت حرب في دقيقة . .

دخل مكتبة الشروق . . أخرج الورقة الصغيرة بعد أن تجاهل عامل المكتبة الذي هلّل لقدمه . . قسم التاريخ القديم رابع رف . . خامس كتاب من على الشمال . . سقوط الدولة الفاطمية . . جذبه جلال وقلب صفحاته بسرعة حتّى وقعت عيناه على صورة . . صورة له مع فتاة في الكازينو . . لم يدقّق فيها كثيراً . . كان يعرفها . . حاول أن يتمالك نفسه . . أمسك بساقي كتب سقوط الدولة الفاطمية . . فرّها كلّها . . تأكّد من خلّوها . . سأل أمين المكتبة إن كان هناك أحد قد اشترى هذا الكتاب أو سأل عنه مُنذ الأمس فأجابه بالنفي . . غادر المكتبة . . توقّف أمام تمثال طلعت حرب ينظر إلى المارة في الميدان الصاخب . . كان يشعر بحضور طاع لذلك الذي يلعب بأعصابه بمنتهى الهدوء . . أخذ يتأمّل كلّ من ينظر إليه كأنه صاحب الصورة التي قلبها بين يديه وأخذ ينظر إلى العبارة المكتوبة خلف الصورة . .

" مش قُلت لك إن طبّاخ السّم هيدوقه " . .

١٥ : ٦ . . صباح اليوم التالي . .

رين هاتف محمول يدوى في عُرفة نوم هادئة . . رأس مُبعثرة الشعر مدّت
١.١. تتحسّس الكومودينو حتّى عثرت على ضالّتها . .
كانت هناك عبارة رقم خاص توّمس برتابة . . ضغط الزر الأخضر
، أجاب بصوت مبّحوح : ألو . .

الصوت : صباح الخير يا مُصطفى . .

مُصطفى : صباح الخير يا فنّدم . .

الصوت : أنا في الإدارة . . تقدر تيجى في قد إيه؟

مُصطفى : تلت ساعة . .

الصوت : ما تتأخرش . .

٤٥ : ٦ صباحاً . .

قرع مصطفى عارف باب مكتب صفوان البحيرى بعين حمراء من أثر نوم
ام يكتمل : ادخل . .

كان ذلك صوت صفوان الذي جلس بقميص مفتوح ، ورابطة كرافت
سكوكة تتدلّى منه كحبل المشنقة ، يتأمّل صوراً موضوعة أمامه على
الكتب . .

مُصطفى : صباح الخير يا فنّدم . .

صفوان : إزّيك يا مُصطفى . . تعالى . . أقعد . .

مصطفى وهو يجلس : فيه إيه يا فندم؟ حضرتك قلقتنى . .

صفوان : عملية ٦٣ . .

مصطفى : البار؟؟

صفوان : فيه شاهد صور اللي حصل . .

مصطفى : صور إزاي يا فندم . . الأهداف كلها صفر . .

صفوان : صور من مبنى تانى . . صور كل حاجة . .

أخرج صفوان من مكتبه ظرفاً أبيض ألقاه أمام مصطفى . . التقطه الأخير

وأخذ يُطالع الصور بعين دب فيها نشاط مُفاجئ : الصور دى وصلت إزاي

يا فندم .

صفوان : جلال مُرسى . . من حظنا إن الشاهد بعث الصور دى عليه

إمبارح . .

مصطفى : يعنى الشاهد في إيدنا؟

صفوان : لأ . . للأسف دى عملية ابتزاز . . الشاهد غير معروف . .

مصطفى : وإيه علاقة جلال بالموضوع؟

صفوان : الشاهد عنده صور لجلال . . إنت عارف ملقته وسخ . .

موضوع البنات الصُغيرة ده . .

هدده لو ما نشرش الصور هيبعت الصور دى لجُرنال تانى مع صورته . .

كان مصطفى يتأمل انعكاس صورة القائم بالعملية من رجاله في المرأة :

المشكلة كلها في صورة " طارق " . . لو إنتشرت الصور دى الدنيا

هتتقلب . .

صفوان : القيادة ما خدّتش خبر لسه . . وقتنا ضيق جداً . . لازم
نتصرّف . . الكازينو اللي بيقد فيه لازم يتغرّبل . . جلال كمان
قال إن فيه واد صحفي عنده اسمه " علاء جمعة " . . طرده من
الجُرّنال وفيه عدااء شخصي حاصل ما بينهم . . هو شاكك إن
الواد ده هو اللي ورا الصور دى . . مُمكن يكون هو اللي
بيلاعه . .

مُصطفى : ولو طلع هو يا فندم؟

صفوان : يختفي . . هو وصوره ومصدره لو فيه . . ما فيش وقت يا
مُصطفى . . ولو تطلّب الموضوع إن جلال كمان يختفي ؛ يختفي
لو هيكون السبب في تعطيلك . . طارق فين دلوقتى؟

مُصطفى : في راحة يا فندم . . مسافر إسبوعين الساحل الشمالي . .

صفوان : مش لازم يعرف . . إلا لو حصل حاجة يبقى فيه كلام تانى . .

مُصطفى : هو يا فندم أعصابه تعبانه أوى . . كلمني قبل ما يسافر . .

عايز يتنقل عمل إداري . .

صفوان : مش وقته دلوقتى . . مد الأجازة بتاعته لغاية ما نشوف المُصيبة

اللي عندنا دى . . يمكن ما يرجعش الشغل خالص . .

مُصطفى : أو كيه . . سيادتك تؤمرني بحاجة يا فندم؟

صفوان : أنا مش همشى من المكان ده بفضيحة بعد كُل العمر ده . . لو

الموضوع وصل لتصفية صفى . . مفهوم يا مُصطفى؟؟ الشغل في

نطاق ضيق أوى . . مش عايز جنس مخلوق يشم . . أنا لو مشيت

من المكان ده إنت كمان هتمشى . . إفتكر دى كويس . .

هز مُصطفي رأسه بتفهّم : ما تقلقش يا فندم . .
انسحب مُصطفي خارجاً بعدما ترك صفوان الذي أخذ ينظر إلى نتيجة
المكتب . . لم يكن باقياً له إلا سنة . .
سنة ويخرُج من الخدمة . . كان يُعد نفسه لخروج مشرف . . للعمل في
شركة البترول بمُرتب عشرة أضعاف . . الراحة وتربية الأحفاد والاستمتاع
بالامتيازات ، إلا أن دُخاناً كثيفاً أخذ يملأ صدره . . شعور يتصاعد بداخله
بأنه لن يكمل حتى أسبوعاً واحداً . .

في الساعة الرابعة والنصف من ذلك اليوم كان أحمد واقفاً أمام محل زهور
" ياسمينا " القريب من الجاليري . . جاليري كيريشن . . استغرق تصفيف
شعره حوالي ساعة إلا ربعاً عند الحلاق . . وضع بعدها نصف برطمان
الجيل فوق شعره ليقهره على الاستسلام لاتجاه المشط . . لبس القميص
الأسود السذي يُشبه كثيراً قميص " عمرو دياب " في فيديو كليب
" قمرين " . . لَمع حدائنه البنص السوداء ، ولم ينس الساعة وبرفان
" HUGO " المضروب . . وضع سجائره الكليوباترا بداخل علبته
مارلبورو . . أخذ يتخذ الأوضاع في المرآة كبروفة للوقفة أو الجلسة التي يريد
عادة أن تراه عليها أول مرة . . بدا وسيماً . .

بعدها بقليل وأمام محل الزهور كان يُمسك في يديه وردة حمراء وعيناه لا
تتحركان عن الاتجاه الذي ستأتي منه عادة . . حتى أخذت السيناريوهات
تتزاخم في رأسه . . استبعد منها النهايات الحزينة وأخذ يسبح في خيال
الخصب مُصطنعاً وقفه تُشبه وقفة " عمرو دياب " في أحد الشرط ، ساندا
برجله اليمنى على سيارة مركونة ليبدو " ولد تقييل " . . أخذت العقارب

تتحرك ببطء . . كان يشعر بإثارة وتشويق شديدين . . انقضت نصف ساعة ودخل أحمد في الوقت البدل الضائع عندما لاح شبح من بعيد . . شبح مألوف . . اقتربت تلك الفتاة ليكتشف أنها ليست عادة . . لم تكن جميلة مثلها وإن كانت تُشبهها في الجسم من بعيد . . أصبحت الخامسة والنصف . . ربما تأخرت في العمل . . لماذا لم يكتب لها رقم تليفونه؟ غبي!!

هكذا كان يُردّد لنفسه . . السادسة . . دبلت الوردة في يديه . . جلب صاحب محل الزهور كرسيًا وجلس أمام مصدر رزقه يُدخّن الشيثة . . أصبح وراءه . . لم يكن أحمد يشعر بارتياح من شيئين، أولهما عين المراقب، وثانيهما لا يتذكره حاليًا . . أخذت تلوح من بعيد الفتاة تلو الفتاة كأنهن قطرات المياه من صنوبر غير مُحكم الغلق . . عتمة الليل بجانب كشف نظارته العتيقة التي آن ميعاد تغييرها جعلت الشارع كُلّه غادات . . السابعة . . لم تأت . . أخرج صاحب المحل كرسيًا آخر ودعاه إلى الجلوس :

أعد يا أستاذ إنت واقف من بدرى . . مستنى حد؟ طب عايز تليفون؟

كم تمنى نيزكا من السماء يهوى في قلب المحل ليحوّله ترابًا . . أو حتى هجومًا إرهابيًا بصاروخ كروز على رأس هذا المتطفل الذي يتكلم بسخرية، أو هكذا شعر أحمد وهو ينظر في ساعته للمرة الثالثة . . بعد الألف . . منذ وقف . . لن تأتى . . قال لنفسه . . ستأتى . . أيضًا قال لنفسه . .

رمى السوردة وأشعل سيجارة . . الثامنة والثلاث . . هل يذهب المجاليري؟ عليها محبوسة أو معاوية ووجهها للحائط ويدها مرفوعتان . .

لا .. لعلها رفضت .. لعله لم يعجبها .. لعلها مرّت بسيارة مع صاحبها
لها وأشارت إليه

فضحك: يا غادة إيه المنظر ده!! جمبريانية بنظارة!!

صوت ضحكات رنّانة وصدى صوتهن يتعالى .. بدأت سيناريوهات
هيتش كوك^(*) "المربعة تُحقّق الإيرادات في رأسه .. ساعدت حتى ٦٠ إن لم
تأت سامشي ..

٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، .. ساعدت حتى ٣٠٠ ..

أصبحت العاشرة ..

لن تأتي ..

سيشمت ذكر الفقمة كثيراً ..

.....

(*) مخرج أمريكي ظهر في فترة الخمسينيات، قدم سلسلة من أهم أفلام الرعب أشهرها

فيريديو سنة ١٩٥٨!!

ما جانا اتش؟؟

أحمد: أيوه . . . ماجاتش . . .

كانا يجلسان على قهوة ليالينا كعادتهم اليومية . . .

عمر: أنا كُنت عارف . . . مش قُلتلك يا إبنى . . .

أحمد: خلاص مش فيلم هي . . . وبعدين مُمكن يكون فيه حاجة

حصلت . . . إيش عرفك . . .

عمر: صبر نفسك إنت بس . . . أنا لو مكانك أولع في نفسي بصراحة . . .

ما كُنتش سايب رقم التلفون؟

أحمد: لأ . . . وفُضَّها سيرة بقة . . .

عمر: طب ما يمكن عدت عليك وما خدتش بالك؟؟

أحمد: أنا آه نظري ضعيف بس مش ضرير . . . مفيش بنت عدت ما

شُفتهاش . . .

عمر: يَلله . . . آل يستنى عند محل الورد لغايت ما يجيلوه البرد . . .

أحمد: ماشى يا ست الحاجة . . .

عمر: المهم تفتكر إيه أخبار صاحبنا؟

أحمد: زمانه موع دلوقت . . . مش هينام . . .

عمر: نكلّمه بكرة في التلفون . . . ناكل دماغه . . . مش كُنا طلبنا منه

خسبناية نظبنا شوية أنا وإنت . . .

أحمد: كده نبوظ المقلب . . إتأل على الرز.

عُمر: تفتكر هيعرف مين؟

أحمد: يا إبنى الصورة من غير فلاش وخليناها كواليتى صورة موبايل
وضيعنا تفاصيلها كمان . . هيقول واحد من اللي كانوا في ترابيزه
جنبه . . مَحّه مش هيجيب . . اللي بيبقى عايش مع واحدة بيبقى
خارج نطاق الخدمة . .

كان عقله لا يغفل مستر دراكولا . . الشاهد الوحيد عليه وهو يلتقط
الصور . . لكن شيئاً ما في صدره جعله يثق في أن هذا الكيان الثقيل لا ينوى
الأذى . . لو كان ينوى لفعل من البداية . .

عُمر: هتكلمه مين؟

أحمد: من آخر مكان يتخيله . .

بات أحمد ليلته مُتقلّب المشاعر ما بين سعادة بالخبطة السينمائية التي
اقتبسها من فيلم " أعرف ماذا فعلت الصيف الماضي " ونفّذها مع جلال،
وبين شعوره تجاه تجاهلّ عادة له . . كان أكثر ما يُرهقه نفسياً هو عدم معرفته
رد فعله تجاهها . . أيعاود الكرة أم ينسحب؟ هل حدثت مشكلة منعتها من
المجيء؟

كان شيء بداخله يلتمس لها العُذر . . لم تبد قاسية أو مُتكبّرة . . أخذ
يُقلّب الأفكار حتّى ثقلت جفونه . . غداً سيكون يوماً حافلاً . .

انقضت الليلة وذهب أحمد في الصباح للأستوديو كعادته . . كان ذهنه
أكثر صفاءً من ليلة أمس . . مُتوتراً لكنّه هادئ . . أخذ يلتقط الصورة وراء
الصورة بزاجٍ رائعٍ مُنتظراً نهاية اليوم . . صورة للبطاقة . . صورة للعمل . .

.. ورة باسبور . . كارت فيه بنت ترفع شعرها لأعلى ، متخيلة نفسها نجمة
اللاف ، وأخرى تضع يدها على خدّها راسمة الرومانسية على وجهها ،
الثالثة مع صديقها المتظاهر بوضع يده على كتفها ولا تكاد أصابعه
تلامسها . .

عند السادسة والنصف كان أحمد وعمر يتوجّهان إلى وسط البلد . . مقر
رنال الحرّية . .

عمر : إنت متأكّد إن اللي إنت هتعمله ده أو كيه ؟

أحمد : بطل قلق . . ما توترنيش معاك . .

عمر : الراجل ده مش سهل . . أكيد بدأ يتحرّك . . مش هينام . .
بص . .

كانا أمام مقر الجريدة الذي يقف أمامه بوكس وضابطان يحملان النجوم
والنسور . .

أحمد : جلال فعلاً إتحرّك بسرّعة أوى . .

عمر : هتعمل إيه؟؟

أحمد : إمشى زى ما إنت . . تعالى نطلع على التحرير . .

قهوة التحرير . . قهوة كبيرة يتمركز فيها سرب من "الخرّية" لا
نضارعه في الكم إلا سرب الجراد . . الخرتية هم مرافقو السيّاح ممن لا يحملون
شهادات أو تراخيص . . يُصاحبون السائح خلال مدّة إقامته . . يُفصلون
له . . يوفرون متطلّباته من زيارة أماكن سياحية . . شراء تذكارات من
البازارات أو حتّى آثار حقيقية إذا كان الزبون من مدمني المصريات . . توفير
الخمور والمخدّرات والجنس إذا لزم الأمر . . مرافقة السائحات اللاتي يأتيين

وحدُّهُنَّ بلا رَجُلٍ ، ومُعاشرتُهُنَّ كما يَتَمَتَّينَ . . كُـلُّ ما يَشْتَهِيهِ السَّانِعُ
مُتَوَفِّرٌ . . مُتَّاحٌ ما دَامَ يَدْفَعُ ، مَهْمَا كَانَتْ طَلْبَاتُهُ تَبْدُو غَرِيبَةً أَوْ شَاذَةً . . غـ
اِقْتِطَاعُ العَمُولَةِ مِنَ البَازَارِ والمَطَاعِمِ أَوْ الفَنَادِقِ أَوْ مِنْ سَائِقِ التَّكاسِي المَوْجِرِ
لِلسَّائِحِ . . الضَّعِيفِ فِيهِمُ يَتَكَلَّمُ أَرْبَعَ لُغَاتٍ . . كَانَتْ القَهْوَةُ تَمُوجُ بِهِمْ مَعَ
سَائِحِيهِمْ . . لُغَاتٌ تَتَلَقَّى كاجْتِمَاعَاتِ الأُمَّمِ المُتَّحِدَةِ . .

بَدَأَ أَحْمَدُ وَعُمَرُ غَرِيبِينَ وَهَمَّا يَجْلِسَانِ فِي أَقْصَى الأَيْسَارِ مِنَ القَهْوَةِ يَحْتَسِيانِ
الشَّايَ . .

عُمَرُ : شُفْتُ مَشَ قُتْلِكَ . . الرَّاجِلِ طَلَعَ إِبْنَ أَرْوَبَةَ . .
أَحْمَدُ : كُنْتُ مُتَوَقِّعٌ دَه . .

عُمَرُ : كَبَّرَ دِمَاغَكَ بَقِيَ مِنْ مَوْضُوعِ التَّلِفِيفُونَ دَه . .
أَحْمَدُ : مَشَ عَايِزُهُ يَطْمَنُ وَيَهْدَأُ . . عَايِزُهُ يَحْسُ إِنْ اللَّيْلِ بِيَلَاعِبِهِ أَقْوَى مِنْهُ
وَمِنَ اللَّيْلِ يَحْمُوهُ كَمَا نَ . . يَحْسُ لِمَرَّةٍ إِنَّهُ مُهْدَدٌ . . الصُّورَةُ
مَعَاكُ؟

عُمَرُ : مَعَايَا . . هَتَعْمَلُ إِيهِ؟؟

أَحْمَدُ : إِسْتَنَانِي هُنَا . .

قَبِضَ عُمَرُ يَدَ أَحْمَدَ وَهُوَ يَقُومُ : أَحْمَدُ المَوْضُوعُ فِيهِ بُولِيسٌ مَا تَسْتَهْتَرُش .

فَهَمْنِي هَتَعْمَلُ إِيهِ؟

أَحْمَدُ : مَعَاكَ مَنَدِيلٌ؟

أَخْرَجَ عُمَرُ مَنَدِيلًا مِنْ جَيْبِهِ وَنَاوَلَهُ لِأَحْمَدَ : حَاسِبِ عَلَيِ الشَّايِ وَعَدْتِي
النَّاحِيَةَ التَّانِيَةَ . . نَاحِيَةَ كَوْبَرِي قِصْرِ النِّيلِ وَإِسْتَنَانِي . . خَلَّى
عَيْنَكَ عَلَيَّا . .

أخذ أحمد الصورة والمنديل ، وقام يتمشى بهدوء ، في حين غادر عمر
السهوة إلى الرصيف المقابل . .

وصل أحمد إلى كابينة تليفون عمومي بعيدة نسيّاً عن القهوة . . أخرج
نارت المينائل ووضعها في التليفون . .

طلب رقم جلال وهو يمسخ الصورة من البصمات . . ويضعها في ظرف
سفير أبيض . .

سمع الجرس أربع مرّات قبل أن يأتي صوت جلال : ألو
غير أحمد من نبرة صوته ليبدو غليظاً : مساء الخير . . أستاذ جلال
رسي؟

أنت نبرة جلال حادة : مين معايا؟

أحمد : ما كنتش أعرف إن الموضوع صعب عليك كده . . سبق صحفي
جايلك لغاية عندك زى اللوزة المتأثرة . . لو نشرته ؛ صورك
مش هتشوف الشمس . . لزمته إيه الموضوع يكبر ويخش فيه
ناس كثير؟ إنت كده بتأذي نفسك . .

جلال : على فكرة اللي إنت بتعمله ده هيوديك في داهية . . هأنصحك
نصيحة . . إهرب . . إهرب بأقصى قوتك عشان لو لقيتكم . .
مش هتخيل كم الألم اللي هتشوفه . . أنا كمان . . .

سكت لحظة باتراً كلامه كأن أحداً يلقنه شيئاً ثم أكمل : أو نتفق . .
استشف أحمد ما سيحدث فأجابه : مفيش بيني وبينك اتفاق . .

جلال: تعالیٰ نتقابل ونتكلّم . . مُمكن يبقی فیہ لقمۃ عیش حلوه
لیك . . بلاش غباء . . فتح مواضيع شایکة زى دى مش !
سلطتي . .

لم یسمع أحمد تلك الجُملة . . كانت السَماعة موضوعة فوق التليفون
العمومي . . غیر مُغلقة . . تحتها ظرف أبيض وولاعة جلال التي أخذها منه
في الكازينو . . كان أحمد في تلك اللحظة يعبرُ الشارعِ إلى الرصيف المُقابل
للقهوة ليقابلُ عُمر . .
عُمر: عملت إیہ؟
أحمد: هتسوف . .

في تلك اللحظة من شارع قصر النيل ، ظهرت أنوار زرقاء مُقطّعة .
أخذ دويها يقترّب في سُرعة حتّى خرجت إلى ميدان التحرير ، مشت عكس
الاتجاه ، ووقفت أمام كابينة التليفون . . التليفون الذي تركه أحمد من
دقائق . . خرجت مجموعة من الضباط وانتشرت في القهوة وبين الناس .
وآخرون أخذوا يفحصون الكابينة . . وأحدُهم التقط الظرف والولاعة . .
أحمد: زى ما تحلّيت . . كان مراقب التليفون . . يلله بينا . .

عُمر: دقيقة كمان وكُنّا هنضع الله یخرب بيتك . .
لكزه أحمد وهو یشير لتاكسي: ما تقلقش . . هو مخروب خلقه . .
تحرك التاكسي ، في حين ظل أحمد ينظر من الزجاج الخلفي يتابع ما
یحدث . . كانت هناك رُتبة كبيرة من حملة النصور والسيوف تخطف الظرف
من يد نقيب صغیر السن قبل أن یفتحه ، في حين وصلت سيارة نزل منها
جلال في عَجالة . . كانت يدها تتحركان في عصبية وهو يتكلّم مع اللّوا .

الذي أمسكه من مرفقه، وابتعد به عن بؤرة النور . . وقبل أن يندس
الأكسي في الزحام لمحاه أحمد . . كان جالساً على قهوة بجانب كايينة
الليفون . . مهنّداً مُنمّقا في بذلة بيضاء . . يدخن سيجارته مبتسماً لأحمد
الذي غطس في الكنب الخلفية متوارياً عن ملك الخواتم . . صاحب حرف ال
"؛ حين اتخذ التاكسي طريقه للمنيل . .

بعد قليل، كان جلال قد عاد إلى مكتبه في الجريدة . . أخذ الغراب
الأسود يحوم وحيداً فوق رأسه في عُرفته . . لا يجد من يدفنه ليتعلم منه جلال
كيف يوارى سوء أحدهم . . كان مهموماً أشدّ الهم . . شعور من علم
وجود ورم خبيث ينتشر في جسده . . صرف كُلم من حوله . . موظفي
الجريدة والشُرطة . . كان يحتاج إلى ترتيب أفكاره وخطواته القادمة . . أخذ
سحّ الولاة ويُغلقها كما تعود . . ولاعته التي رُدّت له . .

اقتربت الساعة من الثانية عشرة والرّبع عندما رن جرس تليفونه . .
جلال: ألو . .

صوت: أيوه يا جلال . .

جلال: مساء الخير يا باشا . .

صوت: شُفت العك اللي إحنا عايشين فيه بسببك؟

جلال: يا باشا طب وأنا ذنبي إيه؟

صوت: صورك الوسخة . . طب إدّارى . . مبسوط بنفسك أوى؟!!

جلال: ده كان من زمن . .

صوت: أهى طلعت دلوقتي . . قولّى لو حصل حاجة دلوقتي أتصرف

معاك إزّاي . .

جلال : أنا مُستعد أعمل أي حاجة . . من بكرة هعمل حملة عن الصور
المزيفة عن طريق الكمبيوتر . . مش هسكت . . كده كده اللي
يلعب معايا ده هيقع في غلطة . .

صوت : وإحنا المفروض نستنى الغلطة منه؟؟

جلال : أنا آسف يا باشا . .

صوت : جلال إحنا عملناك . . عارف يعني إيه؟ يعني مُمكن في أي
لحظة نرجعك تاني كما كُنت . . دي آخر حاجة أقولها لك . .

الباشا تائر جداً . . لو الموضوع وسع انسحب إنت بكرامتك ، ما
تضطرنيش أتخذ معاك أنا شخصياً إجراء ، ويمسك مكانك واحا.
ماسك نفسه كويس . .

جلال : اللي تشوفه سعادتك . .

أغلق السماعة ، ومال على المكتب يدفن وجهه بين يديه . . كان يعرف
أن موقفه ضعيف . . يشعر بالسكاكين المسنونة تتربص . . بدنو نهايته .
نهاية لن تكون سهلة . . رفع رأسه وأطاح بكل ما كان على المكتب إلى
الأرض . .

لم يبق على المكتب سوى الولاة . .

في المنيل لم تكن الأمور أهدأ : ولاه ، أنا مش ناقص قلق . . ماتعشليش
في دور المناضل . . مفيش حد ما بيغلطش يا عم شيه جيفارا . .

كان عمر يدور في العُرفة حول أحمد الذي ارتقى على المرتبة يقرأ عدداً مر
جريدة " الحريّة " اليومي : لأ وكُنت عايز تكلمه من تحت الجرنال . . قُلت
لك الراجل ده واصل ومش هيسكت . . المرّة اللي جاية مش هتعدى . .

منتفخ . . إنت ما بتسمعش عن اللي بيحصل في أمن الدولة . . لو قفشوا
هتلا ذات نفسه هيعلقوه ويخلّوه يعترف إنّه تبع خلية إرهابية في إمبابة وعابزة
بتلب الحكم . .

أحمد: ملاحظ يا عمر إن الرجل ده محمى من الحكومة نفسها . .
صدقتنى لما قُلتك إنّه مش زى ما يقول إنّه مُناضل شريف ضد
القهر والاستبداد . . وأجهة حاجة أكبر . . كدّاب زفة . . بس
شُفت بقة أنا حسيت إزّاي بالعدر بدرى . . موضوع مُراقبة
التليفون ده . . عيب يا بنى . .

عمر: يا عم جيمس بوند أديك قلقته . . هيفضل متكهرب سنة قُدام . .
طب وبعدين . . طالما بتقول إنّه محمى يبقى هيفضلوا ورا اللي
بيهدّده . . كفاية كده ورحمة أمك . . أنا رجلى سابت النهاردة . .

أحمد: يا سيدى هو حصل حاجة؟

عمر: هو أنا هستنى لما يحصل . . الكلام ده مش هيتغير حاجة . . إحنا
مش هنغير الكون . .

أحمد: يا عمر إهدا . . هو أنا قُلت إنى عابز أغير الكون . . أنا واحد ربنا
بعث له هدية ويستغلّها . .

عمر: دلوقت متهيأ لي عرفت إن الرجل أكيد طبعا مش هينشر الصور
بتاعت فيرتيجو . .

أحمد: أنا متأكد . .

عمر: إيه الحل؟؟

كان أحمد يتأمل مُربّعاً صغيراً في أسفل يسار الصفحة الأولى لجريدة الحرية . .

أحمد: علاء جُمعة . .

عُمر: مين؟

أحمد: إسمع . .

طبّق أحمد الجريدة وأخذ يقرأ الخبر المكتوب بالأحمر تحت صورة لعلاء جُمعة وكلمة تحذير:

تحذير:

تُحذّر جريدة الحرية المُستقلة من التعامل الأدبي أو المادي مع الصحفي علاء حسين السيد جُمعة الشهير بعلاء جُمعة، لما بدر منه من سوء تصرف لنشره أخباراً مُختلفة لا تليق بِسُمعة وشرف الجريدة التي عوّدت قُراءها على صدق الخبر وتقصى الحقائق، وبُناءً عليه قرّرت الجريدة فصله ورفع الأمر إلى نقيب الصحفيين لاتخاذ اللازم، وتُخلى الجريدة مسؤوليتها تماماً ناحية أي إنتاج أدبي أو تصريح يخرُج على لسان الصحفي المذكور . .

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصَرِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦) صدق الله العظيم.

عُمر: وده ناوى تعمل معاه إيه ده كمان؟

أحمد: علاء ده آخر حاجة كتبها كانت في العدد الإسبوعى اللي فات . .

ماشى . . إستنى أنا عندي العدد . .

قام أحمد يقلب محتويات الغُرْفَة حتّى وجده تحت المرتبة : أكيد كتب حاجة مش المفروض تتكتب .. بعدها الجُرْنال طرده!! فيه حاجة ملط .. ٩٠, ٩٩٪ علاء ده أخذ كتف من حد كبير ..

فتح أحمد الجريدة وأخذ يبحث حتّى وجد اسم علاء أسفل مقالة بعنوان " الرجل الثالث " .. مم مم .. آه بُص اسمع آخر سطر .. الموضوع ستكلم عن شريف أمين أخذ أحمد يقرأ بصوت عال : .. هذا بخلاف مجله " حبيب " الذي افتتح قرية سياحية بالساحل الشمالي ورحلاته الترفيهية لأوروبّا على حساب الدولة .. كل تلك المصاريف يتحملها محدودو الدخل المزويح عن أولاد الأكاير .. العاطلين بالوراثة .. ورثة السلطنة ..

عمر : طيب يا عم ، الراجل عمال يخبط في الحليل .. ده كويس إنهم طرده بس .. أقل واجب ..

لم يكن أحمد يستمع لعمر .. كان ينظر إلى ذلك الاسم جيداً .. حبيب .. ابن شريف أمين .. " حبيب أمين " .. رجع بذاكرته إلى آخر ليلة له مع جودة ..

تذكر كلامه وهو يهدئه " حبيب أمين ده تنك حبيتين بس جدع وحاتي .. أبوه إنت عارف .. تقيل أوى .. اللي يلاقي الدلع وما يدلّعش يا سيدى .. حقّه .. " ..

قفز أحمد من على الكرسي .. جلس على الكمبيوتر .. قلب ملفات سوره حتّى وجد ملف فتحي العسال ..

أخذ يمرر الصور أمام عينيه حتّى عشر على واحدة .. صورة لحبيب أمين ..

عُمر: مين ده؟؟

أحمد: مش بقولك . . أنا واحد ربنا بعته هدية . . ده حبيب . .
كان أحمد يُشير إلى صورة تجمع " حبيب " و " فتحي العسال "

و " نانى " . .

عُمر: بتهرج؟!

أحمد: هو ده اللي إتحاق معايا . .

عُمر: الواطى ده اللي ضربك؟ بس بصراحة شكله ابن ناس . . مين المزة

دى بقى؟

أحمد: دى نانى . . صاحبة فتحي العسال . .

عُمر: ثلاثينية . . سبعة وتلاتين بس حكاية . . الدهن فى العتاقى

برضه . . بُص الدراعات يله . . مهلبية . . والصدر إيه ،

أفرو ديت مرات مازنجر ، أم صاروخين حديد . .

أحمد: عُمر . . إنت مركز معايا؟؟

عُمر: فى إيه؟

أحمد: ده حبيب أمين ابن شريف أمين اللي علاء جمعة كاتب عنه

المقالة . .

عُمر: يا نهار اسود . .

أحمد: اسود ليه . . تعالى افتح الفوتوشوب . .

عُمر: قول لى إنك هتعمل فى حبيب اللي عملته مع جلال . .

أحمد: وارد . . ليه لأ . .

عُمر: حبيبى . . ده أبوه شريف أمين . . مش حتة صحفي . . ده

الصحفي قلب الدنيا ، شريف هيعمل إيه بقى . . هيدخل أمريكا

فى الموضوع؟! هتسجن فى أبو غريب . .

أحمد : يله ، إنت جبان أوى على فكرة . .

عُمر : أنا جبان؟؟ أنا خايف عليك . . لو جبان كُنت سيبتك . .

أحمد : أنا معنديش حاجة أخسرها . .

عُمر : إنت حُر . .

جلس عُمر أمام البرنامج وأخذ يستعرض صور حبيب أمين على مر العصور . . صورهِ الحديثة أغلبها في حضور فتحي العسال أمّا القديمة منها سمع شخصيات أخرى مُختلفة وكمية صور لا يُستهان بها مع سالي وبعض الفتيات من المُقيمين الدائمين بالكازينو كدراويش التكية . .

أحمد : يومين الجو بهذا ونشوف موضوع حبيب . . بس الأول بُكرة عندنا مشوار مُهم أوى في الهرم . . وكام مُكالمة تليفون . .

عُمر : إنت ما حرمتش التليفونات دى؟

أحمد : لأ المرة دى ما تقلقش . . خير . . بقولك إيه صحيح ، الواد حسن

إبن عمّتك لسه في السعودية؟

عُمر : آه إيه اللي فكرك بيه؟

أحمد : بيعت جوابات؟

عُمر : لسه باعت جواب من أسبوع . .

أحمد : لسه موجود؟

عُمر : في البيت عند أمي . . ليه هو واحشك للدرجة دى؟

أحمد : لأ أنا عايز الظرف اللي فيه الجواب . .

عُمر : هتعمل بيه إيه؟

أحمد : شاكك في حاجة . . هفهمك بعدين المهم تجيب لى الظرف حالاً

قبل ما أمك ترميه . . بقولك إيه صحيح . . الموبايل ؛ يقدرُوا

يتابعونى بيه؟

عُمر : وارد . . الشبكة دى موصولة بستالايث وكارتك يقدرُوا يحدّدوا
مكّانه بنظام " GPS(*) " . .

في تلك اللحظة ، أخرج أحمد تليفونه المحمول من جيبه : هات ورقة . .
ناولهُ عُمر ورقة . . التقطها أحمد وأخذ يُدوّن فيها بعض الأرقام قبل أن
يفصل بطّارته وينتزع شريحة الاتصال ليكسرّها إلى نصفين . .

عُمر : إشطه . . كده كملت . . هنروح الهرم بكره نعمل إيه بقى؟

أحمد : هنعمل زيارةً للكازينو . . كازينو باريس . .

انقضت الليلة في جدل بين الاثنين حول الخطوة التالية لأحمد الذي

استهوته اللعبة . . لعبة القط والفأر . .

صنع عُمر نُسخة مُنقّحة من الظرف . . فصل الطابع ببخار الماء ، وأعاد
رسم الختم على الفوتوشوب ، ثمّ أضاف اسم أحمد وبعض الشخبطة
والإمضاءات الروتينية التي تتم غالباً في عُجالة ليبدو واقعياً . .

حاول عُمر كبح جماح أحمد الذي أخذ يبنى بعينه قصوراً من الجنون . .

اللبنة فوق الأخرى . . لم يملك حق الشورى معه . . كان الأمر بحق

مُغريباً . . تحدّ لعُمر في إمكانيّته وحكاية وراء كُل صورة . . كثير من الوجوه

التي تعرّت وظهر جانبها المظلم . . لا لمعة في أعينها . . لن يتخلّى عُمر عن

تلك الفرصة . . استسلم وأخذ يعزف على الصور طوال الليل . . نقّحها

وسنّها حتّى باتت نصلاً حاداً . . نصّل يخرق ويقتل . .

.....

(*) Global Positioning System

صباح اليوم التالي . .

كان العمل مكثفًا في الأستوديو . . بداية موسم صور شهادات الثانوية العامة . . انهمك أحمد في الصلاة، لا يخرج منها إلا قليلاً . . يدخل الزبون في ظهر الزبون يحلم بأن يُصبح " تامر حسني " أو " نانسي عجرم " إذا كانت فتاة . . يتناول الصور لعمر الذي يلون العينين بالأخضر أو العسلي . . لون الفتيات المفضّل وبزيت حبتي شباب أو عشرة من تلك الوجوه التي عبثت بها هرمونات النمو والمراهقة لتُصبح البشرة ملساء ثم يضع خلقية مناسبة . . كانت الساعة تقترب من السادسة . . ميعاد تسليم صالة التصوير للوردية المسائية . . أجد . . ذلك الموظف الذي يُحسن دخله الشهري بالعمل في الأستوديو ليلاً عندما دخلت فتاة تطلب صورة . .

إستنى يا أحمد . . صور الأنسة قبل ما تمشى على ما أكمل غدايا . . ذلك كان أجد . . المتأخر دائماً . . يغتصب يومياً ربع ساعة من أحمد، ليتمالك نفسه بعد عمله الصباحي . .

نظر أحمد في ساعته : خليها تفضل . .

لم يعر انتباهاً لوقع الأقدام التي دخلت إلى الصلاة : مساء الخير . . أحمد : مساء النور . . إتفضلي . . دقيقة واحدة . . كان يُعطى ظهره للباب . .

دس أحمد كارت الذاكرة في الكاميرا والتفت ليضبط وضع الفتاة التي
جلست في انتظاره . .

وإذا بتسونامي من النعناع المخلوط بأبي فأس يجتاح ضلوع أحمد . . ذلك
العرق البارد الذي علا جبهته فجأة كندى الصباح على النوافذ إذا رشه أحد
من بخاخة المكواة . . كانت عادة تجلس أمامه . .

جميلة . . ليس كما رآها أول مرة . . كانت أجمل . . بدت متناسقة الملامح
تناسق ورقات الورد، ترتدي إشارياً أزرق جعل وجهها كالبدر . . تجلس
وشيح ابتسامة خجولة تطل من بين شفثيها، في حين نزل السكوت كشبكة
الصيد على أحمد الذي حاول أن يبدو هادئاً في رد فعله، حتى لا يفسد أول
اتصال بها : ممكن تصورني . .

أحمد : أكيد . .

انهمك أحمد في رسم الإضاءة حولها . . صورها . . صورها كثيراً . .
كانت الكاميرا جائعة . . ترغب في تسجيل كل قسماتها على حدة . . لم
يتبادلا سوى الابتسام . .

أحمد : هشوفك تاني؟

كانت عادة على باب الأستوديو : أكيد هاجي آخذ الصور . .

أحمد : بعد بكرة؟

عادة : بعد بكرة .

غادرت وتركته واقفاً على الباب صامتاً قرابة عشر دقائق . . أجمل عشر
دقائق مرت عليه منذ مات أبوه . . كان قلبه يرقص على نغمة "ضحكت
عيون حبيبي" ، أخذ يردها في سره . .

لم يكن موقف السيارات الخاص بالكازينو قد امتلأ بعد . . البودي جار،
حسن يقف بالباب والجو هادئ . .

أصبحت الثامنة عندما اقترب ذلك البدين من الباب . . قام له حسن
عبده وهو على يقين أن ذلك المنطاد يظن أن الكازينو مستشفى الهرم : أهلاً
يا حبيبي أوامر . .

عُمر : مساء الخير . . سامي موجود؟

حسن : سامي؟ سامي البارمان؟

عُمر : أبوه أنا جايته من طرف واحد صاحبه . . معايا جواب منه . .

حسن : خُش جوّه على اليمين . .

شكره عُمر ودخل الكازينو . . سأل عن سامي فأشاروا له ناحية البار . .

كان يغسل كؤوسه : مساء الخير . .

سامي : مساء النور . . أهلاً . .

عُمر : أنا جايك من طرف أحمد . . أحمد كمال . .

ظهر على وجه سامي التوتر والانزعاج . . نظر حوله ثم سحب عُمر من

يده إلى حافة البار بعيداً عن العاملين، وهمس فيه بصوت خافت : هو فين؟

هو عمل حاجة؟

عُمر : لأ . .؟ أحمد كويس . . ده باعتلك حاجة معايا . . هو إيه اللي

حصل؟

كشّر سامي ملامحه فبدأ قُرصاناً غرقت مركبه : إمبارح الحكومة جت

قلبت الصلاة بالليل . . على الساعة ١٢ كده . . كانوا يبسألوا عن أحمد

وجوده . . عرفوا إن جودة تعيش إنت، مسكوا في أحمد كمال . . هو فين؟

آخر مرة شفتوه إمتى؟ قعدوا معنا واحد واحد . . ما كانوا مصدقين إته
مشى من هنا بقالوا أكثر من شهر . . فأكربنا بنداريه . . دغدغوا الأوضة
بتاعت جودة . . كانوا بيدوروا على حاجة . . لموا كمان الموبايلات وخدوها
معاهم واستلمناها من قسم الهرم النهارده الصبح . . خدوا كمان كام واحد
على كام بت شكلمها شمال في البوكس . . الموضوع بسبب جلال مرسى . .
واحد زيون عندنا هنا . . الصحفي بتاع جرنال الحرية ده . . باين فيه حد
صور حاجة غلط كده والا كده وبيلاعه . . ده اللي فهمته من أسئلتهم . .

عمر: الموضوع مش كده خالص . . أحمد جاله عقد عمل في
السعودية . . ربنا كرمه . . واحد قريه بعث له دعوة . . سافر
وبيشتغل في شركة بترول هناك دلوقتى . . بعث الجواب ده وأمنى
أوصلهولك . .

أخرج عمر الجواب، وناوله لسامي الذي فضّه، وبدأ يقرأ ما فيه بعدما
تأمل الظرف . .

كان الجواب مقنعاً بشكل كبير . . يبدأ بيسم الله وينتهي بأمانة السلام
على كل الزملاء بالكازينو والدعاء لهم بالخير . . وفي الحشو بعض التفاصيل
عن عقد العمل والاستقرار والمرتب الكبير والصلاة الوقت بوقته في الحرم . .
كانت الرسالة واضحة . . أحمد ليس في مصر . . ابتعد وأصبح خارج
الشبهات . .

سامي: الحمد لله . . ده أنا دمى نشف . . إنت عايز الجواب ده في حاجة؟
فيه ناس لازم يشوفوه . .

عُمر: خالص . . خَلِيهِ معاك . . هو حكي لى إِنَّه بِيَعْرَكَ إِنْتِ بِالذَّارِ .
وَحَلَفْنِي أَوْصَلَكِ السَّلَامِ . .

سامي: لا والله أحمد ده من الناس ولاد الحلال اللي كانوا هنا صراحة .
كتر خير ه إِنَّه بيسأل . .

لو بعثلك تانى قوله سامي بيسلم عليك . . مالهوش تليفون هناك لسه
عُمر: لسه والله . . أول ما يبقى فيه هخليه يكلمك . .
سامي: شُكْرًا يَا حَبِيبِي . . مُتَشَكِّرٌ أَوْي . .

استأذن عُمر وابتعد ناحية الباب حين صاح سامي: كابتن . . إسنّي . .
التفت عُمر وقد توترت أطرافه . . سامي كان يُمسك بالجواب في يده
ثانية واحدة . .

تحدّث عُمر إلى نفسه . . مؤكّد هُناك خطأ في الجواب . . هُناك تفصيله
أفلتت لتسترعى انتباه ذلك القُرْصان . . رجع عُمر لسامي الذي أمسكه من
كتفه واقترّب من وجهه فظهرت سنّته الذهبية اللامعة: لو كلّمك قوله سامي
عايز منك خدمة . . خدمة العُمر . .

تَكْهَرِبُ كَتْفَ عُمَرَ تَحْتَ يَدِ سَامِي: خير أوْمُر . .

همس سامي بفحيح: علبه فياجرا . . أصلى . . اللي هنا إِنْتِ عارف
كلّه مضروب . . والترامادول مبقاش يعمل حاجة . .

تنفّس عُمر الصعداء . . لم يكن يعرف أن هذا هو موسم تزاح
القراصنة . . نظر إليه عُمر نظرة أن يا خلبوص: أوّل ما يكلمنى هبلّغه . . يا
سلام . . تؤمرني بحاجة تانى يا زعيم . .

سامي : شكراً يا حبيبي . . ما تنساش اللي قلت لك عليه . . أصلى
.. هه

غادر عُمر الكازينو مُغادرة رأفت الهجّان من عند سوسو ليفي وإفرايم
ولومون . .

مشى حتّى شارع فيصل . . توءم الهرم غير السيامي . . قهوة أبي
السعود . .

أحمد : عملت إيه؟

عُمر : قالبين عليك الدنيا من إمبراح . . يلله من هنا . .

قاما واستقلا ميكروباصاً . . في الطريق حكى عُمر لأحمد ما حدث . . بدا
أخوذاً وإن حاول التماسك . .

أحمد : الجواب دخل عليهم؟

عُمر : عيب عليك ده أخوك اللي عامله . . ده أنا أعتزل . . حلو أوى
لعب لغاية كده . . صح؟

أحمد : طبعاً حلو . . نزلنا هنا يا أسطى . .

عُمر : هنتزل هنا نعمل إيه؟

وقف الميكروباص أمام مدخل كوبري عباس . . نزلا وتوجّه أحمد
لأقرب كايينة تليفون . .

كان يطلّب رقم جريدة الحُرية . .

أناه صوت حرّمي من الجانب الآخر : جريدة الحُرية . . مساء الخير . .

أحمد : مساء الخير . . معاكى أحمد محمّد من سكرتارية نقيب
الصحفيّين . .

السكرتيرة: أهلاً بـيـك . . تحت أمرـك . .

أحمد: الباشا كان عايز رقم تليفون صحفي كان عندكم . . اسمه . . ثانية
واحدة معايـا . . آه علاء جُمعة . . الراجـل اللـي عامـل مُشـكـلةِ بناع
الإعلان ده . .

السكرتيرة: أيوة أيوة ثانية واحدة . . مع حضرتك ورقة وقلم؟

أحمد: إتفضلـي . . مم مم . . شـكراً . . مُشـكراً أوى . .

السكرتيرة: تحب حضرتك أوصلك بأستاذ جلال؟

أحمد: لا مفيش داعي . . ده إجراء روتيني عشان محضر النقابة . . ما
تشغليش باله . . مع السلامة . .

التفت أحمد لعمر: سجّلت الرقم؟

ناوله الموبايل: أهـه . . مين أحمد محمّد ده؟

أحمد: يا إبنـي نـصّ البـلد أحمد ومحمّد . . أكيد فيه أحمد في السكرتارية . .

عمر: مُمكن ترتّب أفكارنا . . ما تقوليش إنك هتكلّم علاء جُمعة
دلوقت . .

لم يُجبه أحمد . . كان بالفعل يضرب الرقم . . ستّة أجراس حتّى أجبـه

صوت ناعس: ألو . .

أحمد: مساء الخير . . علاء؟

علاء: مين معايـا . .

أحمد: أنا واحد معاه حاجة تُخصّ جلال مُرسى . . مُهتم أكمل؟

علاء: حاجة إيه؟

أحمد: مش هينفع في التليفون . . مُمكن نتقابل؟

علاء: أعرِف مِنين إن ده مش مقلب؟

أحمد: مش هتعرف.. جازف.. معندكش حاجة تخسرها..

علاء: إمتي؟

أحمد: هكلمك.. ماتقولش حاجة لحد.. سلام..

أغلق أحمد الخط.. كان يشعر بإثارة لا حدود لها، في حين كان عمر
منس شفتيه وينظر حوله في قلق مُتصوِّراً سيارات الدورية تُحيط بهم من كُلِّ

أب: إيه.. قال لك إيه يا ابن المجنونة؟

أحمد: هنتقابل..

عمر: إمتي؟

أحمد: مش عارف.. سيبنى أفكر.. أنا ما كانش في بالي كُل ده يا

عمر.. الموضوع ده بيشدني معاه أكننى شايل حديد ونازل
البحر.. ماينفعش أتراجع دلوقت..

عمر: علاء جمعة ده هينفعك في إيه؟ ده إنشرد وسُمعته بقت زى

الزفت.. مش هيقدر ينشر حاجة..

أحمد: أنا عايز أعرِف منه حاجات عن حبيب أمين وشوية ناس تانية..

علاء عنده معلومات وأنا عندي صور.. مُمكن نبقي ثنائي

مُحترم.. كمان أي جرنال مُعادى لجلال مُرسى يتمنى يشم ريحة

وسخة.. دول غيلان بتاكل في بعض.. وجلال ريحته فاحت..

صدقني الصور دى هتبقى نهايته كصحفي.. الصور دى مُمكن

تغير حاجات كثير..

عُمر: مش عارف .. جلال وحبیب ویمکن بعدهم فتحي بتاع العسا
وسالي كمان .. عايز توصل لإيه؟

أحمد: قصدك إيه؟

عُمر: یعنی مش عارف ليه حاسس إن اللي جواك ده جزء كبير منه انتقام
يا أحمد مش عشان الناس .. بتعمله عشان كراهية ناحية البشر
دى .. مش بقول حقد .. بس كُل واحد فيهم ليه سبب
تعاستك ..

صحفي واطى بوشين بوظ تحقيق الحادثة من غير تفسير .. قلم من حيب
وسب مع فتحي العسال .. أنا خايف يا أحمد نفضل نجري ورا تار زى تار
الصعايدة كده ..

لم يردّ أحمد .. مشى ساكتاً يُدخّن .. كان عُمر في جزء مما قال
حق .. لم يُنكر أن ما بداخله لم يكن نضالاً خالصاً للحقيقة والشرف
كانت هناك رغبة داخلية في إرباك هؤلاء .. تبديل للأدوار بينه وبينهم
إضفاء الخوف كعنصر جديد لحياتهم .. كان يُريد أن ينقل لهم إحساسه
إحساس من يعيش على الحافة .. توقفاً في مُنتصف الكوبري .. كان النبا
يبدو هزياً .. مُتحرراً في أطرافه ..

أحمد: وفيها إيه یعنی لما يكون عندي تار مع الناس دى .. لو كان
أذوني دلوقت فهماً بيأذوا البلد دى من زمان أوى .. مش عب
لما قرري منهم آخذ بيه تار ناس تانية .. ناس ما عندهاش الوف
ولا إمكانية إنها تفوق وتدور على حقها .. تحارب عشانه
الناس خايفة على أكل عيشها ..

عُمر: وإنّ اللّي هتَحارب؟؟

أحمد: يمكن يا سيدى . . بقولك إيه . . إنت خايف وأنا كمان خايف
بس مفيش حل . . ساعدني . . أنا لو ما كملتش نكش ورا
الناس حياتي مش هترجع زى ما كانت . . مش هيبقي ليها
طعم . . هحس إتنى ماليش لازمه . . أرجع تانى أكُل وأشرب
وأشتغل وأنا؟ إيه الفرق ما بينى بقى وبين كل الناس اللّي ماشية
جنبك دى . . ولا حاجة . .

عُمر: مُقنع وهتودّيني في داهية . . هتكلمّ علاء إمتى؟

أحمد: بعد ما أقابل عادة بكره . .

في اليوم التالي وفي تمام السادسة جاءت . . كانت تضع عطرًا برائحة
التُّفّاح . . فانتة كما هي لم تتغيّر . . ابتسمت خجلًا عندما رأت صورتها . .
سألها إن كان قد أزعجها بجوابه . . أجابته بنعم . . كتلة آيس كريم باردة
انزلقت في ظهره . . ابتسمت له أن لا عليك، فأنا لم أعهد تلك الطريقة
فقط . . سألها أين يخطو الخطوة التالية . . أجابته: في الفنون الجميلة . . لم
بنهم . . مُمكن أشوفك يوم واحد بس في الأسبوع . . بعمل دراسات عليا
وبدى كورس للأطفال . . تنمية القدرات الفنيّة . . كل يوم حد . . مُمكن
نجيب الكاميرا . . الساعة ١٠ الصُّبح . . سألها التّسيم: مُمكن رقم
التليفون؟ . . أجابته الكاميليا: أشوفك أحسن في الكليّة . . خرجت
وخرجت ورائها روحه . .

ظلّ يُراقبها وهى تتركب التاكسي . . ابتسمت له وهى تُغلق الباب . .
طلّت رائحة التُّفّاح في أنفه دقائق حتى حلّت محلّها رائحة أخرى لا تنشأ إلا

كانت كابينه التليفون العمومي على كورنيش النيل أمام فندق شهرزاد بعيدة نسبياً عن المنيل ، وإن كانت معهما سيارة ١٢٨ مملوكة لابن عمه عُمر المسافر للسعودية . . استلفها عُمر من عمته بحجة أنها ستعطب من طول الوقفة وتحتاج إلى السير وتغيير الزيوت . . وافقت على أن يأخذها يومياً لتمشى قليلاً حتى رجوع ابنها بعد أيمان غليظة بسلخ فروة الرأس إذا مس السيارة سوء . .

مما أعطى الفرصة لأحمد أن يتصل بعلاء من مكانٍ مختلف ، تجنباً للمتابعة إذا حدثت . .

عُمر : إستنى . . طب افرض إنه متراقب؟؟

أحمد : هنعرف . .

عُمر : إنت متأكد إن الطريقة اللي إنت بتقولها دى هتنفع . .

أجابه أحمد وهو يطلب الرقم : يا ابنى أيوه شفتها في فيلم . . منطقيّة أوى . .

جرس . . ألو . .

حاول أحمد أن يبدو واثقاً : فاضي النهارده . . إحنا إتكلّمنا إمبراح . .

علاء : فاضي . . نتقابل إزاي . .

أحمد : تعرف شارع شريف . . عند البنك المركزي . . إستنى قدام الباب الرئيسي . .

علاء : إمتى؟

أحمد : الساعة واحدة . .

علاء : مش متأخر؟

أحمد : البس قميص أبيض . . أشوفك هناك . . ما تتأخرش . .

علاء : حاضر . .

أغلق أحمد الحَظ قبل " حاضر "

" إمعاناً في الغموض " . .

قضايا الوقت يتناقران في تفاصيل المُقابلة المُنتظرة مع علاء . . حتى باتت
الواحدة إلا الرُبُع في ذلك الشارِع الإقتصادي المملوء بالحوية صباحاً . .
وول ستريت إذا اجتاحه تسونامي من الأتربة . . الهاديّ جدّاً ليلاً . . كان من
السهل رؤية ذلك الأسمر الواقف بقميص أبيض أمام الباب الرئيسي يقرض
أظافره . . ظل علاء يقرض لربُع الساعة حتى اقترب من الكوع . . تلك
العادة التي فشل في الإقلاع عنها فشل التمساح في ركوب العجل . . حتى رنّ
هاتفه . .

علاء : ألو . .

عُمر من تليفون عمومي في ممر بجانب البنك : علاء . . فيه ممر قبل
البنك . . ممر البورصة . . فيه قهوة هناك . . إتمشى بسرعة وإستنى عندها . .
قبل أن يردّ علاء كان عُمر قد وضع السّماعَة . . " إمعاناً في
الغموض " . . أخذ علاء طريقه للممر . . كان عُمر يُراقبه وهو جالس في
القهوة أمام شيشته وأحمد من السيّارة يستعرض الشارِع الطويل الهاديّ
خلفه ، علّه يجِد من يمشى وراءه . . تلك كانت الفِكرة . . استدرجه لمكان

حال نسبياً، ثم الجلوس في مكان صاخب كقهوة، وله أكثر من مخرج . .
مثل تمر البورصة . . قهوة كبيرة جعلت الناس تتناثر من حولها كنجوم
السماء في ليلة مُزْدحمة . . صخب وكركرة شيشة وضحكات عالية نفلت . .
سرايح مُتباينة لا يربطها رابط . . أصوات خبط الدومينو وقواشيط الطاولة
بدو مُتناغمة رغم اختلاف مصادرها . . نكات وقفشات . . هموم وأسرار
ومشكلات يحملها الدخان بعيداً إلى السماء . .
سَماء القاهرة . .

ظل علاء واقفاً يبحث بعينه في الناس إلى أن جاء القهوجي : إتفضل يا
باشا . .

علاء : لأشكراً . . أنا مستنى ناس . .

القهوجي : فيه أستاذ على الترابيزة اللي هناك دى بيندهلك . .
وأشار بيده إلى ترابيزة جلس عليها " أحمد وعمر " . . اتجه إليهما وهو
بتأمل " لوريل وهاردي " اللذين لعبا بأعضابه ليومين . . بدأت علامات
الاستفهام تطل منه حتى قبل أن يجلس معهما . .

علاء : أظن أنا محتاج تفسير . .

أحمد : أكيد . . ممكن أشوف بطاقتك؟

تيسس علاء خمس ثوان قبل أن يُخرج بطاقة من محفظته القديمة :
اتفضل . .

تأمل أحمد البطاقة : علاء حسين السيد جمعة . . صحفي . .

أعاد أحمد البطاقة : ممكن أسألك سؤال . .

هز علاء رأسه بضيق أن تفضل . .

أحمد: إنت إترفدت من الجرنال ليه؟
علاء: أولاً أنا ما إترفدتش . . أنا استقلت . .
أحمد: بداية كويسة . .
أخرج أحمد علبة السجائر وعزم عليه بواحدة . .
علاء: شكراً . . ما بدخّش . .
أحمد: خير ما عملت . . احكي لى إيه اللي حصل؟
علاء: مش أعرف الأول أنا بتكلّم مع مين؟
أحمد: بعد ما تجاوب سؤالي . .
علاء: خلاف في الرأي مع رئيس التحرير . . موضوع أضفت فيه
جُملة . . معلومة كلفتني كثير . .
أحمد: حبيب شريف أمين . . كان أحمد يُلقى بأحجار النرد طالباً "
دُش (*) " من سبعين . .
علاء: إنت مين بالظبط؟؟
أحمد: قُلت لك أنا واحد معاه حاجة تدين جلال مُرسى . .
علاء: ده ما يفسرّش إنت ليه بتكلّمنى أنا بالذات؟ عندك الجرايد كُلّها
يتمنوا جنازة يشبعوا فيها لطم . . إنت عارف إن عندي مُشكلة
مع النقابة . .
أحمد: ده بالنسبة لجلال . .
علاء: تقصد إيه؟
أحمد: لو معايا حاجات تمس ناس تانية؟

(*) مصطلح يقال في القهوة حين يكون حجرا النرد على رقم ستة . .

علاء: ناس زى مين؟

أحمد: ناس زى حبيب أمين مثلاً .

علاء: وضّح لي . .

أحمد: علاء . . إنت محتاج مساعدتي . . وأنا كمان محتاج

مُساعدتك . . أنا عندي صور مشبوهة لشوية ناس تقدر كده

تقول . . كريمة البلد . . أعضاء مجلس شعب . . رجال أعمال . .

سياسيين . . مجموعة ناس ليهم تأثير وصوتهم مسموع . . صور

لناس الصبح على صفحات الجرائد أعداء وبالليل بيتقابلوا سمن

على غسل . . صور ليهم مع رقصات ومواسم . . صور ما

يتمناش حد يشوفها . . تقدر تقول كده حياة الليل الخاصة . .

بدا على علاء الاهتمام: وإنت جيت الصور دى مين؟

أحمد: تقدر تقول إتنى ورثت الصور دى من واحد عزيز علياً . .

اشتعل حس علاء الصحفي . . حمل الكرسي وأقرب من أحمد حين نزل

لسي شيشة أحمر فوق الترابيزة صنع فرقة كادت تطيح بالشاي في وجه علاء:

إستنى . .

كان ذلك عُمر الذي بدا كبوسايدون إله البحر عند الإغريق بعصاه

الأشبه بالشوكة: ثانية واحدة . .

أحمد: ده عُمر صاحبي . . نسيت أعرفك عليه . .

غمز عُمر لأحمد وهز رأسه بعصبية: عايزك دقيقة . .

أحمد: أستاذنك يا علاء . .

قام عُمر وتبعه أحمد لركن بعيد نسيباً: إيه . . إنت ناوى على إيه؟

أحمد: يعنى إيه ناوى على إيه؟

عُمر: أنا شايفك هتفتح معاه في تفاصيل . .

أحمد: وإيه المُشكلة؟

عُمر: إيش عرفك إننا نقدر نثق فيه؟

أحمد: أولاً إحنا اللي كلّمناه مش هو اللي سعى لنا . . ثانياً عدو عدوك

هو صديقك . . يعنى بما إن جلال طرده أكيد هيتمنى فرصة يرد

بيها اعتباره . . ثالثاً هو ما يعرفش إحنا عايزينه ليه . . مش

هيلحق يفكر . .

عُمر: طب ولو باعنا . .

أحمد: مش هيبعنا . .

عُمر: إشمعنى؟؟

أحمد: إيه اللي يخليه يخسر معلومات زى دى . . ده بيقى غبي . .

عُمر: صدقني من أول قلم هيقول مين اللي إداله الصور . .

أحمد: ده إذا عرف إحنا ساكنين فين . .

عُمر: هتودّينا في داهية . .

أحمد: ما تنبرش زى المرة المتطلّقة . . جيت اللاب توب من الإستوديو؟

عُمر: في شنطة العربية مع الكاميرا . .

عُمر: طب لو نقل نمر العربيّة . .

أحمد: مش دى عربيّة حسن إبن عمّتك؟

عُمر: أيوة . .

أحمد: بتحب عمّتك إنت أوى؟

عمر: يعنى . . في مقام جوز خالتي كده . .

أحمد: خلاص ننزل بكرة نعمل محضر سرقة نقول فيه العربية إتسرقت
من قدام البيت إمبراح ، ونلاقيها بكرة مركونة تحت كوبري الملك
الصالح . . ويلله عشان الراجل قاعد مستنى . .

جذبه من ذراعه ورجعا إلى علاء الذي كان لا يزال يُعاني شعوراً بالجهل

العام . .

أحمد: آسف على التأخير . .

علاء: ولا يهملك . .

اقترب عمر من وجه علاء فطفحت رائحة الشيشة من أنفاسه:

باشمهندس علاء . . لو أي حد عرف اللي هيتم في القعدة دي . . صدقتني
شس هتحب تعرف ممكن أعمل إيه . . أنا مش بهدك . . بس الموضوع
إحنا عارفين كويس أوى إنه خطر . . لو حصل أي حاجة إنت معانا . . من
دلوقتي تقدر تحدد، يا تكمل؛ يا تنسى إنك شفتنا أصلاً . . وعلى فكرة
إحنا مش لوحدنا . . ماشى . . مش لوحدنا . .

ظل علاء صامتاً . . لم يكن يفكر في الإجابة . . كان يفكر في القدر الذي

بعث له بهؤلاء بعدما توقفت حياته . . كان يعرف جيداً نتيجة غضب جلال
مرسى عليه . . فقد مصدر رزقه ونفي من الحياة الصحفية . . أصبح منبوذاً
كمريض جذام بين الأصحاء . . الكل يخاف الاقتراب أو حتى المساعدة . .

لو سقط في حفرة . . لن يمد أحداً يد العون؟ قد يجد . .

يد مجزوم مثله . .

كان مُتَّفَقًا مع أحمد في عامل أساسي . . لم يكن لديه ما يخسره . . علاوة
على عدم وجود أسرة أو أطفال . . كان مثاليًا للمجازفة . . لم يكن شيء
ليوقفه بعدما عرف بوجود شيء على جلال . .

كان منطقيًا أن يقول: معاكم . .

قام أحمد: يلله بينا . .

علاء: على فين؟

أحمد: هفرجك على مصر . .

في السيارة، حكى أحمد لعلاء باختصار الملابس التي حدثت في الأشهر
الماضية . . منذ انتقل إلى الكازينو حتى راسل جلال مُرسى بالرسائل
السوداء . . كما حكى له علاء أيضًا عن حياته . . قصة الكفاح سيئة
الخط . . تخرّج في كلية الآداب قسم صحافة سنة ٨٩ . . كان مُعدّمًا لكنّه
استطاع في وقت قصير أن يحصل على فرصة تدريب في جريدة قومية
شهيرة . . أخذ يتنقل كالنحلة بين أكثر من باب مُحاولاً الاستقرار على رؤية
لطريقه . . عقبته الوحيدة كانت المبادئ . . تلك العقبة التي جعلته يصطدم
ويتعثر ويسقط على وجهه في دائرة الدرجة الثالثة صحافة، فئة الصحفي
المشاغب . . ألغيت أكثر مقالاته . . لم تكن لتُناسب ذوق رئيس التحرير
الذي يتلقّى الخبر من الجهات التي يُهاجمها علاء . . حتى فوجئ بالاستغناء
عنه . . عاش ثلاثة أشهر من الكفاح . . حتى وجد فرصة في إحدى الجرائد
المستقلة . . لم يستمر بها أكثر من شهر . . كانت صفراء أكثر من اللازم
وكان يحتاج إلى مُرتب مجهوده في الثلاثين يومًا . . تنقل بعدها بين ثلاث
جرائد، آخرهم كانت جريدة الحرية . .

وجد نفسه فيها . . أخذ اسمه يظهر ويتكرر . . طرق شوارع خليفية
الذلمة . . لم يكن يخاف لأنه لم يكتب خبراً بلا مصدر ولا دليل . . تحقيقات
واسعة عن الفساد في أجهزة الدولة . . تحقيق مطول عن الرشوة التي حولت
المجتمع المصري إلى إسفنجة ، حجم كبير من الخارج وهشاشة من الداخل . .
هاجم الفنان اللاتيني حولن الشاشة إلى سوق نخاسة ، يستعرضن فيه
أجسامهن ويظهرن بعد ذلك في برامج السمر في رمضان . . كان عيناً
نشطة . . عيناً مزعجة . . حتى أتى يوم تغيرت فيه رئاسة الجريدة . . قراراً
ساجي من رئيس التحرير آيده فيه سريعاً رئيس مجلس الإدارة : لقد اكتفيت
بما صنعت . . سأخرج وصفحتي بيضاء . .

هكذا قال . . هكذا رحل ، وهكذا تولى الدقة "جلال مرسى" . . لم
يكن أحد يعرف عنه شيئاً . . ظهر فجأة كأنه انبعث من العدم . .
كل الدلائل كانت تشير إلى أنه صحفي نشط . . في أول أسبوع له شن
سلسلة تغييرات واسعة ، في الشكل والمضمون وحتى الألوان . . بدت مقالاته
ديوية صارخة لا تعبأ بحكومة ولا بمسؤولين . . كان كالسوط انلاسع . . صعد
مريدته إلى منافسة الجرائد القومية . . أصبح رقم واحد . .
لم يكن أحداً يعرف مصادره . . كأنه ياخي شياطين من مستقي
الأخبار . .

حتى بدأ يحكم سيطرته على الصحفيين . . بدأ يرفض المقالات من دون
إهداء سبب واضح . . يُحوّل اتجاهات الجريدة . . يُهاجم من غازل من قبل ،
نهادن من كان عدواً . . ينعزل . . لا يناقش أحداً ولا يقبل رأياً . . يشور
لأنه الأسباب . . انتشرت شائعات لم تتأكد عن صلوات خفية له بمسؤولين

كبار . . أخذ يرفض لعلاء أكثر من مقال ما كان ليرفضهم من قبل .
تصاعدت حدة التوتر معه وازدادت المشاحنات ، وإن كانت لم تصل إلى ما
وصلت إليه في آخر حوار . . لم يكن الوحيد الذي شم رائحة مُريية لكنه
الوحيد الذي كان يواجه " جلال " . . يُخرج له المقالات السابقة من الجريدة
التي تتناول نفس الموضوعات التي يرفضها الآن . . كان يقول له باستعارة
مكنية : أنت مُناقق . . لم يكن جلال يستطيع دحره . . كان مُستفزاً وعلى
حق . . صُداً مزمناً . . حتى قدّم علاء رأسه بنفسه لجلال على طبق من
فضة حين هاجم " حبيب شريف أمين " . . كان الصدام النهائي مُعداً
مُسبقاً . . قذف به إلى البيت ليُشارك الأثاث البالي أحلامه . .

تخطت الساعة الثانية والنصف صباحاً عندما توقّف عُمر بالسيارة في
مدخل الزمالك بعد أن لف جميع ميادين وشوارع وسط البلد ، يستمع لعلاء
وأحمد الذي نزل وفتح الصندوق الخلفي للسيارة ، كان يرقد فيه كمبيوتر
محمول والكاميرا الخاصة بأحمد . . أحضرهم ورجع يركب إلى جانب علاء
في الخلف . .

فتح اللاب توب ووضعها في حجر علاء . .

علاء : إحنا رايجين فين ؟

أحمد : مش رايجين . . إحنا هنفضل في العربية . .

قالها وبدأ فتح ملفات الصور : قبل ما أوريك صور " جلال " عاير

أسألك على حاجة ؟ فاكر حادثة بار " فيرتيجو " ؟

علاء : طبعاً . . أهو ده من الخلافات الكبيرة بيني وبين " جلال

مُرسى " . .

أحمد: ليه؟

علاء: عشان ببساطة أنا اللي كُنت كاتب الموضوع، ومن غير أي تفسير جلال هو اللي تولّى التحقيق بين يوم وليلة.. وطبعًا غير كُل

اللي كُنت كاتبه.. إשמعني يتسأل عن الموضوع ده بالذات؟

أحمد: مفيش ظرف صور جالكَم على المجلة فيه تصوير للحادثة؟

علاء: ما حصلش.. هي صورة واحدة جابها جلال من مصدر في الطب الشرعي وبنى تحقيقه عليها..

أحمد: طب بَص كده.. فتح أحمد أول صور الفندق..

بتوالي الصور، تدلّي فك علاء السفلى وكاد يطول ركبته: الصور دي

إراي؟ كانت فين؟

أحمد: الصور دي أنا بعثتها لجلال وأنا اللي بعث الصورة وقت الحادثة كمان.. جلال ليه مصلحة يخفي الصور دي زى ما ليه مصلحة

يقفل على موضوع "حبيب شريف أمين" ..

علاء: أنا كنت متأكد.. بس ما كنتش أتصور إن الموضوع يبقى بالمنظر

ده.. إنت معاك صور جريمة قتل حصلت من أكثر من ستين

إتقفل التحقيق فيها..

أحمد: وجُرْنال أصفر بيشم الأخبار من الهوا مش عايز ينشرها.. مش

غريبة دي؟

علاء: جربت تبعت الصور لجرايد تانية؟

أحمد: ومفيش أي رد فعل..

علاء: يبقى فيه تعميم . . فيه أمر جاي من فوق بقفل الكلام في الموضوع
ده . . جلال يستحيل هينشره . .

جلال مش هيسكت . . اللي إنتوا عملتوه فيه ده كويس بس مش
كفاية . .
أحمد: عشان كده أنا كلمتك . .

فتح أحمد له خزائن أسرار . . خزائن قارون . . رأى "جلال" العاشق
مع فتياته . . بدون قناع . . "حبيب" و "سالي" و "فتحي العسال"
وغيرهم . . رآهم عراة . . تعرف على كل الوجوه التي لم يعرفها أحمد .
ومن لا تظهر صورهم في الجرائد أو التلفزيون . . بات مصعوقاً متخبط
الفكر لا يكاد يصدق ما رأى . .
إيه رأيك؟

علاء: رأيي في إيه . . إنت عارف الصور دى ممكن تعمل إيه؟
أحمد: ده في حالة لو حد وافق ينشرها . .

علاء: الصور دى تعمل زلزال يا أحمد . . أوضاع وسخة تهز ثقة الناس
فيهم . . يعنى المستشار فاروق البسيونى . . حد يتخيل علاقته
بعلا زايد . . راجل ليه ثقله متصور مع واحدة زى دى على
ترايزة بتلعبه في شعره؟؟ طب إنت عارف "علا زايد" دى
مفيش حد ما لفش عليها . . بنت التخينة دى، ليه حنة مكاملة
تليفون مع واحد بيعايرها على علاقاتها الوسخة وهى بتشتمه . .
بتقوله يا "سوكولوه" . . وجلال مرسى يعمل تحقيق عن
"عمرو حامد" قرب يطلع دراكولا وسايب "خالد عسكر"

ينهش في الراجل براحتُه وهو غرقان في علاقائُه بالبنات الصُغيرة؟؟ "العَسال" بتاع التموين الغذائي اللي واكل الدنيا . . تصدق إن ليه عندي ملف لو إنفتح هيوديه في داهية . . الراجل ده بياكلنا زبالة . . بيوردنا لمستشفى الأورام . . رجوع تانى لفترة الثمانينات ، فاكر أكل الكلاب والقُطط اللي باعوه على إنه بولوييف؟ بس مين كان يصدقنى بالورق بتاعى ومستنداتي كده حاف وأنا بشتغل في الجرنال ما بالك دلوقتى بوضعي ده وأنا في الشارع . . "حبيب أمين" ابن تالت أكبر راس في البلد . . من أين لك هذا هو وأبوه، مش كفاية . . مليارات في البنوك . . قُرى سياحية في شرم والغردقة والساحل الشمالي . . "سالي" اللي بتأجر على أعلى مستوى وعامله فيها خضرة الشريفة، وبتأولما حد يفكرها بشريطها مع "هشام فتحي" . . الناس دى بتضحك على نفسها الأول قبل ما تضحك علينا؟؟؟

أحمد: شايف إيه؟

علاء: نولع فيهم . .

أحمد: مش فاهم .

علاء: صورك دى مش هتفضح جرايمهم في حق الناس ، بس هتفقده احترام الناس ليهم . . هتهز الثقة . . الشعب الناييم ده بيحب الزبطة . . نقلب عليهم الترابيزة . . نديله فضيحة نصحيه بيها . . نشيل الفوطه من على نصهم التحتانى . . نوريهم اللي بياكلهم ويشربهم بيودى فلوسهم فين . . يشوفوا المومس اللي بتهز الهزة

بالألوفات وشغالة سبعة راكب وفيه علماء عايشين على الكفاف . . يصدّقوا إن مفيش فايدة . . يعرفوا إن فيه خطة موسّعة للإستعباط . . للاستحلاب . . الشعب ده إيه؟؟ مش ناوى يصحى بقى؟

أحمد: هتساعدنى؟؟

علاء: هي دى فيها سؤال؟ أنا عندي معلومات ومُستندات وأوراق عن كل واحد من الناس اللي في الصور دى . . تقدر تقول كده عندي أدلة . . بس عايزة بُهارات . . معلومات عايزة صور تفتح لها الطريق . . حاجة تخلى الجرنال يخاف يضيع منه السبق الصحفي . . عندي حاجات عن " حبيب والعسال " . . إنت عارف إنهم شركاء؟؟ بس حبيب مش في الصورة . . فيه مصدر من الشركة جاب لي مُستندات تثبت فضايح في مواصفات الجودة وتاريخ الصلاحية في المنتجات الغذائية بتاعتهم . . الألبان والجن والعسل . . كلّه . . الراجل ده بيستعمل مواد غير آدمية في إنتاجه، أبسطها الفورمالين البودرة وآل إيه أوجانيك . حضرت الملف الكامل وعرضته على جلال . . تعرف عمل إيه؟؟ أخذ الملف كلّه بالمُستندات والشهادات ووعدنى يدرسه وبعد أسبوع فوجئت بالهجوم على "نوتريمينتال" . . مُنافسهم الوحيد . . وإعلان كبير للعسال جروب في الصفحة الأخيرة وفقرات مُقتبسة من المقال بتاعى مكتوبة، بس ضد "نوتريمينتال" مش "العسال" . . دلوقتى احتكروا السوق . . مفيش مُنافس . . إجنّنت، وده اللي مهدّ لنهايتى مع جلال . . من بكرة هبتدى

أشوف حد مُحترم يقبل يفتح الملفات دى للناس . . الموضوع
مش مُمكن يستنى أكثر من كده . . صورتك دى هتعمل رد فعل
واسع . . هتجرأ أى جُرنال إنّه ينشر مقالتي . . الصّور هي اللي
بتبيع . . هي اللي بتجيب القارئ . .

أحمد: فيه حاجة . .

علاء: إيه؟؟؟

أحمد: الصور دى المفروض إنك جاييها مين؟

علاء: يستحيل أفضح مصدرى . .

قال عُمر وهو ينظر إلى علاء في المرأة: من أول قلم هتتكلم . .

علاء: إنت ما تعرفنيش . . وبعدين مين قالك إنى ما جربتيش . . ياما
إتشديت في أمن دولة . . بس المرأة دى الوضع يختلف . . دى
فضيحة بالصور، في ساعة زمن توصل أسوان . . إنت ناسى
شريط سالي وهشام فتحي عمل إيه . . الصور دى ألعن
وأضل . . الفضيحة هتمشى نفسها بنفسها . .

عُمر: طب وإنك مش خايف . .

علاء: ما قلتلك . . مش هخسر أكثر من كده . .

أحمد: طب وصور الحادثة . .

علاء: هي دى فاكهة الموضوع . . بعد أيام مصر كُلتها هتعرف مين اللي
قتل "هشام فتحي" . . هتعرف المصالح الشخصية ورا
الحادثة . . بس بعد ما ياخذ "جلال" أول قلم عشان يطلع من
الأحداث ويختفي . .

كان حماسياً . . مشحوناً . . بسماره وهياته وجبينه العريض . . كان
كمناضلي ثورة ١٩١٩ تملؤهم المبادئ، يصرخون في وجه الفساد بلا
رهبة . . مؤمنين بالقضية . . ظلّ الثلاثة في نقاشٍ طويلٍ حتّى الساعات
الأولى من الفجر إلى أن توصلوا لاتفاق . .

أن يُجهز علاء رداً على جلال ومزاعمه وينشره في جريدة " الجليل الحر
" . . كانت أنسب جريدة من وجهة نظر علاء . . محايدة مائلة للحق
ومنافس معنوي لجريدة جلال مُرسى . . سيسعد كثيراً باستضافة
فضائحه . . يشن من بعدها علاء تحقيقاً واسعاً بالصور عن حادث البار،
يتبعه بحملة على ذوى النفوذ أصحاب الصور من تركة جودة . . وأن يبقى
أحمد وعُمر بعيدين عن الأضواء تجنّباً للشبهات . .

انقضت الليلة الطويلة، توقفت السيارة في شارع جانبي من شوارع
وسط البلد . . نزل علاء ليودّع أحمد وعُمر عندما استوقفه عُمر : ثانية
واحدة . .

أخرج عُمر الكاميرا وسدّد عدستها لعلاء، والتقط له صورة وهو واقف
كاملاً . .

علاء : دى ليه؟

عُمر بسُخرية : هعملك كارنيه . .

أحمد : سيبك منه . . المهم أنا هبقى أظمن عليك . . الـ "CD" ده أنا
عاملهولك، عليه كُـلّ الصُور . .

أخذ علاء الـ "CD" : ما تقلقش . . سيب الموضوع علياً وإدعيلي . .

ليلتها نام أحمد ثلاث ساعات . . أسعد ثلاث ساعات نامهم في عمره . .
سحى في قمة نشاطه وتوجه إلى الأستوديو . . كان بداخله شعور بزحزحة
هم ثقيل من فوق صدره كاد يقصم ظهره . . فهو بأية حال ليس بكفاءة علاء
وولا بتمرسه في الصحافة، إلى جانب رغبة الانتقام لديه والرغبة الشديدة في
رد الشرف التي ستجعل الصور معه سلاحاً لا رادع له . .

في طريقه مرّ بكُشك جرائد اشترى منه جريدة " الحرّية " . . مسح
صفحاتها . . لم يجد ما يُت بصلة لصور بار "فيريجو" . . لم يتعجب . .
كان يتوقّع رد فعل مثل هذا من "جلال" . . إلا أن تحقيقاً كبيراً احتل
الصفحة الرابعة كاملاً كان يتحدث عن الصور المزيّفة عن طريق
الكمبيوتر . . صور مزيّفة على الإنترنت لفنانات عربيات وأجنبيات
موضوعة رؤوسهن على أجسام عارية . . كان ذلك بداية ضربة إجهاضية
من جلال، وتمهيداً لظهور صورهِ على الساحة . . لم تعد مهمته الآن على
أية حال . . طلب علاء منه الاختفاء . . الكرة في ملعبه الآن . . أمهله
أسبوعين لتهدأ الأحداث وليتدبّر فيهم أمر الرد على "جلال" . . كان
نُخامر أحمد شعور داخلي يُشبه توصيل مريض في حالة حرجة إلى المستشفى
إنقاذاً لحياته . . وإن ظلت الهواجس تُحاصره . . لا تتركه ليلاً أو نهاراً رغم
سراخه في وجهها . . هل ينجح علاء؟؟

كان أمامه أسبوعان من الانتظار . . وخسة أيام حتى يوم الأحد . . يوم
يلقى "غادة"

.....

مرّ الأسبوع ببطء شديد . . . ببطء من ينتظر نتيجة الثانوية العامة . . . ملل
الجماع في انتظار وجبة . . . سأم الطالب من حصّة التربية الوطنية . . . تخلّل
الأسبوعين عمل محضر عن سرقة سيارة حسن ابن عمّة عمر، ثمّ أغلق
المحضر بالعثور على السيارة تحت كوبري الملك الصالح، ومُكالمتان لعلاء
إحدهما بعد يومين من اللقاء . . .

بعد السلامات . . .

أحمد: إيه الأخبار؟

علاء: مش هتصدق . . . كلمت الناس اللي قُلتك عليهم . . . زى ما
توقّعت . . .

أحمد: يعنى إيه؟

علاء: فيه بكرة مُقابلة . . .

أحمد: هيوافقوا؟

علاء: عرضنا ما يترفضش . . .

أحمد: مش خايفين؟

علاء: دول مستعجلين . . .

أحمد: خلّى بالك من نفسك . . .

علاء: ماتخافش . . . خليها على الله . . .

أحمد: سلام . . .

تحتة خمسة أسطر عريضة: "أين يسهر جلال مُرسى كُل مساء؟ يدعو إلى
الفضيلة ويُجادل الدعاة صباحاً، ويسهر في كازينوهات شارع الهرم ليلاً .
حليلاته لا يزيد سنهن عن الثامنة عشر . . يستقى أخباره من السكاري
وفناني الدرجة الثالثة . . صور مجهولة المصدر تصل من شخص يتبع
"جلال مُرسى" رئيس تحرير جريدة الحرية . . تفاصيل الجانب المظلم لجلال
مُرسى . . "الجيل الحر تفتح الملف الأول لسهرات نجوم المجتمع . . مفاجأة
العدد القادم " هل تتذكرون حادث بارفيريجو؟" وقائع وصور تُنشر لأول
مرة . .

عمر: الواد ده طلح جامد . .

أحمد: مش قلتك . . الدنيا زمانها إتقلت . .

عمر: بس مفيش حد يعرف مين ورا الموضوع ده؟

أحمد: علاء مش مكتوب اسمه . . وإحنا بره الموضوع . . وجلال

دلوقتي زمانه بيفكر ينتحر . .

عمر: بصراحة شهدت لك . . أنا لو مطرحه . . أبلع إزازتين فنيك

ووراهم شوية بأبروسول وأمضمض من الكابينة وبعدين أرمى

نفسى من منط حمام سباحة وهو فاضي . .

أحمد: أقل واجب . . إنت مش متخيّل أنا مبسوط قد إيه . . أول مرة

أحس في حياتي إني عملت حاجة . . حاجة كبيرة . . دخلت في

الأحداث بدل ما إحنا ماشيين جنب الحيطه كده . .

عمر: قاصدك في الحيط من جوة . .

أحمد: لسه المفاجأة . . الناس كده هتستنى بفارغ الصبر العدد اللي جاي
بعد صور جلال المنيلة دى . . صور الحادثة وموضوع العسأل
وحبيب . .

عُمر: وإحنا مفيش أى واجب كده من الجرنال عشان حتى شوية
الفوتوشوب اللي عملناهم دول . .

أحمد: ياريت كان ينفع . . نتسلف لو ظهرنا في الصورة . . الفضيحة
اللي جاية وعليك خير . .

عُمر: الله يرحمك يا جودة . .

أحمد: لو كان موجود دلوقتي أنا متأكد إنه هيكون مرتاح للي عملته . .

عُمر: هتكلم علاء؟

أحمد: دلوقتي . .

هم أن يقوم عندما تذكر شيئاً: بقولك إيه صحيح إنت صورت علاء

ليه؟

قام عُمر إلى جهاز الكمبيوتر . . أخرج من جيبه " Flash

Memory " . .

أوصلها وفتح محتواها: تعالى شوف . .

أحمد: الله يحرقك إيه اللي عملتوا في الواد ده؟

عُمر: خُصت يقل أصله والا بيعنا قُلت أظبطه . .

كانت على الشاشة صورة مُتقنة التركيب لرأس علاء، موضوعة على

جسم شاب عار يضاجع فتاة . . بدت حقيقة لأقصى حد . .

أحمد: الله يخرب بيتك . .

عُمر: كُنْتُ قلقان ليرمى كلمة كده والا كده . . قلت أشرده . .
أُمن أحمد النظر فيها: شيطان يا وسخ . . مش باين إنها متركبة . . بس
الواد ده على فكرة غلبان . .

عُمر: يا سيدى خليها له يمكن تنفعه . . يقدمها "CV" لمراته لما
يتجوز . . هيدعيننا ساعتها . .
خرج أحمد إلى الشارع بعدما قرص عُمر في "لباليه" مترامية الأطراف
وطلب رقم علاء: تسلم إيدك . .

علاء: إنت مش مُتخيل . . جلال نقلوه المستشفى . . انهيار عصبي
ورفع قضية على الجرنال . .

أحمد: يستاهل كُل خير وبعدين . .

علاء: أنا وعدتك . . عدد الإسبوع اللي جاى هيقى مُفاجأة . . عايز
أجيلك عشان أظبط شوية صور محتاجها . . إنت فين
النهاردة؟؟

أحمد: موجود . .

علاء: نتقابل . . هجيلك . .

أحمد: مستنيك .

في المساء كانت جلسة عمل بالشقة المتواضعة . . ساندوتشا شاورمة
حجم كبير وزُجاجة كوكاكولا حجم عائلي، قرابين لعُمر ليكمل ضبط
الصور ووضعها على أسطوانة لعلاء . .

أحمد: تفتكر الناس دى هتسكت؟

علاء: أكيد لأ .

أحمد : يعنى إيه؟

علاء : يعنى حملة تكذيب . . وقضايا تشهير وسب على شوية تهديدات
ويمكن يدفعوا فلوس . .

أحمد : والناس هتصدقهم؟

علاء : عرفت إيه فايده الصّور؟ أنا لو قعدت أدنّ في مالطة سنة ،
مقالاتي هيلفوا فيها الطعمية على رأى جلال . . دلوقتى بقره فيه
صور تدعّم كلامي إن ناس زى دى طالما ليها جانب وسخ ، يعنى
ممكن تعمل أى حاجة . . الناس هتصدقنا إحنا . . وأدبك شفت
جلال . . طبعة الجيل الحرّ أول مرة تنفذ كلّها . .

الحملة دى هتغير حاجات كثير أوى . .

" " " بوووووء " " " (*) ذلك كان عمر الذي مال على جنبه الأيمن

ليحرّر

مارد من الغاز : سورى ☺ بطني تعبانة شوية . .

كان ذلك الصوت كصفارة الغارة إيذانا بالهرب . . للمم علاء الصّور
وودّع أحمد الذي وصله للباب . .

علاء : صحيح . . فيه حاجة . .

أحمد : إيه؟

علاء : أبويا الله يرحمه كان ليه خزنة في بنك القاهرة ، فرع مصر الجديدة ،
كان شاربيها وحاطط فيها شوية حاجات بتاعت العيلة ، خمس

(*) بية عالية الصوت مصحوبة بغاز نفاذ الرائحة لالون له . .

ست آلاف جنيه على كام عقد، أنا بدفع الاشتراك السنوي من
بعد ما مات عشان الخزنة ما تروحش عليا . . كُـل الملفات
والعقود والوثائق اللي معايا ومُستندات تانية إنت لسه ما تعرفش
عنها حاجة . . أنا حاطط أصولها في الخزنة دى .
أخرج من جيبه سلسلة مفاتيح . . فصل منها مُفتاحًا : خُـد خلى ده
معاك .

نظر له أحمد بقلق : ليه؟
علاء : أنا عندي نُسخة تانية في البيت . .
توتّر وجه أحمد : برضه ليه؟
علاء : ما حدش ضامن عمره . . نُسخة معاك ونُسخة تانية بعيد عن
إيدى ، عشان لو إتقبض عليا أو حصل في الأمور أمور . .
شعر بأن كلماته ثقيلة فأحب أن يُخفّف حدتها . .
علاء : وعشان يا سيدى لو ضاع متى المُفتاح . . أهو يبقى فيه واحد
معاك إحتياطى . .
أحمد : فيه حاجة ما حكيتليش عليها؟
علاء : أنا ما بَجَبِّيش عنك حاجة .
أحمد : متأكد؟
علاء : الموضوع بس إن فيه ناس ضوافرها طويلة . . محدش يضمن
الخربشة . . أيمن وصفي مثلاً . .
أحمد : ده حد موجود في الصّور؟

علاء: لأ.. ده واحد أنا كُنت محضّر له ملف يقَلب الدنيا.. تاحم
سلاح بس وزن ثقيل..

صفقات وتجارة ماشية مع إسرائيل.. أهو ده هينزل عنه موضوع العباد
الجاي.. بصراحة فيه لحظة حسيت إنى إتسرعت.. لعبت لعبة أنا مش
قدّها.. بس خلاص ما ينفعش أتراجع دلوقت..

السّمك خرج من المية يا منعم.. هه هه..

أحمد: طب وإشمعنى أيمن وصفى ده بالذات؟

علاء: لأ أنا بديك مثل بواحد من الحيتان اللي مش هتسكت.. ده من
أثقل الموجودين إن ما كانش أثقلهم على الإطلاق.. للأسف
مفيش صور ليه معاك.. مايروحش أماكن زى دى..

الناس هي اللي تروح له لغاية عنده.. وزن ثقيل بقه..

أحمد: مُمكن يوصلولك؟

هز علاء رأسه وابتسم ابتسامة غريبة: احتمال.. فيه ناس كثير تحب
تخدم..

أحمد: طب ما كفاية لحد كده؟

علاء: ماتخافش.. أنا برضه عامل حسابي.. رقم الخزنة ١٩٣٣..

سنة ميلاد أبويا.. إفتكر كويس.. وده توكيل منى ليك عشان

يرضوا يفتحوا لك الخزنة.. مش أى توكيل لازم توكيل فيه بند

البنوك.. أنا كحت اسم البنك كمان من على المُفتاح، مش

فاضل غير رقم الخزنة.. يعنى لو نسيت البنك انتهت.. بنك

القاهرة..

هز أحمد رأسه بلا تعليق ، وهو يدس المفتاح والتوكيل في جيب بنتلونه
بانزعاج قبل أن يودعه . . لم يرتح لتلك النظرة في عينيه وهو ينزل السلم . .
ظل طوال الليل يُدخن السجائر حتى لم يعد هناك مكان في الغرفة ليُطفىء فيه
واحدة إضافية . .

أفلقت كلمات علاء . . لم يكن ذلك الوثائق المتحدى الذي رآه أوّل
مرة . . كانت في عينيه رعشة . .
في النهاية غلب أحمد النوم . . بعد أربع ساعات ، كان موعده مع غادة . .
غادة الكاميليا . .

.....

وسط الشوارع الهادئة كانت ترقُد . .
تحوطها الأشجار من كل جانب . .
كُلِّية الفنون الجميلة . . قلب الزمالك الجميل . .
الساعة ٤٠ : ٩ صباحاً . .

لم يكن موقف المبنى باص يبعد عن الكُلية . . نزل أحمد حاملاً حقيبة
الكاميرا يرتدى نظارة سوداء تبدو أصلية . . اشتراها ذات يوم من عند "
عمد عصفورة " زميل كُلية التجارة، ابن أكبر مستورد للنظارات الصيني
١. سصر . . دفع فيها عشرين جنيهاً . . يلبسها في مناسباته الخاصة . .

لم ينس أن يلبس القميص الأسود، الذي يشبه كثيراً قميص عمرو دياب
١. فيديو كليب قمرين، ويضع عطر "Hugo" المضروب . . عندما اقترب
من الكُلية، أخرج منديلاً ورقياً ومسح حذاءه الأسود اللامع وتأكد من ولاء
شعره للاتجاه المتفق عليه . . كان يشعر بإثارة غير عادية وهو يعبر البوابة بعد
أن سأل الأمن عن مكان كورس تنمية القُدرات الفنية للأطفال : خُش على
المول شمال تحت البرجولة . .

مشى على نبضات قلبه حتى لمحها من بعيد . . تجلس على الأرض
حلسة عروس بحر تستند بيد على الأرض، وترسم بالأخرى . . بجانبها
ملفلة صغيرة ترسم لها شيئاً على لوحة بيضاء بفرشة رسم كبيرة . . كانت
تداعبها وسط خمسة عشر طفلاً وطفلة آخرين . . لم يقاوم كثيراً . .

أخرج الكاميرا وصوّب تجاهها من بعيد . . انتظر ابتسامة وسرق لحظة . .
لحظات . . وضع الحقيبة على الأرض ، وضغط زر عرض الصّور في خلفيّة
شاشة الكاميرا . . كان ما ظهر أمامه لا يُمْتّ بصلّة إلى ما صوّره . . لقطات
مُتتابعة وراء بعض كشريرت السينما لحسام . . حسام مُنير . . صديقه !
آخر ثانيتين له قبل أن يلقي قدره من زاويته التي كان يختبئ فيها خلف
الرُّجّاج في بلكونة بار فير تيجو . . ينظر في عين الكاميرا لقطّة وراء لقطّة . .
يفتح فمه تدريجياً الصّورة تلو الأخرى في صرخة صامتة . . سرت قشعيرة
هائلة في جلد أحمد الذي بدا أشبه بجلد الفرخة بعد نتفه . . ضغط بعصبية
على زر العرّض . . أخذت الصّور تتابع ، الصّورة وراء الصّورة حتّى سقط
حسام أرضاً حين ظهر انعكاس في المرآة . . انعكاس القاتل . . توارت عدسه
الكاميرا خوفاً في ثلاث لقطات للنيل . . كان هناك شخص . . شخص أنيق
يقف مُستنداً على السور . . ظهره للنيل يتسم ويدخن سيجاراً . . بيده
خاتم محفور فيه حرف " G " . . فتح فمه ليتكلّم . . كان يقول شيئاً .
كلمة . .

شعر أحمد بصوت هادر يمر من جانب أذنه . .
صوت فرملة تصرّخ . .

كان ذلك صوت سيارة مُسرّعة مرّت من جانب الميني باص الذي رفع
رأسه ليجد نفسه لا يزال يركبه . . مرّت دقيقة قبل أن يستوعب أنّه غفا
سانداً رأسه فوق رسغه على ظهر كرسي أمامه ، واضعاً الكاميرا على حجره
في طريقه إلى الزمالك للملاقة عادة . . شعور بثقل غريب جعله يغفل
للحظات كانت كافيّة ليرى فيها تلك الرؤية الغريبة . . جبينه كان أحمر

محفوراً فيه خطآن ودائرة من أثر وضع دماغه فوق كُم القميص وزره . . يبدو أنه بقى على هذا الوضع أكثر من رُبْع ساعة . . كان ينهج . . خلع نظارته ومسحها وهو يستعيد تلك اللقطات التي رآها في الكاميرا . . بدا مأخوذاً . . وجه حُسام وذلك الشيطان الذي ابتسم له . . حاول أن يتذكّر . . كان يقول له شيئاً . . كلمة ما . . لا يتذكّر . . استعاذ بالله من الشيطان وردد آية الكرسي . . كان المينى باص قد وصل إلى آخر محطاته . . شارع أبو الفدا . . اسم مُصطفى كامل الحركي أيام النضال الوطني . . ظل يمشى مُحاولاً التخلص من تأثير الحلم الأشبه بِحُقنة بنج الأسنان حين داس في بركة صغيرة من المياه تحت الرصيف . . وقف ليمسح حذاءه؛ وكأنه يرى الحلم مرة أخرى . . المنظر نفسه . . كأنه فيلم يُعرض ثانياً . . نظر في ساعته . . كانت العاشرة . . مدّ قليلاً ليصل إلى الكلية في ميعاده . .

صباح الخير . . كورس قدرات التنمية الفنيّة . .
أجابه رجلٌ أمن سئم أمثاله : تنمية القدرات الفنيّة . .
أحمد : أيوه هو ده . .

أشار إليه رجلٌ الأمن إشارة تعنى أن غور من هنا داهية تاخذك إنت واللي باعتك : إنتفضّل جوّة على الشمال . . تحت البرجولة . .

شكره أحمد ومشى سريعاً قبل أن يُصبيه برصاصة في رأسه أو ما شابه . .
كما رآها في رؤيته . . حولها الأطفال ترسم لهم شيئاً لم يره من مكانه . .
كانوا يضحكون . . يُشيرون بأيديهم إشارات تُشبه إشارات السصم والبكم . . حركة وصخب غاية في الهدوء . . منظر جميل من فيلم صامت . .
كانت عادة أيضاً تُشير إليهم بالإشارات نفسها . . لم تشعر به وهو يُخرج

الكاميرا ويصوّب العدسة ناحيتها . . صورها وهي تضحك . . ترسم . .
تُشير بيدها . . بدت مُحترفة . . كان الأطفال يتهافون عليها . . كُلّ منهم
يُربها رسمته لكي تُضيف إليه فكرة . . صور كُلّ ذلك من بعيد ثمّ حمل
الكاميرا واتجه ناحيتها . .

كانت تُعطيه ظهرها حين ناداها بعد أن مسح بيده على شعره: ما كنتش
أعرف إنك بتتكلّمي بالإشارة . .

لم تُجبه . . كانت مشغولة في رسم وردة صفراء كبيرة لفتاة صغيرة تقف
بجانبيها . . صنع أحمد كُحّة مُصطنعة وردد: باين عليكى فتانة . .

هل ألقى أحدكم من قبل حجراً في بئر ولم يسمع صوت سقوطه؟
لاحظت الفتاة الصغيرة أنه يُريد عادة، فأشارت بأصابعها خلف كتف
عادة أن هناك من يقف خلفك . . التفتت إليه . . كم بدت سعيدة حين
رأته . .

ابتسمت فبانت أسنانها المرصوفة كأَسنان المشط قبل أن تُجيبه: واقف
من بدري؟

سكت قليلاً يتأمل عينيها: يعنى . . خمس دقائق . .

عادة: إيه رأيك في المكان هنا؟

أحمد: تُحفة . . أنا أوّل مرّة آجى بصراحة . .

عادة: دى كُليتي يا سيدي . .

أحمد: أنا صورتك من بعيد . . شوفى . .

الحنى يلتقط الكاميرا وهو يسألها: بس إنتى إنعلّمتى إزاي لُغة الإشارة؟

لم تُجبه فرفع رأسه وسألها: مش عايزة تقولي؟ سر المهنة هه؟

غادة: نعم!

أعاد أحمد بسرعة سؤاله، وهو يلتقط قطعة فُماش لتنظيف العدسة:
أنت بسألك على لغة الإشارة.. إتعلمتيها إزاي؟
أشارت إليه بيدها: إنكلم واحدة واحدة..
لم يفهم أحمد..

غادة: لازم أشوفك وإن بتكلم.. أقرأ شفائيفك..
استوعب أحمد الأمر في لحظة.. هربت عيناه إلى لوحة صغيرة مُعلقة على
حامل كُتب عليها: كورس تنمية القدرات الفنية لأطفال الصم والبكم..
كانت تنظر في عينيه مباشرة.. بدت قوية ثابتة لا يعينها إن استاء أو
راجع.. بتبسم الابتسامة الهادئة نفسها رغم اختبارها لكل خلجة في
وجهه.. باحثة عن راية الانسحاب البيضاء..

شعر أحمد بشعور "جمعة الشوان" وهو جالس على جهاز كشف
الكذب في مُسلسل "دموع في عيون وقحة" الذي يعشقه عشق الإبل؛ إن
كان لها عشق: بتحب مصر؟ أكيد.. طب بتخونها ليه؟ أنا مش بخونها أنا
دده بحميها.. بتحب فاطمة؟ أكيد.. طب وجوجو أم شعر أصفر كنيش؟
جوجو دي حاجة تانية..

على وجه أحمد ظهر الجواب.. ابتسامة تقول لها: إني لا أعبأ.. بل
حتى لو دهستك دبابة "تى ٦٢" روسى مدفع واحد لما رفضتكم.. اقترب
أحمد منها وتكلم بوضوح: عندي كلام كثير أوى..
ابتسمت: بعد الكورس..

ظل الكورس قُرابة ساعة ونصف الساعة . . عالم آخر من البراءة الصامته . . كانت غادة الملهمة فيه . .

كُلّ التفاتة كانت صورة . . سجّل لها كُلّ شيء . . صور الأطفال . . اللوحات . . أياديهم المُلطّخة بالألوان . .

يديها وهي ترسم . . ابتسامتها . . صورة لها وهي تُدغدغ طفلة . . تضحك مثلهم براءة . . كانت كصفحة بيضاء . . لا خُبث فيها . . تنظر إليه دائماً بعيون مُبتسمة شاكرة لوجوده . . علّمته بعض الإشارات ليتفاعل مع الأطفال . . لطفه طفل مُشاغب بلون أحمر في أنفه . . لدّهشته وجد نفسه يضحك . . لأنّها كانت تضحك . . في ظروف أخرى كان سيئده في التراب . وئد بنات الجاهليّة على فعلته ويبنى عليه بيتاً، لكن اليوم كان يضحك من القلب . . ساعة ونصف الساعة مرّت كأنّها عشر دقائق . . ملّمت غادة بعدها الألوان والفرش المُبعثرة، وبدأ الأهالي يتوافدون لالتقاط زهراتهم . . قبلت كُلّ الأطفال قبل مُغادرتهم . . تكلمت مع بعض آبائهم وأمّهاتهم الذين بدوا يألّفونها كثيراً حتّى وجدها تقف أمامه . .

لم يجد ما يقول غير: تاكلى آيس كريم؟

كان محل "كول" قريباً من الكليّة . . مسافة شارعين . . مشوا صامتين حتّى وضع أمامهم كأسين على ترايزة زُجاجيّة، فوقها صُحبة ورد وسط روائح الفانيليا والشوكولاتة والكراميل . .

ظلّ أحمد ينظر إلى شارب الفراولة الصغير الذي نبت فوق شفيتها . . لاحظته وهو يُشير على فمه أن امسحي . . ابتسمت خجلاً ثمّ سألته: إيه رأيك في الكورس؟

أحمد: صدّقيني أنا عمري ما حسيت إني مبسوط زى النهارده . .
ضيقّت عينها مُبتسمة: مُمكن تحكيلى بقى إيه حكايك؟
أحمد: اسمى يا ستّى أحمد كَمال . . مولود فى السّيّدة بتاريخ ١٤-٢-
١٩٧٧ يوم عيد الحُب . .

عندي أخت واحدة اسمها آية . . هحكلك عليها بعدين . .
فى اهتمام أنصتت . . حكى لها عن حياته وظروفه، بدون الجانِب
الغامض فيها طبعاً . . أضحكها كثيراً على حاله . . مواقف مأساوية يسردها
شكل كوميدى مثل الإسهال الذى باغته فى الأتوبيس وهو قادم ذات مرّة من
الغردقة ولم يكن هناك حمام، وينظفونه الذى تمزّق أثناء انحنائه على طفل
نلاعبه فى وسط مطعم شهير، والحمامة السّي اختارته من دون الموجودين
كلّهم لتُضفي عليه شرف الكسوة . . وعم "عطالله" بائع اللبن السلطة الذى
نُشبه كثيراً "آل باتشينو" . . جعلها تشاهد صورته فى الثانويّة العامة، تلك
الصورة التى تُصبح عاراً على صاحبها كلّما مرّت السنين . . ذلك الشارب
الأشبه بهيش الجنيّة والنظارة الكبيرة التى تتدلّى حتّى نصف الخد على ذلك
الوجه الأقرب إلى الهيكل العظمى، وهضبة الشعر العالية "المتشورة"،
وتُفاحة آدم البارزة كقُمع المرور البرتقالي، الفانلة الـ "WINNER"
البيضاء "أمو ٢١ جنيّه" المطبوع عليها صورة لفريق "IRON
MAIDEN" أو صورة بالمايوه لماريا كارى . .

حكى لها أيضاً كيف رآها أوّل مرّة وظل يُراقبها مُراقبة الطفل لهديّة
نجاحه تحفيزاً للمُذاكرة . . تورّد وجهها فاكتملّ جماله . . سكّت أخيراً
فأذلت عينها عن شفّتيه ودارت فى وجهه . .

أحمد: صدعتك ..

غادة: خالص ..

أحمد: مُمكن أعرف بقى اللي مدوْخانى دى تطلع مين؟ لو بابا وزير
إدّينى بس فُرصة أهرب ..

غادة: بابا الله يرحمه ..

سقط بوتاجاز عرض ٩٠ سم إشعال ذاتي على رجله: أنا آسف ..

غادة: مات وأنا عندي ١٢ سنة .. ماما بتشتغل في وزارة الصّحة وعندي
أخت واحدة .. ميادة .. النسخة الشقية منى .. توأمي زى ما
أخذت بالك ..

أحمد: آه ده كان يوم صعب أوى .. كُنت خلاص همشى ..

ضحكت غادة: أنا مستغربة اللي إنت عملته ده!!

أحمد: ما كانش عندي حل تانى وبعدين خُفت تكسفينى ..

غادة: طريقتك كلاسيك أوى .. Old Fashion ..

أحمد: الله يخليكى ..

غادة: ده مدح ..

أحمد: إحكي لى عن نفسك ..

غادة: أنا إتخرّجت من كلية الفنون سنة ٢٠٠٣ .. إتقرت فتحتي على

واحد قريبي .. ابن عمى .. ست أشهر بس .. ماستحملناش

بعض .. عُمره ما كان هيفهمنى .. هو في وادي وأنا في وادي ،

وبعمل الكورسات دى من ساعة ما إتخرّجت عشان الأطفال ..

أكثر حاجة بجزبها في حياتي . . وبشتغل في الجاليري . . بصراحة
بحاول أشغل كل وقتي . .

أحمد : شكلك كان حلو أوى معاهم . .

غادة : أنا الوحيدة اللي بتفهمهم . . بحس بيهم . . همّا كمان عارفين
ده . . إحنا أصحاب أوى . .

الموضوع ده " كانت تُشير لأذنها " جالى من زمان أوى . . كُنت
سُغيرة . . خمس سنين تقريباً . .

قاطعها أحمد : أنا شايف إنها ميزة . .

شعرت غادة بمُجاملته فأجابت بسُخرية : أكيد . . أكيد .

أحمد : طب والله ما بهرج . . أولاً الدنيا بقت زبطة جداً . . إنتى عندك
أوبشن تتحكمي في الصوت . . توطيه وتعلّيه . . تصبغيه
وتكويه . . براحتك . . ثانياً بتكلمى لغات . . إنجليزي
وإشارة . . عايضة إيه تانى . . تسلكى في أى حتة . .

ضحكت غادة : أنا برضه بقول كده . .

أحمد : عارفة إنك جميلة أوى؟

كان مُباغثاً . . تسلّل اللون الأحمر إلى وجنتيها سريعاً فلم تردّ . . حاول

تغيير الموضوع لتهداً وجنتها : عجبتك الصوّر بتاعت الأستوديو؟

غادة : أوى . . عجبت ماما وميّادة كمان . .

ظلّ الكلام بينهم كالواج الهادئ . . حكّت له كثيراً عن حياتها . .

إحساسها بالوحدة . . عملها وأحلامها . . بُرجها الجوزاء . . بيتها ووالدها

وكم كان تأثيره عليها . . . حكي لها عن أخته . . . عن أصدقائه القليلين . . .
عن عمله وظروفه . . . تكلموا كثيراً حتى سكت الكلام . . .

أحمد: هسوفك تانى؟

غادة: الإسبوع الجاى . . بس المرة اللي جاية الكورس من الساعة تلاتة
لخمسة . .

أحمد: يبقى أشوفك الساعة تلاتة . . غادة أنا كنت عايز أقولك حاجة
قبل ما تمشى . .

نظرت له غادة بدون أن تتكلم . .

أحمد: إنتى مش مجبرة على أى حاجة . .

ابتسمت وودعته بهزة رأس وافترقا إلى لقاء قريب . . ركبت التاكسي إلى
شارع القصر العيني حيث تسكن وتمشى هو حتى وجد نفسه في ميدان
التحرير . . كان مملوءاً بالمشاعر المتضاربة . . خليط ما بين الفرحة واليأس . .
كانت بداخله علامة استفهام كبيرة تدق رأسه . . ماذا بعد؟ غادة؟ أخته؟
ظروفه المالية؟ هل معرفته بغادة محاولة لإنعاش ميّت؟ علاقة مكتوب
نهايتها قبل بدايتها . . فيلم يقتل فيه البطل في أول مشهد . . داهمه ثقل
غريب في صدره . . لم يكن يتوقع أن تسوء حالته هكذا . . كان يعرف أنه لا
يملك غير قوت يومه . . كان يعرف أنه غير مستقر . . بلا طوق نجاة . .
انحدرت دمعة من عينه علقت بزجاج نظارته فأصبح يرى الشارع كأنه سمكة
في حوض . . حاول نسيان همومه . . وضع التليفون على أذنه وطلب
علاء . . لم يجب . . أغلق الخط ، بعد دقيقتين جاءته رسالة . . " هكلمك
أنا من تليفون تانى بعد ٥ دقائق " . . بعد عشر دقائق طلبه رقمًا أرضى . .

جاء صوت علاء مكتوماً: كويّس إنك اتصلت ..

أحمد: مالك .. فيه حاجة؟

علاء: قريت جرايد النهارده؟

أحمد: خالص .. فيه إيه؟

علاء: " وقفوا الجُرْنال .. أمر قضائي ..

أحمد: الحُرّيّة؟

علاء: لأ .. الجيل الحُر .. ابن الكلب ليه معارفه .. قضية تشهير في

يومين؟؟ أمر جاي من فوق ..

شمعوا الجُرْنال وصادروا مكتب رئيس التحرير ..

أحمد: طب والصوّر؟

علاء: عندهم جُزء كبير منها ..

أحمد: إنت بتكلّمني ليه من تليفون تاني .. إنت شاكك في حاجة؟؟

علاء: رئيس تحرير الجيل الحُر اسمه سعيد مأمون مش الشحات

مبروك ..

أحمد: يعني إيه؟

علاء: يعني زى ما قال صاحبك .. هينطق قبل أول ألم ..

أحمد: إنت فين دلوقتي؟ هعرف أشوفك؟

علاء: بلاش اليومين دول .. مش ضامن يحصل حاجة .. أنا

هكلمك .. ما تتصلش إنت بيا ..

أحمد: لو حصل حاجة هعرف إزاي؟

علاء: أنا هكلمك .. سلام بقى دلوقتى .. آه .. أحمد .. ماتنساش
عيد ميلاد أبويا الحاج .. هيزعل أوى لو نسيت .. لازم تروحله
هه .. الحاجات اللي عندك كمان خد بالك منها ماشى ..
فهم أحمد قصد علاء: أكيد .. فاكر .. فاكر ماتقلقش .. إنت بس
خلى بالك من نفسك ..
علاء: سلّم لي على صاحبك التخين ..
أحمد: يوصل .. سلام ..
أغلق أحمد الخط .. تلك اللمة السهارى الحمراء بداخله السى بدأت
تومض .. لم تكن تُخطى كثيراً ..
أخذت تُعطى ضوءها القانى بداخله .. كان لها أزيز مُتقطع .. حاول
إطفاءها .. إخمادها .. كسرهما ..
لم يستطع .. ظلّت تدوي مُثيرة أعصاب قولونه بأزيزها الذي يقول أن
شيئاً ما سيحدث .. شيئاً كبيراً ..

.....

على السجادة الحمراء أخذت الخطوات السريعة تدب من نعل إيطالي
السلي ، صنع نغمة أشبه بدقات الساعة التي كانت تُشير الآن إلى التاسعة
.. مساءً في مكتب "صفوان البحري" ..

انفتح باب المكتب ليدخل منه مصطفى عارف حاملاً دوسيهًا كبيراً
نسخاً بالأوراق : مساء الخير يا فندم ..

بدا صفوان في غاية التوتر وهو يجيبه : ها عملت إيه؟
مصطفى : كلّه تمام .. الورق التي كان في مكتبه معنا .. بس فيه
حاجة ..

صفوان : إيه؟

مصطفى : الورق ده نسخة .. نسخة من أصل مش موجود .. إحنا
مسحنا المكتب كلّه .. ثلاث أوض بالكمبيوترات اللي فيها
وخزنة في مكتب سعيد مأمون .. مفيش أصول ..

صفوان : تقصد إيه؟

مصطفى : يعني ممكن تكون في بيت أو مع أي حد تاني بعيد عن
الجُرْنال .. ده احتمال .. أو إن مصدرها الأساسي من برّة
الجُرْنال أصلاً وهو اللي باعث كل المعلومات دي وأكيد هيحتفظ
بالأصول لنفسه ..

صفوان : رئيس التحرير ماتكلمش ..

مُصطفى : لغاية دِلوقتي لأ . . يقول إن المعلومات دى جاتلُه مس
مجهول . .

صفوان : ورّينى الورق اللي لقيتُه . .

وضع مُصطفى الدوسيه أمام صفوان الذي فتحه وأخذ يقلب الورق في
عصبية ، حتّى سقطت عيناه على صور بار "فيرتيجو" . . أخذ يُطالعها
أكثر من مرّة . . لم يكن هناك ما يُقال . . كانت قُبلة يدوية بدون فتيل . .
رواية كاملة للحادث من وجهة نظر شاهد عيان ، وصور تتحدّث عن
نفسها ، ووجه رجل من رجاله . .

نحّماها جانباً بصعوبة ، وأخذ يطالع بعض الورق والمستندات حين تركه
مُصطفى . . أخذ صفوان يقرأ . . لا يعرف كم قضى من الوقت . . ربّما
ساعة ونصف الساعة من السجائر وفناجين القهوة . . كان الوحيد الذي
يدرك خطورة هذه الأوراق . . الوحيد الذي يعرف أن كُل كلمة في ذلك
الورق حقيقية . . حقيقية بشكل مُذهل . . كان يملُك دُرُجاً من الملقّات يحوي
النُسخ الأكثر تفصيلاً للمذكورين أمامه في الورق . . ملقّات الصفوة . .
الأسماء التي تعلقو كوبري ستّة أكتوبر ، وتطغى على إعلانات التلفزيون
والشوارع . . ملفاتهم الكاملة . . أخطائهم التي ترقُد في سبات تنتظر إشارة
لتنهشهم في أى وقت . . بُندقية حارس السيرك التي تنتظر أن يخرج الأسد
عن طوع المُدرّب لترديه في لحظة . . كما أدرك في داخله شيء واحد . . أدرك
أن من صنع ذلك الملف لم يعد لديه ما يخسره . . لشدّة تركيزه ، لم يشعر
بُصطفى الذي قرع الباب ودخل يسأله : تعليمات سيادتك؟؟

صفوان : الورق ده مش مجهود شهر والا إثنين . . ده واحد شغال بقاله
أكثر من ٣ سنين . .

فيه ملف كامل عن "العسل" وشركاته . . إحصائيات وتقارير صحية
توديه في داهية وصور مع حريم . . "حبيب شريف أمين" كمان، هو وأبوه
كل أملاكهم ونشاطاتهم وبرضه صور ليه مع حريم . . فيه كام عضو مجلس
شعب كمان شارين شوية أراضى من المتر بنص جنيهه وبرضه صور مع
نسوان . . مش ملاحظ إن دى غريبة شوية؟؟ أقصد صورهم المكررة مع
النسوان . . يمكن الوحيد اللي مالوش صور "أيمن وصفى" . . إنت عارف
ده مستوى تانى وقربه من الباشا كفاية . . بس برضه فيه معلومات هنا تضرة
لأقصى حد . . فيه ورقة هنا عن صفقات سلاح مع إسرائيل . . دى
كفاية . .

مصطفى : هيا غريبة فعلاً . .

صفوان : مصدر الصور دى غير اللي كاتب الكلام ده . . شخصين مش
شخص واحد . . الصور ما تمسش بأي صلة للكلام المكتوب . .
صور خطيرة آه . . بس كلها في مكان واحد تقريباً . . اللي صور
مرتبط بالمكان . . ثابت فيه . . ما بيصورش غير المتردين عليه . .
لكن اللي كتب المواضيع دى حر . .

يمكن يكون لقاهم أو يمكن اشتراهم . . الوحيد اللي ما يروحش أماكن
زى دى أيمن وصفى . . لذلك مالوش صور . . ليه ملف بس . . فهمت؟
إنت قلت لي إنك سألت في الكازينو عن المصور اللي هناك؟
مصطفى : حصل يا فندم . .

صفوان : أكيد هو مصدر الصور دى . . فيه صور قديمة لفتحي العسال.
مثلاً قبل الموبايل وفيه صور جديدة . . ده حد قاعد . . حد شغال,
من فترة كبيرة هناك . .

مُصطفى : المصور اللي كان هناك يا فندم اسمه جودة . . توفي من فترة ،
حادثة . . بس فيه شاب تانى إشتغل معاه كام شهر بس مشى
وعرفنا إنه سافر بعد كده السعودية . . عقد عمل . .

صفوان : إتأكدت من مصلحة الجوازات؟
ضغط مُصطفى على أسنانه : بصراحة لأ . . بس فيه جواب بعته لواحد
شغال هناك بيحكيه عن سفره وشغلُه في شركة بترول في
السعودية . .

صفوان : أشك إنه يقدر يسافر بسرعة كده . . التأشيرات مش سهلة
ولازم يغير بطاقته لوظيفة عامل . . ده بياخد وقت . . غير
التأشيرة نفسها . . إتأكد من الجوازات . .
مُصطفى : اعتبره حصل يا فندم . .

صفوان : جودة ده كمان . . مالوش قريب؟ صديق؟ حد يعرفه؟ أى
معلومات . . عايز أعرف أى تفاصيل عنه قبل ما يموت . . آخر
أيامه . . ده إذا كان مات فعلاً!!

مُصطفى : نتأكد يا فندم . .
صفوان : يفضل عندنا حاجة . . اللي كتب الكلام ده صحفى . . إسلوبه
باين . . فضح نفسه . .

عرفت أى معلومات عن علاء جمعة اللي طرده جلال مرسى؟

مصطفى : بعمل تحريات يا فندم عشان أجيب عنائه . .

اشتدت نبرة صوت صفوان : إزأى لغاية دلوقتي ما عندكش عنائه؟؟

مصطفى : العنوان الموجود في الجرنال وفي البطاقة سألنا فيهم ، قالوا كان

ساكن هنا ومشى ، نقل سكنه من حوالي ست أشهر لمكان غير

معروف ، هنسق مع شركة الاتصالات يا فندم يحددوا موقعه . .

المسألة مسألة وقت . .

صفوان : هو أكيد خايف دلوقتي . . هيخاف يعمل خطوة جديدة قبل ما

الجو يهدأ . . ده يدبنا شوية وقت بس مش كتير . . العنصر ده

لازم يتراقب الأول كويس . . في إحتمال كبير ما يكونش

لوحده . . حاجة كمان . . خليه يسيبوا رئيس تحرير الجليل الحر

النهاردة . . أكيد هيحاول يكلم المصدر بتاعه . .

مصطفى : أو كيه يا فندم . . حضرتك إعتبر كل ده في حيز التنفيذ . .

صفوان : مفيش حد يمشى النهاردة لغاية ما يبقى فيه معلومات يا

مصطفى . .

مصطفى : أوامر سعادتك . . قالها وانسحب بهدوء . . أغلق الباب على

صفوان الذي أشعل سيجارة ودفن وجهه بين الملفات تأكله

المخاوف كأكل الأرضة لعصا سيدنا سليمان . .

.....

في تلك الليلة نزل المساء على ضاحية مصر الجديدة كما لم ينزل من
دبل . . أسود حالك لا أمل فيه . . لا قمر فيه . . كانت الساعة قد تعدت
الحادية عشرة مساءً حين اقتربت سيارة مرسيدس " S-500 " سوداء من
باب فيلا بيضاء غاية في الأناقة والهدوء . . اقترب حارس من السيارة ليتأكد
من الشخصية التي بداخلها التي بدت مألوفة . . ابتسم لها وأعطى إشارة
بده في اتجاه كاميرا المراقبة فانفتح الباب لتدخل السيارة . . لحظات قبل أن
يعود الفيلا لما كانت عليه من هدوء . .

بالداخل كان هناك مطلع يوصل إلى باب الفيلا الضخم . . تهادت
السيارة حتى وقفت في هدوء . . نزل السائق وفتح الباب . . دق الأرض
نعب عالي أسود رفيع يكاد يصلح سلاحاً أبيض ، على رأسه خلخال ذهبي
رقيق يحيط ساقين شديدي النعومة من أثر عناية يومية . . فُستان أسود
وعنق ذهبي . . قرط لامع يظهر في الإعلانات الخليجية ووجه ناعم أبيض
مألوف . . وجه " سالي " . .

في أي فيلم عربي محترم كان سيستقبلها " زكى رُستم أو عباس فارس "
مرتدياً روب دى شامبر ، تحته القميص الأبيض والإسكارف الأحمر الداكن
والخذاء البانص الفيرنيه أبيض في أسود ، ويُمسك بسيجار فخم وهو يقول :
اهلاً يا شيرى . . ممنون أوى إنك قبلتى دعوتي . . أنا إستنيت اليوم ده بفارغ
الصبر . .

ثُمَّ يَلْتَمِسُ يَدَهَا وَهِيَ تُجِيبُهُ بِدَلْعٍ : أَوْوهِ إِكْسِيلَانَس . . طَوَّلَ عُمُرَكَ ذَوْق . .
ثُمَّ يُشِيرُ إِلَيْهَا الْإِكْسِيلَانَس إِلَى الْفِيَلَا فِي إِحْدَاثِ نَعْمَةٍ : إِيهِ رَأَيْكَ فِي
السَّرَايَا بِتَاعَتِي؟

تُجِيبُهُ بِإِعْجَابٍ مُبَالِغٍ : بَدِيع . . مَدْهَش . . أَوْرِيْجِيْنَال . . تَرِيْ شِيْكَ . .
الْإِكْسِيلَانَس : صَمَّمَهَا لِي مُهَنْدَسٌ إِيطَالِي . . أَخَذَ فِي التَّصْمِيمِ بِس
" وَيشَدُّ حَتَّى تَوْشَكَ الْأَوْرَطَى عَلَى الْإِنْفِجَارِ " أَلْفَ جَنِيهِه . . دَهْ غَيْرِ
التُّحْفِ . . كُلُّهَا مِنْ أَوْرُوْبَا . . إِنْفَضَّلِي . . إِنْفَضَّلِي . .

لَكِنِ الْيَوْمَ لَمْ يَكُنْ فِي اسْتِقْبَالِهَا سِوَى " أَيْمَنَ وَصَفَى " . . أَكْبَرَ تَاجِرِ
سِلَاحٍ بَعْدَ تَصْفِيَةِ إِمْبْرَاطُورِيَّةِ " مُحْيَى ذَنْوَن " وَسَفَرِهِ لِلخَارِجِ . . رَشِيْق
وَسيِمٍ فِي بَدَايَةِ الْخَمْسِيْنِيَّاتِ يَرْتَدِي قَمِيصًا لَبِيْنًا أُنَيْقًا وَبِنِظْلُونٍ قُمْأَش
أَسْوَد . . شَعْرُهُ خَلِيْطٌ مُنْسَقٌ مِنَ الْأَسْوَدِ وَالرَّمَادِي . . يَرْتَدِي سَاعَةَ رُوْلِيْكَسِ
حَدِيْثَةٍ وَسُوْرًا طَبِيًّا مُمَغْنَطًا مِنَ الْفِضَّةِ ، كَانَ مُنْتَظِرًا سِيَّارَتَهُ وَهِيَ عَائِدَةٌ تَحْمِلُ
تِلْكَ الْفَاتِنَةَ . . اقْتَرَبَ مِنَ السِّيَّارَةِ يَلْتَقِطُ بِيَدِهَا وَيَلْتَمِسُهَا وَهُوَ يَنْظُرُ فِي عَيْنَيْهَا
مُبَاشَرَةً : جَمِيْلَةٌ . .

سَالِي : مِيرَسِي يَا بَاشَا . .

التُّفْتُ يَدُهُ حَوْلَ خَصْرِهَا وَهُوَ يُشِيرُ إِلَيْهَا أَنْ تَفَضَّلِي . . انْسَحَبَتِ السِّيَّارَةُ
وَإِنغَلَقَ الْبَابُ . .

فِي الدَّخْلِ ، كَانَتِ الْفِيَلَا غَايَةَ فِي الذَّوْقِ . . رِيْسْبِشْنِ أُنَيْق . . دِيْكَوْر
مُودْرِن . . رُخَامٌ إِيطَالِي لَامِع . . وَتُحْفٌ أَصْلِيَّةٌ يَتَوَجَّهًا تَابِلُوَهُ كَبِيْرٌ فِي صَدْرِ
الْعُرْفَةِ يَكَادُ عَرْضُهُ يَتَجَاوِزُ الْأَمْتَارَ السَّبْعَةَ يُمَثِّلُ لَوْحَةَ
الْجُورْنِيْكَا " Guernica " الَّتِي رَسَمَهَا بَابَلُو بِيْكَاسُو سَنَةَ ١٩٣٧ . .

ومكتبة كاملة للأسلحة . . مُسدّسات وبنادق عتيقة ترجع بعض القطع فيها إلى القرن الثامن عشر . . كانت الفيلا من الداخل كالمتحف . . موسيقى هادئة تنبعث من مكان ما ، وبار يحمل زجاجات أنيقة وكؤوساً لامعة . . سحبها من يدها ودخل عُرفة بها مدفأة كبيرة وشاشة ١٠٣ بوصة مُعلّقة على الحائط ، تعرض مناظر طبيعية مُتتابعة مُريجة للأعصاب أمامها كُرسیان متّخمان بريش النعام المُغطى بالجلد بيدوان كأكياس مملوءة بالماء يغطس بداخلها الجالس . .

ضُغط على زر في الحائط فهدأت الإضاءة تدريجياً قبل أن يسحبها من يديها ويجلسها فوق إحدى الشلّت . .

أيمن : تشربي إيه؟

سالى : اللي هتشرب منه . .

اختفى عنها لحظات أخذت تتأمل فيها المكان من حولها منبهرة بالديكور . . حتى عاد وفي يديه زُجاجة فخمة وكأسان عريضان : موتون روتشيلد بويلاك ٧٩ . .

قالها بلكنة فرنسية مُتمرسّة . .

شابلها للحظة تستاهل . . جبتها من باريس آخر مرة . . دس الفتاحة الحلزونية . . لقتها ببطء وشدها بحجرة فصنعت طرقة مكتومة . . تناول كأساً وصب لها ثمّ لنفسه . . تجرّعته هي فيما وضع الكأس هو تحت أنفه وأغمض عينيه وسحب نفساً عميقاً إلى رثته ثمّ شرب : ٢٨ سنة متعتقة في بدموم في نيس في فرنسا . . إنتى بتشربي واين مستيكي من قبل ما تتولدي . . أد إيه الحياة غريبة . . مش كده؟؟

هزّت سالي رأسها مُبتسمة: المكان هنا شيك أوى . . ذوقك يخبل . .
أجابها بابتسامة: إنتى لسه ما شفتيش حاجة . .
سالي: عايزة أنفّرَج . .
أيمن: تعالى . .

قامت تخلع جزمتهما العالية: تسمحلى؟
أجابها في جيتيلمانية: لو سمحتى . .
خرج بها إلى تراس آخر مُمسكًا كأسه . . بدا مكانًا أكثر أناقة
وخصوصية . .

أخذت أصابع قدميها تغرّز في السجّاد الشيرازى وهى تسأله: إنت
عايش هنا لوحذك؟
ضحك أيمن: يعنى . .
سالي: مراتك فين؟
أجابها: بقالها شهرين في أوروبا . . شويج . .
سالي: باين عليها بتحبك أوى . .
أيمن: ما عنديش شك . .
سالي: واثق فيها؟؟

أجابها وهو يضع كأسه إلى جانب جهاز ستريو ويضغط زرّه فانبعثت
مقطوعة هادئة . . سحبها من يدها وهو يتأمل أصابع قدميها . . ضمّمها في
وضع راقص فاستجابت له من دون مقاومة: الحُب حاجة والمتعة حاجة
تانية . . عارفة الآيس كريم؟ أهو إنتم زى الآيس كريم . . تقدرى كُل يوم
تاكلى شو كولا؟؟ تقدرى تعيشي عليها هى وبس؟ أشك . . أنا شايف إن

سش معنى إتنى بحب الشوكولا ببقى مقدرش أجرب الفراولة . . الفانيليا . .
الكرامل . . عشان أرجع تانى للشوكولا . .
سالى : واضح إنك بتحب الآيس كريم؟
أيمن : بعرف أقدر الآيس كريم . .
سالى : يعنى مثلاً الفانيليا . . تقدرها بكاهم . .
رفع رأسه إلى السقف مُظهِراً التفكير في أمر جد : بالمكسرات والا من
غير؟

سالى : بالمكسرات والزبيب والبندق . .
أيمن : لو خدت الفليفور اللي أنا عايزه . . حك أنفه في اللحظة التي
سببت فيها على أطراف أقدامها تنتظر جوابه . . ابتسم وقال :
شيك مفتوح . .
سالى : اتفقنا . .

انزلقت من بين يديه كالصابونة . . أخذت جرعة من كأسه وهى تتجه
ناحية الباب ثم التفتت : ما فرجتنيش إنت بتنام فين؟ والا أقول لك سيبنى
أنا أستكشف . . صعدت السلم فيما جلس يصب لنفسه كأساً أخرى ويمنى
نفسه ببولة الفانيليا بالمكسرات عندما رن جرس المحمول، أخذت الشاشة
تومض بكلمة رقم خاص : ألو . .

الصوت : مساء الخير يا أيمن بيه . . السكرتارية مع حضرتك . . عثمان
بيه عبد الرزق عايز يكلمك . .

أيمن : أو كيه . . انتظر قليلاً قبل أن يأتيه صوت عثمان الخشن : أيمن
باشا . . مساء الخير . . بدا الصوت مكتوماً يحمل رائحة
غامضة . .

أيمن : مساء الخير يا عثمان . .

عثمان : آسف يا باشا لو كُنت اتصلت في وقت غير مناسب بس فيه عندي أخبار مش كويسة . .

أيمن : خير يا عثمان فيه إيه؟ الباشا حصله حاجة؟

عثمان : الباشا بخير يا فندم . . أنا بكلمك بصفة شخصية . . الكلام ده بيني وبين حضرتك . . إنت عارف أنا بعز سيادتك قد إيه . .

ظهر على أيمن القلق الشديد . . أخذ الموبايل واقترب ليتكلم بجانب
افلدة : فيه إيه؟

عثمان : فيه أخبار إتسرّبت عن شغل يخص سيادتك . .

أيمن : شغل إيه؟

عثمان : صفقات خارجية . . سيادتك فاهمني طبعاً . .

سكت أيمن قليلاً فسأل عثمان : أيمن باشا . . سيادتك معايا؟

لم يحتاج أيمن لإيضاح أكثر : إتسرّبت على أى مستوى؟

عثمان : على مستوى الجرايد . .

أيمن : أنا ماشفتش حاجة النهاردة . . جرنال إيه؟

عثمان : لسه . . إحنا عرفنا بالتسرّب وبنحاول نعرف مصدره . . معانا

نسخ من الورق . . إتّما الأصول . .

قاطععه أيمن : الموضوع ده بقالُه قد إيه؟

عثمان : حوالي أربع أيام . . أنا حبيت أحذّر حضرتك . . لو فيه حاجة

تقدر سيادتك تعملها إعملها . . لأن الموضوع فيه أسماء تانية

غير سيادتك ووارد يتفتح . . الشخص اللي سرّب ده راصد

حركة سيادتك . . مفيش صور لكن معاه مُستندات . . فيه حد
سرّب ورق من عند سيادتك في الشركة . .
أيمن : مُتشكّر يا عثمان . . مُتشكّر . .

أغلق التليفون وذهب في اتجاه الباب . . نادي في الديكتيفون : كرم . .
إطلع لي بسرعة . .

في عُرفة النوم الفخمة ، جلست سالي على سرير ضخّم ترتدي بيبي دول
أسود . . شاحنة طاقتها القُصوى لتبدو عروساً في ليلة زفافها ، تنتظر " أيمن "
عندما سمعت وقع أقدام تقترب . . عدلت من وضع ساقها وتأكدت من
استقرار صدرها ، ونظرت في الاتجاه الآخر مُظهرة عدم الاكتراث عندما
سمعت : إحم إحم . . مدام سالي .

التفتت لتجد مدير المنزل . . انتفضت فتناولت مِخدّة ووضعتها على
صدرها في توتر : فين أيمن؟؟

مدير المنزل : أيمن باشا بيعتذر لحضرتك . . فيه ظروف اضطرته
يمشى . .

بدا على سالي عدم الفهم : هيتأخر؟؟

بدا عليه التشفّي : تقدرى تروّحى دلوقتى وهو هيتصل بيكى . . هو
ساب لحضرتك دى . .

ناولها مدير المنزل علبة قُطيفة سوداء مُتوسّطة الحجم وتركها . . ظلّت
فوق الدقائق الخمس مُتبيّسة في مكانها ، لا رد فعل لها غير كلمة أطلققتها
بخفوت : يا إبن الكاالب . . قبل أن تفتح العلبة التي تركها لها . .

كان يرفدُ بها خاتم من الماس لا يقل عن قيراط . . . جربته في يديها قبل أن تقوم لترتدي ملابسها وترحل . . .

كانت سيارة أخرى بي إم دبليو في انتظارها . . . استقلتها إلى البيت حيث كان في انتظارها " كريم أبص " . . .

في المهندسين كانت الحياة صاخبة رغم أن الساعة قد تعدت الواحدة والرُبُع في شارع جامعة الدول العربية . . . كمّية من السيارات الفارهة بلوحات صفراء؛ جُمرك السويس وسفاجا . . . مُخمّرات وجلابيب بيضاء وجينزات مُلتصقة وبطون عارية . . . شباب على النواصي بجانب محلات الأكل والعصير . . . مُسابقات سُرعة في وسط الطريق . . . مطاعم عامرة وكافيهات بالحجز مُقدّماً . . . كانت السيارة التي تُقل " سالي " قد اقتربت من شارع سوريا . . . جالسة في الخلف تتأمل الخاتم قبل أن تخلعه وتعيده للعبة مرة أخرى . . . نزلت من السيارة أمام عمارتها الفخمة مُسرعة واستقلت المصعد إلى الدور السادس . . .

كانت شقتها غنيّة مُتخمة بالأثاث . . . ديكورات فارهة . . . نافورة في الوسط ، وصور بورتريه ضخمة تملأ الحيطان ، وواحدة لها وهي ترقص على مسرح في بلد غربي . . . دخلت من الباب حيث كانت في انتظارها " مديحة " اللبّيسة . . . ناولتها الحقيية وخلعت حذائها تسأل : كريم فين؟

مديحة : قاعد معاه ناس جوّه . . .

سالي : إندهي له . . .

مديحة : حاضر . . .

توجّهت سالي إلى عُرفة النوم . . لم تُفت دقيقتان حتّى حصلها كريم . .
نان يرتدى ترينينج رياضياً أصفر . . وكانت هي تجلس على التسريحة . .

كريم : جيتي بدري يعني؟

سالي : اللي حصل . .

كريم : فيه إيه؟

سالي : معرفش . . فجأة إعتذر!!

كريم : قبل والابعد؟

سالي : معملش حاجة . . كُنت خلاص . . جالي واحد في السرير إدانى

الخاتم ده وإعتذر لي بالنيابة عنه . . مد كريم يده والتقط العلبه

من على التسريحة وفتحها : وبعدين؟

سالي : ولا حاجة . . روّحت . .

كان كريم منهمكاً في تأمل الخاتم قبل أن يُغلق العلبه ويضعها تحت

إبطه : تلاقيه جالّه حاجة مهمّة . . هيتصل تانى . . وبعدين خاتم أهه

ببلاش . . مفيش أحلى من كده . .

كانت سالي تشعر بالإطراء من هديّة "أيمن وصفى" . . إلا أن اختفاءه

المفاجئ زرع بداخلها شعوراً خفياً بالاستهانة، جرح كبرياء الأنثى وجعلها

ترد على كريم : مش هروح . .

كريم : يعني إيه؟؟

سالي : يعني مش رايحة تانى . . لازم يعرف برضه إنى "سالي" ما

تمشيش بالمنظر ده . .

كريم: أيمن ده مش زبون من بتوع باريس . . إنتى هتنسى نفسك .
وبعدين أديكى شفتى ليلة فشيك بحتة الماظ . . ما بالك لو ليلة في
الجون . .

سالى: مش فارقة . . هلبسهوئه في صوايح رجلي عشان يفهم هديته
تسوى عندى إيه . .

كريم: لأ؛ تفرق . . واحد زى أيمن ده بحر . . يرفعك معاه . . سيبك من
الخاتم . . كلام فاضي . . أيمن وصفي ده Green Card يفتح
لنا الأبواب المقفولة . .

سالى: مابقاش فيه قدامى أبواب مقفولة . .

كريم: طب لو حصل حاجة؟؟؟

سالى: حاجة زى إيه؟

كريم: زى شريطك اللي عمل مبيعات أكثر من تيتانيك . .

أخرسها ذلك الجواب . . لم تكن لتسمع المزيد عن ذلك الكابوس الذي
غير مجرى حياتها . . إلى الأفضل! حُقنة بنج الأسنان التي تؤلم لتُريح، إلا
أنها لا تتحمل ذكرى التخفي والبُعد عن الأضواء . . ألم الفضيحة . .

وقع آلاف العيون التي اخترقتها كالسهام . . لم تُنقذها إلا نعمة
النسيان . . تلك النعمة التي تُنسى الزوجة حُزنها على موت زوجها لتُزف
بعده بأشهر وكان شيئاً لم يكن . .

كريم: الإِسبوع ده عندك تصوير برنامج " قصة نجم " . . إتصلوا بيكى
النهاردة يأكدوا المعاد . . رمضان قُرب وعندنا لسه خمس حلقات
ما خلصتتش . . ده غير بالليل عندك لفة على السينمات عشان

بعد خمسة أيام . . .
كانت عقارب الساعة في الأستوديو تُشير إلى الخامسة ونصف الساعة . .
خرجت طفلة صغيرة من صالة التصوير مع أمهاً وخرج وراءها أحمد
نداعب شعرها حتى رحلت . . .
أتجه إلى عمر الذي كان يعمل في إحدى الصّور حين ضرب جرس
بليفونه رقم غير مُسجّل . . .
جاءه صوت علاء : أحمد . . أنا علاء . .
أحمد : إنت فين؟؟
علاء : أنا كويس . . مفيش حاجة . . عايزين نتقابل . .
أحمد : إمتى؟
علاء : فاكر أول مرة قابلتك . .
فهم أحمد أنه يقصد قهوة وسط البلد : الساعة كام؟
علاء : بكرة الساعة سبعة . . كويس؟
أحمد : سبعة . .
قام عمر لأحمد الذي ظل واقفاً ينظر إلى الشارع من الزجاج . .
عمر : إيه . . مالك؟ سرحان في بكرة يا عم الحبيب؟
أحمد : علاء إتصل . .
بدا على عمر الاهتمام المُفاجئ : وبعدين؟

أحمد: هقابلة بكرة .. بعد ما أقابل غادة .. الساعة سبعة ..
عمر: هاجى معاك ..

أحمد: بلاش .. علاء صوته مش طبيعي .. خايف يكون فيه حاجة ..
عمر: هفضل أنا قاعد على أعصابي كده؟

أحمد: وجودك مش هيفيدنى .. خليك بعيد .. لو حصل حاجة تعرف
تتصرف .. هسيب المفتاح معاك ..

عمر: ماشى .. أنا رأيي تقوله خلاص بقى .. هيجيوننا كده يا أحمد ..
إنت أصلاً غلط تقابله ..

أحمد: ما تنساش إن أنا اللي طلبت خدمته ..

عمر: آه .. بس صورتك كانت لوحدها كفاية .. إيه اللي حشر السياسة
والأسماء الكبيرة والبلاوى الثانية دى! إنت قلت في الأول إننا
هنلعب، مش هنعالج البلد .. أنا شايف إن الموضوع كبير ولو
حصل حاجة هنتشد معاه .. هيجرنا وراه أكننا مربوطين
بجبل .. محدش هينفعنا ..

أحمد: ما ينفعش يتراجع دلوقتى ..

عمر: صدقنى المسألة مسألة وقت .. هيوصلوا له ..

أحمد: يعنى أسيبه .. بعد ما بدأ يعمل حاجة؟

عمر: هو راجل إنتحارى ما صدق شاف الصور قام لازق فيها مواضعه
ونشرها .. أدى الجرنال قفل أهه من قبل ما ينشر حاجة،
وزمانهم بيدوروا على اللي خبط في جلال وأكد لقوا حاجة
عنده ..

أحمد: هو اللي يقول الحق دلوقتي يفضل خايف كده؟
عُمر: آه . .

أحمد: يعني إيه؟

عُمر: يعني تروح بكرة تقابل المزة وتطلع على علاء في القهوة تصفي
الموضوع وتديله المفتاح ويا دار ما دخلك شر . . هو من سكة
وإحنا من سكة يا عم أحمد . .

لم يرد عليه أحمد . . ظل يفكر خائفاً . . يتخيل الأهوال . . أهوال من
لعبرا في المنوع . .

لا يعرف ما هذا الشعور الذي داهمه . . حنين غريب لأخته آية . . رغم
كل شيء كانت آخر أهله . .

رغم أنفها . . اتصل بها . . كان التليفون مغلقاً . . استقل تاكسيًا وذهب
إليها . .

أمام باب الشقة، أخذ يتأمل مكان شاغراً لونه أفتح من لون الطلاء الذي
حواله . . كان مكان يافطة مكتوب عليها أسم أبيه . . ضرب الجرس . .
انتظر قليلاً حتى فتحت له " آية " . . رأى عينيها من خلال النقب . .
أحمد: إزيك يا آية . .

آية: الحمد لله . . تعالى . .

دخلت وأغلقت الباب . . مشى وراءها وهي تخلع النقب حتى
الصالون . . تغيرت الشقة كثيراً . .

لم تعد ذلك المكان الذي شهد مراحل عُمرهما . . بات غريباً كثيراً . .
الحيطان أصبحت خضراء . . استبدلت النجفة الكبيرة في الصالون بلمبة

نيون ٦٠ ذكّرتَه بِزِيَارَةِ جُودَةِ فِي الْمَشْرَحَةِ . . انْتَشَرَ عِدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الصَّنَادِيقِ
وَالعَلْبِ الصَّفِيحِ فِي كُلِّ أَرْكَانِ الْبَيْتِ . .
جَلَسَ أَحْمَدُ فِي الصَّالُونِ فِي حِينِ أَغْلَقْتَ عَلَيْهِ آيَةَ الْبَابِ : ثَانِيَةَ وَاحِدَةٍ .
فِي عِنْدِي ضَيْفَةٌ . .

مِنْ خِلَالِ الْبَابِ الَّذِي لَمْ يُغْلَقْ جَيِّدًا وَانْفَتَحَتْ مِنْهُ فُرْجَةٌ لِمَحِ فِتَاةٍ تَخْرُجُ
مِنَ الْعُرْفَةِ وَتُنَاولُ آيَةَ بَعْضِ النُّقُودِ . . شَكَرْتَهَا آيَةً وَوَصَلْتَهَا حَتَّى الْبَابِ ثُمَّ
عَادَتْ . .

أحمد: مين دى؟

آية: دى واحدة صاحبتى . .

أحد: كانت بتديكى فلوس . .

آية: آه . . كُنتَ مَسْلِفًا هَلْهَا . .

أحمد: وهي اللي بتشكرك!! وإيه الصناديق دى؟

آية: جينة . .

أحمد: مش فاهم . . يعنى إيه جينة!

آية: محمود بيشتغل دلوقتى فى الجينة والبسْطِرمَة . .

أحمد: طب ومحل الهدوم اللي فى الموسكى؟

آية: سابه . .

أحمد: ليه؟

آية: الناس طلعت مش كويسة . . معاملاتهم المالىة مشبوهة . . الجينة

تجارة نضيفة مفيش فيها شُبُهَة . .

رد أحمد بسْخَرِيَّةً: والبخور كمان . . سَمِعْتَ إِنْ مَكْسَبُهُ هَائِلٌ . .

نهرته آية بنظرة تبعتها بجزّة على أسنانها: زى الكازينو كده؟

أحمد: أنا سيبت الكازينو خلاص . .

آية: الحمد لله . . أنا دعيتلك كثير . . بتشتغل فين دلوقتي؟

أحمد: في كوداك إكسبريس المنيل . .

آية: لا إله إلا الله . . ربنا يعفيك . . أنا قُلت خلاص بعد عن السيئات!

أحمد: هو الأستوديو كمان حرام؟

آية: أى تقليد لخلق الله حرام . . النحت زى الرسم والتصوير . . كُل ده

حرام . .

أحمد: ماشى . . يعنى مش هتحتاجي صور بطاقة تاني؟

آية: في الضرورة بس . .

أحمد: وحرام الناس تصوّر ولادها كمان؟ وحرام الواحد يفتكر نفسه

وهو صُغِير ويوريها لولاده؟

آية: إنت حُر . . إحسبها زى ما إنت عايز . .

أحمد: ماشى . . عامةً أنا مش جاي أْتَحَانِق . . وحشتيني قُلت آجى

أشوفك . . إزأى محمود؟

آية: كويس . .

أحمد: هو فين؟

تردّدت آية قليلاً: بايت برّه النهارده . .

أحمد: شُغَل؟؟

آية: لأ . . عند سماح . .

أحمد: سماح مين؟

آية: سماح مرأته . .

أحمد: نعم؟؟؟

آية: محمود إتجوز . .

أحمد: يا ابن الكاااالب . .

لم تُعقّب آية . . في ظروف أخرى كانت ستأكله إذا مس محمودها

كلمة . .

أحمد: وأنا كُنتَ فين؟ الواد ده أذاكى؟ ما إتصلتيش ليه؟ ليه؟

آية: ما حصلش حاجة . . أنا مِش مِضايقة . . وبعدين تليفونك مقفول

من فترة . .

تذكّر أنه كسر شريحته: حصل إمتى الموضوع ده؟

آية: من إسبوعين . .

أحمد: إيه اللي حصل؟؟

آية: ولا حاجة دى سماح . . سماح سيّد فاكرها؟ اللي كانت معايا في

المدرسة . .

أحمد: كمان صاحبتك؟؟ وبعدين؟؟

آية: شافها عندي مرّة . . سألني عنها . . كان عليها قرين رابطها وعاوز

يتجوزها . . كان لازم حد على علم يتجوزها . . عشان يصرف

عنها . . طلبها منى . . بت كويسة مِش هلاقي أحسن منها . .

بدت غير مُقتنعة . .

أحمد: بالبساطة دى . . آية أنا هسألك سؤال واحد بس . . إنتى راضية

ومصدقة الكلام ده . . راضية بحالك كده بين صناديق الجبنة

والبسطة وفيلم الإنس والجن اللي إنتى عايشة فيه ده؟

لم تردّ آية . . ظلّت تنظرُ إليه في صمت . . عيناها تقول اسكُت . . لا داعي لوضع ملح فوق جرح . . قام . . تمشى في الغُرْفَة كالمجنون وظلّت هي تنظرُ في الفراغ حتّى نظقت : أحمد . . ده حقّه . . أنا راضية . .

أحمد : أنا مش راضى . . حرام عليكى . . أخذ شقّة أبونا وأمنا ودلوقتى يرميكى زى الكلبة في مخزن جبنه . . أنا مش فاهم إنتى بتفكّرى إزاي . . إنتى لو مش متعلّمة ما كُتّش لومتك . .
آية : مفيش داعي للكلام . . ده أمر ربنا ونفذ خلاص . .
أحمد : يعنى أسكُت . .

آية : أبوة يا أحمد . .

قام أحمد واتّجه ناحية الباب : أنا فعلاً هاسكُت . . مش عارف ليه كُـل مرة بفكّر أجيلك أو أكلمك يحصل حاجة . . أنا بقيت أخاف أكلمك . . بخاف أعرف حاجة عنك . . مش مصدق إن دى آية بنت عم كمال . . البت الشقية حبيبة أبوها . . بقيتى واحدة تانية . . مش أختى اللي إتربت معايا . .

قاطعته : مفيش داعي يا أحمد . . خلاص بقى . .

أحمد : الواد ده أنا لو شفّته هضرّبه . . قولى له . . هضرّبه . .

آية : مش عايّزة مشاكل . . محدش يقدر يلومه . . ده شرع ربنا . . أحمد أنا لو إطلّقت هبقى في الشارع . .

عارف يعنى إيه في الشارع . . إحنا مالناش عم ولا خالة ولا أنا حتّى

بشتغل . .

أحمد: تقعدى معايا . . أنا مأجر شقة وسيبي الكلب ده . . قلت لك يا آية . . ده حيوان . .

آية: ما ينفعش يا أحمد . . إنت يدوبك تشيل نفسك . .
قاطمها أحمد: والافلوسى حرام؟؟

آية: دى حاجة تانية . . لو سمحت يا أحمد سيبنى أنا بعرف أتصرف . .
لو إحتجتلك هكلمك . .

أحمد: أخرج أنا منها يعنى . . مش كده . . أخرج ورقة من جيبه وسحب قلمًا جافًا رديئًا كان على الترابيزة . . وكتب رقم تليفونه الجديد وعنوان الأستوديو: دى تليفوناتى . . لو إفتكرتى إن عندك أخ إبقى كلمينى . .

ترك الصالون ورحل . . فى الطرقة لم يمنع عينه من النظر فى غرفة النوم . . لمح فيها مناديل ورقية على الأرض بجانب ملقاط وطبق فيه عجينة صفراء مختلطة بشعر . . توقف . . التفت لآية التي أسرعت تغلق الباب . .
أمسكها أحمد من كوعها: البت اللي كات عندك دى عروسة مش كده؟
لم ترد عليه . . أطرقت برأسها إلى الأرض مما زاده جنونًا . .

أحمد: ردى عليا البت اللي كانت هنا دى كانت بتعمل عندك إيه؟
بتشتغلى حفاقة يا آية؟ بتشتغلى حفاقة؟؟ الواد ده خدك معاه
لتحت أوى كده؟؟ هتروحي فىن بعد كده؟؟

آية: ممكن تمشى يا أحمد . . إمشى دلوقتى . . نتكلم بعدين . .
نفر عرق الغضب فى جبينه . . تلجلجت كلماته التي لم تخرج . . أدار ظهره وصك الباب فى عنف . .

نزل بضع درجات على السلم ثم توقف . . ظل في هذه الحالة لدقيقة . .
دقيقة جلستها آية على الأرض ، ظهرها للباب تبكى في صمت . . اقترب
وأخرج من محفظته ورقة بخمسين جنيهاً . . كانت كُـل ما معه . . طبقها
تطبيقتين صغرت حجمها وانحنى على الأرض . . سمعها وهي تبكى . .
ابتلع عُصّة في حلُّقه ودسّ الورقة تحت عقب الباب . . في الجانب الآخر رأَت
آية الورقة . . كتمت نحبيها ومدّت يدها . . أخذتها ودفنت فيها وجهها . .
قامت وقام أحمد معها كأنه يراها . . نزل السلم ودخلت هي عُرفتها . .
أخرجت محفظتها من حقيبتها . . كان فيها مكان شاغر للصور . . دست
الخمسين جنيهاً وراء الصورة الوحيدة الباقية . . صورة أخيها أحمد . .

.....

في ذلك الوقت في مكتب صفوان البحيري، كان سقف الغرفة تُغطيه سَحْبٌ دَاكِنَةٌ من دُخَانِ السجائر تُنَدَّرُ بِأَمْطَارٍ رَعْدِيَّةٍ . . هَدوءٌ مَا قَبْلَ العاصفة سَيَطرُ عَلَى الجَوِ العَامِ لِلْمَكَانِ . . كَانَ "مُصْطَفِي عَارِفٌ" جَالِسًا مُشَمَّرًا قَمِيصُهُ يَكسوُ وَجْهَهُ العَرَقُ أَمَامَ "صَفْوَانِ" الَّذِي لَمْ يَخْتَلَفْ كَثِيرًا عَنِ حَالِهِ . .

مُصْطَفِي: نِيحِي لِمَوْضُوعِ أَحْمَدِ كِمَالٍ . . إِحْنَا حَصَرْنَا كُلَّ الَّذِي خَرَجُوا مِنْ مِصرَ فِي الشَّهْرَيْنِ الَّذِي فَاتُوا وَاسْمَهُمُ أَحْمَدُ كِمَالٍ مِنْ سَجَلَاتِ الجَوَازَاتِ . . خَرَجَ ٩ لِيَهُمْ نَفْسُ الأَسْمِ . . رَصَدْنَا مِنْهُمُ سِتَّةَ عَرَفْنَا عَنَاوِينَهُمْ وَتَأَكَّدْنَا إِنَّهُ مِشْ وَاحِدٌ مِنْهُمُ . . أَتَيْنِ مُدْرَسَيْنِ وَوَاحِدَ نَجَّارٍ مَسْلُوحٍ وَعَامِلَ لِحَامٍ وَاتَيْنِ سَوَاقِينَ . . يَتَفَضَّلُ كَدَهُ ثَلَاثَةَ خَارِجِينَ بِتَأْشِيرَةِ عَمَّالٍ بِسٍ يَعْنِي مَفِيشَ تَصْنِيفٍ . . المُشْكَلَةُ عِنْدَنَا إِنْ مَكَاتِبِ العَمَلِ بِتَشَرِطِ تَغْيِيرِ البِطَاقَةِ لِعَمَلِ التَأْشِيرَةِ زِي مَا حَضَرْتَكَ عَارِفٌ . . بِيَحْصَلُ تَغْيِيرٌ لِلعَنَاوِينِ وَالبَيَانَاتِ عِشَانِ قَانُونِ العِمَالَةِ الجَدِيدِ . . إِحْنَا أَخَدْنَا عَنَاوِينَهُمْ . . إْتَيْنِ مِنْهُمُ بَتَنْطَبِقُ عَلَيْهِمُ مَوَاصِفَاتِ الوَلَدِ بَتَاعِنَا . . نَفْسُ العُمُرِ وَنَفْسُ الظَّرُوفِ . . المُشْكَلَةُ إِنْ الأَسْمِ مِشْ ثَلَاثِي كِنَا ضَيَّقْنَا نَطَاقَ البَحْثِ . . دِهَ إِذَا كَانَ اسْمُ أبُوهِ كِمَالٍ وَمَفِيشَ حَاجَةٌ بَيْنَهُمُ، فِي خِلَالِ بُكْرَةِ هِيكُونِ عِنْدِي خَبْرَ عَنْهُ . .

صفوان : مم . . لو ماوصلتس في خلال بكرة حاجة إعمل اتصال
بالسفارة بتاعتنا هناك . .

مصطفى : أو كيه يا فندم . .

صفوان : أخبار الهدف التانى إيه؟ علاء جمعة؟

مصطفى : فيه مُحرر في جرنال الجيل واضح إنه بيكن له معزة خاصة . .

إنت عارف سيادتك إن أكل عيش ناس كثير إتوقف . . قال لنا

إنه كان بيتدرد على مكتب رئيس التحرير من حوالى

إسبوعين . . وهو مصدر المقالات دى . . حددنا بيته يا فندم . .

رصدنا مكانه عن طريق تليفونه المحمول . . قاعد دلوقتى في شقة

في حدائق حلوان . . قدام محطة المترو . .

من إمبارح بالليل إتحطت الشقة تحت المراقبة . . عايش لوحده . .

صفوان : مواعيده إيه؟؟

مصطفى : بينزل من الصبح مايجيش غير بالليل . .

صفوان : من بكرة أول ما ينزل الشقة تتفتش . . عايز الورق ده على

مكتبي بكرة . . وماتشيش حد وراه . . أنا مش عايزه يحس

بحاجة لغاية ما ينزل بكرة . .

مصطفى : تفتش نضيف؟

صفوان : مش هتفرق . . هو مش هيلحق يفكر . .

مصطفى : وإذا ما لقيناش عنده حاجة؟

صفوان : يعنى إيه ما لقيناش عنده حاجة؟

مُصطفى : وارد يكون الورق مش في البيت . . في الحالة دى هيعرف إن فيه حد وراه . . بقول نجيبه؟؟

سكت صفوان قليلاً: لو جيبناه هنا الواده هيفتح علينا باب مالوش لازمة . . هيقولوا فيه اختراق أمنى حصل . . إزاي نستنى لغاية ما كل المعلومات دى تتسرّب . . الباشا بيصفي خصومه تصفيات جسدية، وما تنساش صورة طارق . . مش صعب إن حد يتعرف عليه . . ألف مين هيخدم . . وميت ألف يتمنوا راسى قبل راسك . . إحنا كده ضهرنا هيفضل في الهوا . . مش هجازف . .

مُصطفى : سيادتك شايف إيه؟؟

صفوان : شايف نقفل الباب من أصله . . المعلومات لغاية دلوقتى لسه ما إنتشرتش . . يعنى الكورة لسه

في ملعبنا . . مش هستنى لما ألقى جرنال معارض يعمللى سبق يجتن علينا اللي فوق . . إخلص لي منه بهدوء، من غير لفت نظر . . حادثة عادية مش مشكوك فيها ونقفل التحقيق . . فتش . . لو لقيت حاجه كان بها . . مفيش إنت عارف هتعمل إيه . .

مُصطفى : ما نعملش محاولة معاه؟ إرهاب يعنى . . إحنا ممكن ننخله هنا . . ننسيه أبوه وأمه . .

صفوان : هيخرج عنصر نشط برضه . . مش هينسى اللي إتعمل فيه بالعكس ده هيخليه يستبيع أكثر . .

مُصطفى : اللي تشوفه سيادتك . .

صفوان: اللي أشوفه ده بكرة .. يحصل بكرة .. مش عايز زروطة زى
اللي حصلت في البار ..

أديك شُفت بعد أكثر من سنة الريجة تفوح من تاني؟؟ إبعث حد بيْفهم
المرّة دى ..

قام مُصطفى يلملم الأوراق: أكيد يا فندم هبلّغ سيادتك أول بأوّل ..

صفوان: مُصطفى .. مفيش مجال للغلط ولا للصُدفة المرّة دى ..

مُصطفى: أكيد يا فندم .. أكيد .. وإنسحب مسرور حاملاً سيفه
المسنون إلى ديار البرامكة ..

بعد ليلة غاية في الإجهاد قام أحمد .. ألم يعتصر ظهره وثقل حديدي في
قدميه، وعين مُغلقة لا تقوى على النظر إلى ذلك الشُعاع المُتسلّل كالسكينة
القاطعة في وسط العُرْفة .. جرجر قدميه إلى الحمام يغسل ليلته الماضية ..
السواد تحت عينيه بركة من القار .. شعره أشعث كمْقشّة زَبال .. حلّقه
مُلتصق ببعضه كصمغاً عربياً .. لم يَكُن في مزاج يسمح له بمُقابلة "غادة"
كما لم يَكُن يملك خياراً .. بعد دُش بارد لعدم وجود سخّان دس نفسه في
ملابسه، ونظر في ساعته فوجدها تُشير إلى الثانية إلا الرُبْع .. قرّر البقاء حتّى
الثانية لينزل في ميعاده .. جلس أمام الكُمبيوتر يفتح ملفاً مكتوباً عليه
غادة .. كان فيه صورها مع الأطفال .. أخذ يتأملها .. بدت واحدة منهم
في براءتها .. ظل يسبح في وجهها لخمس دقائق ..

المرّة التاسعة تقريباً التي يُقلّب فيها الصور .. فتح ملفاً آخرًا مكتوباً عليه
"علاء" .. الصورة التي التقطها "عُمر" في أوّل لقاء .. ثمّ النسخة
الفاضحة التي صنعها له: وسخ الواد ده ..

تلك كانت كلمة أحمد المعهودة لوصف حرفة عمر في تركيب الصور . .
نظر في ساعته . . كانت الثانية . . أغلق الكمبيوتر وغادر إلى الزمالك . .
في الكلية الجميلة كانت تجلس . . ترسم عالماً من الألوان يشبه قصص
البيس في بلاد العجائب . .

أخذت تصنع إشارات وعلامات لا يفهمها إلا الأطفال . . حوار صامت
لا تسمع فيه إلا الضحكات . .

كانت مُشْرِقة وهي تُرْحَبُ به . . بدت عليها السعادة وهي تُقَلِّبُ الصور
أسماء الأطفال الذين التفوا حولها يتغامزون ويضحكون، أعطت مجموعة
إشارات للأطفال لم يفهم أحدها شيئاً، كانت تهز يدها في شكل سلام . .
صمّت كفها ووضعها ناحية القلب . . ثم إشارة أخرى تُشبه القبلة . .
وما إن انتهت حتى وجد الأطفال يلتقون حوله، وكلّ منهم يُسَلِّمُ عليه
سُبَّحاً وَيُقْبِلُهُ . .

قضى ساعة أخرى جميلة أنسته ما حدث أمس مع أخته . . انتهى
الكورس وانسحبت عادة معه إلى الخارج . .

أحمد: تحبّي تمشّي شوية . .
هزّت رأسها موافقة . . أخذهما الحديث بين ضواحي الزمالك الهادئة
حتى خرجا إلى النيل . .

بجانِبِ مشتل ورود جلس معها يتحدّث، كانت الشمس قد انكسرت
فاكتسى الجو بمسحة بُرُتْقَالِيَّةٍ مُدْهَبَةٍ . .
عادة: وبعدين؟

أحمد: ولا قبلين يا ستّي . . هي دى قصّة أختي لغاية إمبارح . .

غادة: مسكينة . . طب وإنّ ناوى على إيه معاها؟؟
أحمد: قافلة الباب في وشى . . مش عايزانى أساعدها . .
غادة: ما ينفعش تسيبها . .
أحمد: أكيد . . أنا بس سايبها تهذا شوية وبعدين أكلمها . . أنا دوشتك
بمشاكللى مش كده؟؟
غادة: خالص . .
أحمد: غادة . . أفهم من وجودك معايا النهاردة إنك مُتّبَلانى . .
أشاحت غادة بنظرها ناحية النيل . . ظلّت صامتة تهرب بعينها عنه . .
إلا أن شبح ابتسامة كان يطلّ من بين شفثتها . .
رآه أحمد: عادى يا غادة . . أنا مش زعلان والله . . أنا مبسوط إننى
عرفتك . . أنا مش أوّل واحد يتعرّف على واحدة أمّورة وزى
القمر شغالة في جاليرى ديكور وفنّانة وبعدين يطلع لها توأم
وبعدين يعجب بيها واحد ويبعث لها جواب وبعدين يقابلها في
الإستوديو وبعدين تقوله لأ عشان إنت رخم . .
انفجرت غادة من الضحك حتّى دمعت عيناها: إيه اللي إنت بتقولوا
ده!! أنا مش مصدّاقك . . إنت غريب أوى . . حتّى في المواقف الصعبة
بتقلبها تهريج . . باعت لي في الجواب إنك هترمى نفسك من فوق
السجّادة . . إنت بتجيب الكلام ده مينين؟؟ وبعدين أنا ما قلّتش إنك
رخم . .
أحمد: لو ما عملتش كده هنفجر . . لازم أعدّى يومى . .
غادة: أنت أغرب حد قابلته . .

أحمد: وإنتى أجمل إنسانة شُفّتها . . عارفة . . حتّى الكاميرا مش لاقية
فيكى عيب . .

غادة: إنت اللي بتعرف تصوّر كويس . .
أحمد: أبدأ والله، أنا لو صوّرتك صور أشعة أو حتّى مُستندات هتطلعى
برضه زى القمر . .

"مساء الخير . . " التفت أحمد وراه متوقّعا بائع الورد أو الحاجة
الساقعة . . لكنه لم يكن كذلك . .

كان يقف وراه ثلاثة شباب بيدل الشرطة . . نقيب وملازمان . . بدل
طيفة، وجوه مملوءة ثقة بالنفس، ونظرات ساخرة: مُمكن البطايق . .
تسارعت نبضات قلب أحمد وهو يُخرج محفظته: إتفضّل . .

تناولها النقيب، وشد أحمد من كوعه برفق: تعالى كده لو سمحت . .
أبعده قليلاً عن غادة التي بُهتت وقامت من مكانها، في حين إتجه إليها
مُلازم من الثلاثة . . التقت عين أحمد بعينها . . بدت مُنْهارة، خائفة كورقة
شجر في مهبّ الريح . . التفت أحمد إلى الضابط الذي كان يقرأ بطاقته:
سُمكن لو سمحت تخلّيه يتكلّم معايا أنا . .

أجابه النقيب: شغّال فين يا أبو حميد؟
كانت عين أحمد لا تُفارق غادة التي فتحت حقيبتها تبحث عن البطاقة . .
كانت عيناها تلتقيان بعينه في استغاثة حين أجاب النقيب: أنا شغّال في
كوداك إكسبريس في المنيل . . معلىش مُمكن حضرتك بس عشان ماتخافش
خلّيه يتكلّم معايا أنا . . هى مالهاش دعوة . .

أجابه النقيب وكأّنه لم يسمعه: ساكن فين يا أحمد؟

كانت عادة قد أخرجت بطاقتها للملازم الذي وقف يتأمل البيانات البسيطة المكتوبة بها كأنه يقرأ جريدة . . ينقل بصره بين وجهها وصورتها في البطاقة كضابط الجوازات . . لا تعبير على وجهه . . في حين توجه الملازم الثالث الذي بدأ أحدثهم عهداً ناحية زميله الواقف أمام عادة التي تعلقت نظراتها بأحمد مأخوذة بما يحدث . . تغير لون مقدمة طرحتها من الأزرق إلى الكحلى من أثر عرق بدأ ينثال من جبينها، بعدما مرت شلة بنات بجانبهم فأخذن يتابعن الموقف بأعينهن حتى اختفين، في حين تمهمر بعض الشباب على الرصيف الآخر، وعبر الشارع حبيبان بعد أن فكأ أيديهما خوفاً . .

في وسط المارة متابعي الموقف لمح أحمد شبحاً . . شبحاً عرفه جيداً من بدلته الفخمة يمشى خلف الجمع . . كان يتسّم ابتسامته الساخرة . . انشغل نظر أحمد بالنقيب لثانيتين كانتا كافيتين لأن يختفي ذلك الكابوس عندما رجع بنظره إلى الواقفين . . أخذ يبحث عنه بين الناس والغريب أن شعوراً ملحاً انتابه بأن يطلب منه المساعدة . . بأية حال هو معرفة ويبدو ذا شأن . . لكنه لم يعد هناك . . اختفى كما ظهر . .

اهتزت أوتار يد أحمد اليسرى فارتعشت كلماته وهو يجيب: أنا ساكن هنا في المنيل . . ثم اقترب من النقيب في توسّل وخفض صوته: بعد إذن حضرتك أنا مش عايزها بس تخاف . . لو فيه حاجة أنا معاك أهه . . خليها هي تمشى . . الناس بتتفرّج علينا . . حضرتك كده بتحرّجها . .

سأله النقيب بهدوء الجراح: أمال البطاقة مكتوب فيها السيّد زينب ليه؟
أحمد: كنت ساكن هناك . . بيت أبويا . .

النقيب: ودلوقتي قاعد مع مين؟

أحمد: لوحدي.. مأجّر شقة..

كان أحد الملائزمين قد انحرف في حديث غير مسموع مع "غادة" التي
لمت عيناها في بداية بكاء حين قرّر أحمد أن يقترّب منها وليكن ما يكون،
فأمسكه الضابط من رصفه: تعالي بس أقف هنا.. أنا ما خلّصتِش
كلامي.. بكلمك تسيبنى يعني؟؟

أحمد: أنا آسف مش قصدي.. هو فيه حاجة؟ إحنا عملنا حاجة؟ إحنا
كُنّا قاعدين بتكلم بس..

النقيب: إنت خطيبها؟

سكت أحمد لحظة قبل أن يجيب: لأ.. لسه.. بس ناويين إن شاء الله
خلاص..

النقيب: أمال كنت ماسك إيديها ليه؟

أحمد: والله العظيم ما كنت ماسك إيديها.. دي تاني مرة أقعد معاها..
النقيب: ناويين الخطوبة من تاني مرة تُقعد معاها؟

أدرك أحمد أنّه غير بارع في الكذب: إحنا أول مرة نُخرج بس نعرف
بعض من فترة كبيرة يعني..

النقيب: في البيت يعرفوا هي مع مين؟ يعني لو كلمناهم يعرفوك؟

أحمد بتردد: يعني.. مش كلهم..

نظرت له غادة ثانياً كغريق يحتضر قبل أن تُشبح بنظرها إلى الأرض: بعد
إذلك هشوفها بس.. بتعيّط..

استوقفه النقيب: ثانية واحدة بس..

احتد أحمد: بقول لحضرتك بتعيّط.. معلش بس هطمّنها..

اشتدت نبرة صوت النقيب : لما أكلمك ما تُقعدش تقولي أكلمها وثانية
واحدة وبتعيط . . كده مش كويس عشانك هه . . وبلاش قعدة
هنا . . خدّها يلله وإتكَل على الله . .

أحمد : حاضر . . حاضر . .

اقترَب منه النقيب وهمس : وبلاش لكاعة في المنطقة يا روح أمك عشان
ما أطرقلكش إنت وهيا . . فيه بيت وزير في الشارع اللي
ورانا . . أنا مارضيتش أعلّقك بس عشان اللي معاك باين عليها
بنت ناس . . والاتحب نتكلم من النقطة عندها في البيت؟

قالها وهو يضع البطاقة داخل جيب قميص أحمد . .

أحمد : مفيش داعي . . شكراً . . مُشكراً أوى . .

أخذها أحمد ورحلا . . ظلّ صوت سرينة عربية الدورية يدوى في
أذنيهما ، لا تُفارقهما عيون الضباط وهم مارون بجانبهم ينظرون بتشف
وسُخرية من خلف الزجاج ، والمارة الذين أشفق بعضهم وتضاحك الباقي
سُخرية وشماتة ظناً منهم أنهما فعلاً فعلاً استحقا عليه أن يُسألا . .

كانت المسافة طويلة حتى ميدان سعد زغلول . . مسافة يحكى فيها
أحدهما قصة حياته مرتين . . لكن ليس في مثل هذا الموقف . . مشيا وعلى
رؤوسهما الطير ، وقد صنع عشاً وباض بيضاً . . دمة عالقة بعين عادة لا
تجف ، ومخلوق أسود خفي في صدر أحمد يثير عاصفة من الهم والانكسار لم
يعهدها من قبل . . تمنى للحظة أن تتكلم أو حتى تصرخ لكنها لم تفعل . .
ظلت صامته تحاشاه . .

فجأة التفتت إليه وقالت بهدوء : مُمكن توقّف تاكسي؟

أجابهـا أحمد برفق : عادة . . خمس دقائق بس . . نتكلم . .
اضطرت عادة إلى النظر في عينيه لتسمعه : أنا لازم أروح . . إتأخرت . .
أحمد : أنا آسف على اللي حصل . . إنتي فهمتي إيه اللي كان عايزه؟؟
ده واد ذوق جداً على فكرة . . أصل فيه وزير ساكن هناك . .
الواد حب يقو لي عشان الموكب بتاعه كان خارج بس . . لو فيه
حاجة كان عمل مشكلة . . إنتي عارفة الناس دي برضه عبد
المأمور . .

بدا غير مقتنع بما يقوله فاستطرد فيما كانت تنظر إليه في عتاب : همّا
كلموكي قالوا لك إيه؟

عادة : كان بيسألني إذا كان أهلي يعرفوا إنتي ماشية معاك . .

أحمد : وإنتي قلتي إيه؟

عادة : كذبت . . قلت إنك ابن خالتي وقارين الفاتحة . .

أحمد : أمّا عيال زبالة . . بس الواد النقيب ده والله مؤدب . . عارفة أكيد

ما سمعش اللي قالوه . .

العيال دي أصلها لما بتتخرج بتبقى حاسه بنفسها . . سلطه وطبنجه

وشوية عساكر تحت أيديهم وبدلة . . إنتي فاهمة . . عايزين يحسوا إنهم

مهمين . . شباب برضه . . نقص . .

كانت كلماته كنفطة الخبر في البحر . . لا تأثير لها . . ظلت عادة

شاخصة البصر تُحدق في الفراغ . .

كان كمن يُحاول مداواة بتر أحد الأطراف بالمايكروكروم . . أخذ يشرح

لها كيف همس في أذن الضابط أنه يعرف العقيد فلان . . زيونه في الأستوديو

وكيف تذكره واتضح أنه أستاذة . . كيف ضحك معه وناداه بأبو حميد . .
كيف أنه لم يتركها وإنما كان مطمئن عليها لأنهم : عيال ذوق . . ولاد
ناس . .

غادة : معلش يا أحمد . . لازم أمشى وقف لي تاكسي . .

أحمد : غادة مش هينفع تمشي وإنتي كده . . إنتي فاهمة غلط . .

غادة : مفيش حاجة يا أحمد . . فيه تاكسي جاى أهه بعد إذنك . .

أحمد : غادة محصلش حاجة . . أي ظابط ممكن يسأل أي حد في

الشارع . . ده شغلُه . .

غادة : الناس دى ما كانتش بتسأل . . الناس دى كانت ماسكة علينا

زلة . . إنت ما شفتش كان بيصلى إزاي . . أكنى كُنت بعمل

حاجة غلط . . سألني ساكنة فين . . بابا وماما عارفين؟ بتحبوا

بعض بقه؟؟

أحمد : الحيوان ده ماله ومال كل ده . .

غادة : ماعرفش يا أحمد . . إرجع إسألُه . . أنا عايزة أروح لو

سمحت . . بعد إذنك وقف لي تاكسي . .

أحمد : ماقدرش أسيبك تروحي كده . .

مدت غادة يدها تحت حجابها، وخلعت سماعتها ووضعتها في

حقيبتها . .

كانت الرسالة واضحة . . لم يملك أحمد إلا أن يشير إلى التاكسي الذي

استقلته هاربة بنظرها بعيداً عن عينيه تتحاشى النظر إليه . . حتى اختفت . .

أغمض عينيه لحظات ف شعر بنار تسرى بداخلها لتحرقها . .

ظلّ يمشى حتّى صعد كوبري قصر النيل . . يتأمل المياه الجارية أمامه . .
لا يعرف كم مضى من وقت . . كانت طعنة باردة أيّما برودة . . أطبقت
على صدره صنعت نزيفاً داخلينا من الكآبة . . إحساساً ملُحاً لزجاً
يُحاصره . . كان يشعر أنّه عارٌ أمامها . . كم أصبح مكسوراً شديداً
الضعف . . لا يقوى على حمايتها . . تضائل إحساسه بحجمه . . تزعزعت
ثقته بنفسه . . أصبح هشاً . . تمنى لو لم ترحل . . تمنى أن تنفجر فيه
صارخة . . تمنى لو لم يعرفها أصلاً، كان يعرف أنّها لن تنسى وسيظلّ هذا
الموقف دائماً حائطاً خراسانياً يفصل بينهما . . علاوة على إحساسه الأصيل
بضعف إمكاناته . . كل ذلك كان كفيلاً بأن يدرك أن موقفاً كهذا قضى على
آخر أمل له معها، قبل أن يقضى على احترامه لنفسه . .

نزلت ساعات النهار سريعة . . ظل أحمد جالساً وحده على دكة بجانب
الكوبري سارحاً في النيل والمارة . . اتصل بغادة أكثر من مرة . . لم تجبه . .
أرسل لها رسالة : غادة أنا بس عايز أطمئن عليكى . .

في بيت غادة، ظل الموبايل يهتز بجانب سماعتها فوق الكومودينو . .
كانت جالسة تضمّ رجليها إلى صدرها على السرير . . لم تشعر بالاهتزاز
من حركة التليفون . . قبل أن يفتح الباب فجأة . .

كانت تلك عادة ميّادة . . لا تطرق الباب أبداً . . دخلت الغرفة ترتدي
جينزاً محزقاً وبلوزة قصيرة، وفي أذنها سماعة موصولة بالموبايل تستمع إلى
الأغاني . . ألقت نظرة إلى غادة . . في لحظة عرفت أن هناك خطب ما . .
كانت تحفظها عن ظهر قلب كصفحة بيضاء مفتوحة . . خاصة عندما لمحت

السَّمَاعَةَ بِجَانِبِ السَّرِيرِ ، كَانَ مَعْنَاهَا أَنْ غَادَةَ تُرِيدُ أَنْ تَخْتَلِيَ بِنَفْسِهَا : إِيَّاهُ ؟؟
كَانَتْ تُشِيرُ لَغَادَةَ . .

التفت غادة : عايزة إيه؟

ميّادة : البسي السَّمَاعَةَ . . كانت تُشيرُ إلى أذنيها . . عايزة أكلمك . .
هزّت غادة رأسها علامة أن : لأ . .

خلعت ميّادة جزمتهما ، وألقتهما إلى رُكنِ الغُرْفَةِ ، ثم اقتربت من غادة التي
أعطتها ظهرها : مالك يا غدغد؟ غدغد؟ حد مزعلك يا قمر؟

لم تُجيبها فالتفت حول السرير لترى وجهها : إنتي بتعيطي؟؟ فيه إيه؟
أشارت إليها غادة إشارة أن اتركيني وحدي . .

ميّادة : عشان خاطرني يا غدغدوة حطّى السَّمَاعَةَ . . وناولتها لها . .
مالك يا حبيبي فيه إيه بقه؟

غادة : أحمد . .

ميّادة : إنتي لحقتي؟؟ زعلك الواد ده؟ ده أنا أطلع عين أمه . .
إحكيلى . .

حكّت لها غادة ما حدث . . سكتت ميّادة قليلاً مُحاولة إيجاد مدخل :
أوساخ . . ولاد كلب . .

شعرت أنّها بدأت بداية طيبة أكثر من اللازم فأردفت : إيه اللي مشاكي
إنت وهو على النيل؟؟

غادة : هو المفروض إن الناس ما تمشيش على النيل؟ ممنوع؟

ميّادة : لأ . . بس . . على العموم هو مالوش ذنب برضه . . أي حد
مطرحة كان هيخاف عليكى . .

غادة: آه بس يكون واثق من نفسه . . أنا كُنت شايقة الخوف في عينيه
وهو يبصِّلني . .

ميّادة: كان خايف عليكى . .

غادة: أنا مش متخيّلة إننى أشوفه تانى . . فيه حاجة دائماً هتفضل ما
بيتأ . .

ميّادة: غادة دى عيال بتتسلى . .

غادة: تتسلى على كرامتنا؟

ميّادة: بيحصل أكثر من كده . .

غادة: وإشمعنى أنا بالذات؟

ميّادة: غادة ده حظ وحش بس . . عشان خاطري عدّى الموضوع . .

غادة: لو حازم حصله كده قُدامك هتسكتى . . هتسى . .

ميّادة: أكيد لأ . . بس . .

قاطععتها غادة: الناس في الشارع كانت بتبصّلنا أكتنا كُنا بنعمل حاجة

غلط . . وهو . . أنا سمعت الطابيط يقوله حاجة زى يا روح

أمك كده . . كذب علياً . . يقولى ده ذوق . .

ميّادة: أي حد مطرحه كان هيكذب . . الموقف ده صعب . .

غادة: كان خايف أوى . . حسيت إننى لوحدى . . ما كانش هيقدر

يحميني . . إنهزأ قُدامى . . وأنا كمان إنهزأت . .

ميّادة: يعنى كُنتى عايزاه يضر بهم . . كان لازم يعمل كده . . أي واحد

مطرحه كان هيسكت . .

غادة: أيوة بس إحنا ما عملناش حاجة غلط عشان نسكت .

ميّادة: مش لازم تعملى . . هوّ كمان ما يقدرش يجبّط معاهم . . الوضع
كان هيبقى ألعن . .

غادة: إتكسر قُدّامى وأنا كمان زى ما أكون إتعرّيت قُدّامه . . أنا مش
مصدّقة . .

انهمرت دموعها ساخنة على خدّها . . لم تدر ميّادة ما تفعل: غادة . .
كلميه . .

غادة: ما ينفعش . . خلاص . .

قبّلتها ميّادة في خدّها: طب إهدى دلوقتى وبعدين نكلّمه . . أو كيه . .
هزّت غادة رأسها واستدارت على جنبها . . مدّت يدها إلى الموبايل . .
فتحت الرسالة وقرأتها . . لحظات ثمّ قرّرت الرد فكتبت: أحمد أنا كويّسة
بس مش هينفع نشوف بعض دلوقت . . أرجوك ماتصعبش الموضوع
عليّا . . محتاجة وقت شويّة لوحدى . .

على دكته أمام النيل تلقى أحمد الرسالة . . لم يكن يتخيّل أن تنقلب
حياته رأساً على عقب بهذه السّرة . .

أخذ يقرأها مراراً وتكراراً حتّى حفظها . . كان يعرف أن الموقف في غاية
الصعوبة بالنسبة إليها، لكنه أيضاً كان يتظرّ منها التّفهم . . ففي النهاية
الذنب ليس ذنبه . .

وإن كان في نفسه يشعر بمذلة هائلة للأسلوب الذي اتبعه مع النقيب
تحاشياً لبعزة الكرامة، فقد يتطور الأمر إلى " يالله يله على البوكس"
و" كانوا بيوسوا بعض!"

ما كسره حقًا كان رد فعله هو . . . ولكن هل كانت باليد حيلة . . . ظلّ على حاله حتّى أشارت عقارب الساعة للسابعة إلا عشرة دقائق . . . ميعاده مع علاء . . .

على القهوة كان الأخير جالسًا في انتظاره . . . ذقن لم يزورها موس حلاقة منذ أسبوعين ووجه شاحب من إثر سهر طويل وسواد تحت العين كأنه الكحل . . . سلّم عليه أحمد وجلس . . .

علاء: مالك . . . مش طبيعي . . . وشكّ فيه حاجة . . .
لم يقو أحمد على أن يحكى ما حدث: مفيش . . . مشاكل في الشغل . . .
عادي . . . إنت أخبارك إيه؟؟

علاء: فيه أخبار كويّسة وأخبار مش كويّسة . . .
أحمد: إبدأ بالأخبار الكويّسة . . .
علاء: فيه جرنال تانى هعمل إجتماع معاه بكرة . . . جرنال جديد . . .
أحمد: مش نستنى شوية يا علاء لما الأمور تهدا . . . الموضوع بتاع جرنال الجليل الحرّ لسه ماتنساش . . .

علاء: هو ده اللي همّا عايزينّه . . . إضرب المربوط يخاف السايب . . .
أحمد: يعنى إيه؟

علاء: يعنى إضرب على الحديد وهو سُخن . . . اللي معايا لازم يتتشر في الوقت اللي همّا مش متوقّعينه . . . مش هيعرفوا يقفلوا كل يوم جرنال . . . تبقى فين الديمقراطية بقى؟؟
أحمد: علاء أنا خايف عليك . . . أنا بقول نستنى شوية . . .

شرب علاء رشفة شاي: صدقني هو ده أحسن توقيت . . لو قفلوا
الجُرْنال هيفتحوا على نفسهم باب . .
الناس هتبتدي تسأل فيه إيه . . هو ده اللي أنا عايزه . . فيه كمان تحقيق
وقعت عليه إمبارح مش هتخيلُه . . موضوع لو إنتشر هيهز الدنيا . .
أحمد: موضوع إيه؟

علاء: موظف في البنك المركزي، أبو واحد معرفة قدرت أقنعه يجيللي
مُستندات من البنك عن القروض الوهمية اللي بضمانات أوهم
المسحوبة من البنوك المصرية، وتقرير بيقول إن الخسارة ٢١٠
مليون السنة دي بعد ما كانت من ثلاث سنين مكسب تُلتميت
مليون . . عندك تفسير؟؟ أنا عندي وبالورق . . شلّة موظفين
مرتب أقل واحد خمسة وعشرين ألف . . العمولات والهدايا
عيني عينك وكله بياكل من تحت الترابيزة . . بلاش . . ظابط في
الآداب أخو واحد صاحبي . . رائد . . عارف عرفت منه إيه؟؟
حكا لي عن ملفات دعارة لسنوان مُجتمع وفنانات وشواذ مقفول
عليها ومفيش أمر ضبط . . عارف ليه؟؟ أسماء كبيرة أوى . .
والمفاجأة . . على رأسهم مين؟؟ سالي . . سالي الإسكندراني . .
الملفات دي ما تطلعش غير لما يتغضب عليهم زي هشام فتحني
كده . . يزعل اللي فوق . . ملفاته القديمة تطلع . . ملفه موجود
قبل ما يظهر شريطه مع سالي بستتين . . ماطلعش غير لما بقى
مزعج . . فيه شبكات كاملة معروف كل تفاصيلها بس مفيش
أمر بالقبض عليها . . أغلبها بنات موديلز عايزين يشتغلوا في

الإعلانات . . . يقدموا الغالي والرخيص دليفيرى في الفنادق
والشقق . . .

كُل ده أنا حطيت تفاصيله في خزانة البنك . . . مع صورك كمان، المقالات
دى هتبقى مختومة بختم النسر . . .

تنهد أحمد وخياله لا يفارق ما حدث مع غادة: ما قتلش إيه الأخبار
الوحشة؟

علاء: فيه واحد جارى في بيت أبويا وأمي كلمني إمبراح . . . قل إن فيه
ناس من المباحث سألوا عنى . . . يعنى بعد الجرنال ما إتقفل
بيومين أو حتى تانى يوم . . . قالهم إنى عزلت من زمان . . . الواد
متربى معايا بصراحة . . . أثق فيه يعنى . . . واضح إن فيه حد من
جرنال الجليل رطرط . . . أنا حاسس إنهم قربوا يوصلوا لي . . .

أحمد: وبتقول لي عندك بكرة مقابلة في جرنال جديد؟! إنت هتودى
نفسك في داهية يا علاء . . . مش بعيد إننا كمان متراقبين
دلوقتي . . .

علاء: ماتخافش . . . أنا عامل حسابى . . .

أحمد: فسر لي . . . عامل حسابك إزاي يعنى . . .

علاء: يعنى مفيش حد بيراقبنى . . . أنا عارف . . . أنا بتمشى من ٣
ساعات . . . دخلت مول ليه أربع مخارج وطلعت بعد ما لعبت في
الأسانسيرات نص ساعة . . . صدقتى لو فيه حد كنت حسيت
بيه . . . مش هيعرف يروح بيتهم بعد اللي عملته فيه ده . . . إنت
ناسى إنى سوابق وبتاع مظاهرات قديم . . .

أحمد: مش قالقنى غير ثققتك دى . . طب واللى سألوا عليك
وَالْجُرْنَالِ الْجَدِيدِ؟؟ مش يمكن يوقفوه برضه أو حد يبلغ عنك
علاء: وارد . . عشان كده أنا كُنتَ عايز أقابلك النهاردة . . بَص يا أحمد.
النَّاسِ دى معادى معاهم بُكرة السَّاعَةِ عَشْرَةَ الصُّبْحِ . . لو ما
كَلَّمْتَكش لغاية حداشر إطلع على البنك . . إفتح الخزانة وخدا.
كُل حاجة فيها . . مش هطالبك تعمل حاجة بس هبقى مطمس
إن الحاجة دى معاك . .

أحمد: بلاش الكلام ده يا علاء . . الموضوع مش مستحيل توضيحات .
علاء: بَص يا أحمد هي يا تِن تِن يا تِن تِن . .
أحمد: يعنى إيه؟

علاء: يعنى يا تنجح يا تنتحر . . أنا مش فارقة معايا . . مفيش حد حتى
لو قبل ينشر هيرضى يشغلنى . . أنا لا زوجة ولا عيال ولا حتى
وظيفة دلوقتى . . دى مُجازفة أنا عارف . . بس مش
انتحار . . صدقنى . . أنا كُلِّى أمل إتنى أرجع تانى أبقى صحفى بس
مش في الظروف دى . . يا أنا أتغير، يا الظروف تتغير، وصدقنى التانيه
أسهل . .

أحمد: تفتكر البلد دى تستاهل كُل ده؟
علاء: وأكثر من كده . . يا أنا يا هُمَّا يا أحمد . . ده أنا صعيدي،
ماتعودتش حد يلوى دراعى . .
أحمد: بس النكت كُلها على الصعايدة يا علاء . .

علاء: مش بعد كده يا أحمد.. مش بعد كده.. بكرة هيقولوا صعيدي
هو اللي قلب الدنيا.. هيتريقوا عليكم إنتوا يا بتوع مصر..
أحمد: اللي تشوفه.. خلّي بالك بس من نفسك ولو إني بقول برضه يا
علاء بلاش بكرة ده..

علاء: ماتبقاش خواف..

كان أحمد بالفعل مهزوزاً مأخوذاً بالموقف الذي تعرّض له منذ
ساعات..

كتم انفعاله وحاول أن يركّز تفكيره مع علاء.. كانت الساعة قد تعدّت
العاشرة في نقاش طويل عن تفاصيل الخطوة القادمة عندما نظر علاء في
ساعته: أنا لازم أقوم دلوقتي.. عندي لسه كتابة كثير..
أحمد: هو صلّك..

علاء: مش هينفع.. روح إنت.. الطريق مُمل بالمترو..

أحمد: أنا مش عايز أروح دلوقتي.. هاجي أضيع الوقت معاك..
هو صلّك وأرجع تاني بالمترو..

علاء: طب يالله بينا..

تمشيًا حتّى التحرير.. كان أمامهما ٤٥ دقيقة ليصلا بالمترو إلى محطة
حدائق حلوان.. طريق طويل تكدّس فيه الناس على كراسي عربية المترو
بوجوه سئمت روتين المشوار اليومي.. أطفال يعبثون كالشياطين هنا
وهناك، يعطون مبرراً قوياً لإلقائهم من العربة وهى تمشى.. رجال عجائز
ونساء بدينات مُستهلكات الصّحة.. شباب ورجال في مُتّصف العمر
عائدون من العمل، أو ربما هم ذاهبون.. فتاة جميلة تقف وحيدة، وشابان

لا يغمض لهما جفن عن الفتحة الصغيرة التي تُظهر جزءاً صغيراً من
ساقها، وشاب ملتح لا يرفع عينيه عن القرآن . . خليط غريب من البشر
تجمعهم تلك العربية التي تتمايل فتمايل معها الرؤوس والأجسام تمايل
ال دراويش في حلقة الذكر . . لا يقطع الصمت سوى مرور مترو آخر بجانب
العربة ليهزها ويصرخ فيها بعنف . . استند أحمد وعلاء على الباب .
يتحدثان قليلاً ويسكتان كثيراً حتى جاءت محطة حدائق حلوان . . انفتح
ال باب ونزلا في المحطة . .

علاء : حداشر يا أحمد . . لو ما كَلَمْتَكش إتحرك . .

أحمد : هتكلّمني وتسمّني أخبار حلوة كمان . .

علاء : أحمد . . إنت مش مُطالب بِحاجة . . أنا بفكرك . .

هز أحمد رأسه يُطمئنه : بلاش الكلام ده . .

إلتفت علاء ناحية ماكينات التذاكر، وأشار إلى عمارة من ثلاثة أدوار

تظهر من خلفهما : أنا ساكن هنا . .

كان يُشير إلى صف العمارات المُقابل للمترو . . عمارة قديمة صغيرة

واجهتها من الطوب الأحمر محشورة بين العمارات . . الدور الواحد به شقة

واحدة . .

علاء : الدور الثالث . . لما الجو يروق أنا عازمك إنت والواد التخين .

هعمل حفلة وهادبج جدى . .

أحمد : شيء الله يا شيخ علاء . . بركاتك . .

مد علاء يده : سلام يا أحمد . . إطلع إنت الكوبري العلوي وعدنى خُد

المترو اللي راجع الناحية الثانية . .

أحمد: سلام يا علاء.. خلّى بالك من نفسك..

علاء: خلّيتها على الله.. خلّى بالك إنت من نفسك..

افترقا.. لوّح علاء له بعدما مرّ من ما كينة التذاكر ووقف أحمد للحظة أشعل فيها سيجارة ثمّ مضى إلى الكوبري العلوي في آخر الرصيف.. صعد ووقف ينظر إلى العمارة التي يسكن بها "علاء".. حفظ مكانها على يأنه في زيارة قريبة.. رأى "علاء" وهو يدلف المدخل المظلم وصعد بعينه إلى الدور الثالث عندما لمح من فتحة الشيش ضوءاً متسللاً ينطفئ.. لم تكن هناك إلا شقّة واحدة في الدور.. شقّة لا يسكنها إلا ساكن واحد.. كان النور من شقّة علاء.. أخذته المفاجأة للحظة أخرج بعدها تليفونه وطلب رقم علاء..

أناه صوت تلك السيّدة التي لا تمل ولا تكّل.. "الهاتف الذي طلبته خارج نطاق الخدمة، عاود الاتصال..". اتصل ثانياً وهو يقفز درجات الكوبري العلوي.. أغلق علاء الخط.. ركض أحمد ناحية باب الخروج وقفز فوق ما كينات التذاكر وسط ذهول الموجودين وهو يضرب الرقم للمرّة الثالثة: رُد يا علاء.. رُد..

أناه صوت علاء: إيه يا أحمد.. فيه إيه؟؟

لمح أحمد شاباً يرتدى سترّة رياضية يخرج من مدخل البيت ويتجه ناحية سيارة مرسيدس ١٩٠ زيتي تحمل ثلاثة آخرون.. سائق واثنان في الخلف.. كان يبدو مستعجلاً.. فتح الباب الأمامي وركب بجانب السائق الذي ظل واقفاً لا يتحرك.. كان أحدهم ينظر إلى أعلى.. لشقّة علاء..

كان أحمد يلهث من تأثير النيكوتين المتراكم في صدره : علاء إنت فيه حد .
معاك في البيت؟؟

علاء : لأ . . بس فيه كركبة مش عادية في الشقة . .

أحمد : طب إقفل وإنزل حالاً . .

سكت علاء لحظة ثم استطرد : فيه حد دخل الشقة يا أحمد!!

كانت تلك آخر كلمة سمعها أحمد حين دوى انفجار عنيف من شقة علاء . . كان أحمد يعبر الشارع لناحية العمارة عندما سمع صوت فرقة تصم الآذان من إثر تفرغ هواء ونار زرقاء تخرج من أفواه الشبابيك . . تطاير الزجاج في كل اتجاه ناحية الشارع الضيق ومدخل المترو وانبطح المارة أرضاً من الذعر . .

كان الصوت أشبه بصريخ شيطان . . كل ذلك لم يأخذ لحظة ، وجأ أحمد بعدها نفسه على الأرض واضعاً يده على عينيه يتقى الزجاج المتطاير .
انقطعت الأصوات عنه فجأة كأن أحدهم فكّ وصلة الصوت عن أذنه . .

كان المشهد أمامه صامتاً حين لمح السيارة المرسيديس الزيتية تتحرك بجانبه مُسرعة ، وشاباً في الخلف يرفع جهازاً لاسلكياً إلى فمه ، قبل أن تنعطف إلى شارع ضيق . . ظل أحمد في تلك الحالة لأكثر من عشر ثوان إلى أن بدأ الصوت في العودة تدريجياً . . أصوات مُتداخلة . . صراخ من أطفال وبعض النساء المذعورات . . تصاعدت الألسنة بلا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . . أكيد أنبوبة . . حد يكلم المطافي يا جدعان . . حد معاه رنات . . فيه ريحة غاز . . استر يا رب . . أوعى يا ست إنتى لا حاجة تضرب تانى . . قام

أحمد من مكانه . . كانت التفاصيل مشوشة أمامه . . لم تكن نظارته على وجهه . .

نزل على ركبته يبحث في الأرض في ضوء الشارع الخافت الذي أذكاه الضوء البرتقالي المنبعث من النيران . . تحسّس الأرض حتى التقطتها يده . . رفعها إلى عينيه فوجد العدسة اليمنى قد تصدّعت . .

لبسها على عينيه واتجه إلى مدخل العمارة أملاً في أن يجد علاء مُصاباً عندما اعترضته أيدي اثنين من أهالي الحي . . يابني تعالِ هنا . . النار متكلك . . رايح فين . . مفيش حد فوق مُمكن بيقى فيه رّوح . .

صرخ فيهم . . إوعى . . إنتوا بتضيعوا وقت . . علاء مُمكن يكون اتصاب بس . . يابنى الدور كلّه نار مش مُمكن يكون حد لسه عايش . . المطافي جاية دلوقتى . . إنت قريبه؟؟ دفعهم أحمد في عنف وقفز إلى المدخل . . يابنى هتودى نفسك في داهية الله يخرّب بيتك!! لم يسمع أحمد شيئاً مما قالوه . .

لم يدر بنفسه إلا وهو على أعتاب الدور الثالث . . رائحة خانقة ودُخان يعمى الأبصار . . أخذ ينادى علاء . . علاء . . علاء . . صعد إلى نصف السلالم الموصّلة إلى الدور الثالث حين سمع انفجاراً آخر وصوت سقوط شيء ثقيل . . كانت النيران تطلّ ألسنتها من الشقة كألسنّة الأفاعي المشقوقة ، وكانت الرؤية شبه مُنعدمة كعدسة الكاميرا بدون ضبط البؤرة . . صرخ . . علاء . . لم يكن يستطيع أن يتقدّم أكثر من ذلك . . لكرته يد صارمة في كتفه . . انزل . . انزل . . إيه اللي موقّفك هنا؟ فيك حاجة؟ متصاب؟

كان رجل يرتدي جاكِتًا برتقالياً وخوذة نحاسية ، ويُمسِك بعنقته من
لصُّب . . رجلٌ مطافئ . .

نزل أحمد إلى الشارع أمام باب المترو وجلس على الرصيف . . صعد
رجلٌ على سلم سيارة المطافئ مُحاولاً إسكات صراخ النيران . . كان أحمد
يتنفس بصعوبة من إثر الدُخان الذي دخل رئتيه . . ظلَّ يسعل حتّى كادت
رئته تشقق . . رفع تليفونه المحمول واستعاد آخر رقم . . نظر إلى اسم علاء
على الشاشة ، فلم يتمالك نفسه من البكاء . . بكاه كمن فقد أخاً لم تلده
أمه . . ظل على هذه الحالة رُبَّع ساعة حتّى بدأت النيران تحتضر وتخفّت .
اكتظ المكان بالمارة المُتطفلين وسيارات الشرطه وثلاث سيارات مطافئ .

خراطيم مياه كالثعابين وفيضان على الأرض يصنع وحلاً . . فجأة بدأت
الناس تتجمهر أمام المدخل . . رجال المطافئ ينزلون بحمل على نقالة .
اقترب أحمد من المدخل . . كانت النقالة تحمل علاء أو ما كان علاء منأ.
قليل . . يُغطونه بملاءة بيضاء لم تُخف تلك اليد التي اسودّ لونها . . أشاح
أحمد بوجهه حين صاح أحد رجال الشرطه في الناس : فيه حد يعرفه؟ فيه
حد يا جماعة يعرف الساكن اللي في الدور التالت اسمه إيه؟

صاحت سيّدة عجوز : اسمه علاء يا بنى . . بيشتري من عندي طعمية
كُل يوم . .

الضابط : ما تعرفيش اسمه علاء إيه يا حاجة؟

السيّدة العجوز : ما عرفش يا بنى . . هو بس اسمه علاء . .

الضابط : طيب يا ست . . يلله يا جماعة عشان الناس تعرف تشتغل . .

ابتعد الناس قليلاً مساحة تسمح بوضع الجثة في سيارة الإسعاف التي
فرقت الجمع بسريرتها العالية واخترقت الزحام لتختفي عندما أمسك أحمد
بمرفق أحد رجال المطافئ: بعد إذنك . .

الحريقة حصلت إزاي؟

أجابه رجل المطافئ بعجلة: أنبوبة يا كابتن . . أنبوبة ضربت . .

أحمد: ضربت لوحدها كده؟؟

رجل المطافئ: لسه ما نعرفش . . يمكن تكون منقّسة . . أو عقب

سيجارة والنار طالتها . . الله أعلم . .

أحمد: الراجل اللي كان فوق مات في ساعتها؟

رجل المطافئ: الله أعلم . . إنت تعرفه؟؟

أحمد: لأ . .

انسحب أحمد، نظر للعمارة من فوق كوبري المترو العلوي بنظّارته
المكسورة قبل أن يعبر إلى الجهة الأخرى ويتخذ طريقه للبيت . . كان الطريق
طويلاً في العودة . . ظل أحمد دافئاً وجهه بين يديه مغمض العينين . . آخر
لحظاته مع علاء لا تُفارق مُخيّلته . . صوته . . وجهه وهو يضحك . .
التحدي بداخله . . تصميمه . . الساعة حداثر . . حداثر!! ارتد أحمد
للوراء دفعةً واحدة جعل سيّدة مُسنّة بجانبه تنتفض . . أخرج تليفونه وطلب
رقم عُمر: ألو . .

عُمر: إيه يا عم الحبيب . . إنت فين من الصبح؟؟

أحمد: عُمر . . إنزل قابِلني دلوقتي . .

عُمر: فيه إيه؟؟

أحمد: علاء ..

عُمر: ما لهُ؟؟

خفض أحمد صوته: علاء مات يا عُمر ..

صرخ عُمر: إيه؟؟ يا نهار اسود .. إيه اللي حصل؟؟

أحمد: هفهمك لما أشوفك .. قابلني بس في الشقة ..

عُمر: أفهم إيه اللي حصل .. ماتسبينيش كده ..

أحمد: مش هينفع في التليفون .. إسبقتني على الشقة ..

عُمر: قدامك قد إيه؟

أحمد: نُص ساعة بالكثير ..

عُمر: أحمد .. الموضوع ده ليه علاقة بالصور؟؟

أحمد: يمكن ..

عُمر: الله يخرّب بيتك .. مش قلتك هنروح في داهية ..

أحمد: عُمر .. إقفل وإستناني في الشقة ..

أغلق أحمد الخط وأسند رأسه إلى الرُجاج خلفه حين مرّ قطار آخر يصرخ

في عُنف ويهزّ عربته ..

كانت أفكاره مُبلّبة من المفاجأة .. دُخان كثيف يملأ رأسه .. أغمض

عينيه .. لم يدر كم محطة مرّت حتّى

سمع صوتاً .. صوتاً مألوفاً يُنادى: أحمد .. أحمد ..

أنزل رأسه .. كان العرق يتصبّب منها .. العربة خالية تماماً من

الناس .. نوافذها لا تعكس أي شيء من الخارج .. القطار كأنه يمشي

بسرعة الضوء .. نظر لمصدر الصوت فوجده جالساً .. بسروده المعهود ..

بأناقته المفرطة وبدلته الكروازيه السمئية . . كما هو حين رآه أول مرة في الكازينو . . وسيماً واثقاً، بارداً كرُصاصة لم تنطلق . . انتفض أحمد حين رآه حتى كاد يسقط من على الكرسي . .

ابتسم له في هدوء : إيه . . شئت عفريت؟

استعاد أحمد توازنه : إنت فعلاً زى العفاريت . . إنت مين؟

أجابه : إزأى ما تعرفينش؟

أحمد : هو المقروض إنتى أعرفك؟

أجابه : يعنى . .

أحمد : إنت عايز إيه بالظبط؟

أجابه : نفس اللي إنت عايزه بالظبط . .

أحمد : إنت مباحث . . أنا شفتك ثلاثين مرة ماعرفتش مرة إنت إيه . .

إنت مين؟

ابتسم وأخرج مندبله القماش ووضع على فمه : يومك باين عليه كان

صعب أوى . .

أحمد : مش هتقدر تعرف . .

قالها وهو ينتظر إلى مكان الخاتم في يد الرجل أمامه . .

خاتم حرف ال "G" . . لم يكن موجوداً . .

كان مكانه علامة فاتحة على اصبعه . . علامة حجب الضوء عن تلك

المنطقة من إثر ارتداء الخاتم لمدة طويلة . . نظر أحمد في وجهه ليجده هو

الآخر ينتظر إليه . . إلى يده تحديداً . . التفت أحمد إلى يديه ليرى ما ينتظر إليه

هذا المعتوه . . كانت يده ممتسخة . . لا شيء فيها غير التراب . . لا شيء

سوى علامة في بنصره . . علامة أفتح من بقية الأصابع . . علامة حجب
الضوء عن تلك المنطقة من إثر ارتداء خاتم . . ارتداء خاتم مُدَّة طويلة . .
تأملها . . لم تكن موجودة من قبل . . فركها بإصبعه . . سمع صوت
الرجل : فهمت حاجة؟؟

التفت في سرعة إلى جانبه . . لم يجده . . اختفي كأنه تبخر . . كان هناك
آخرون . . ازدحمت العربة فجأة . .

نساء ورجال وأطفال . . كأنهم ظهروا من العدم . . قام يبحث في
العربة . . مرَّ على كل الوجوه فيها . .

لم يعد له أثر . . أخذ يتأمل تلك العلامة الفاتحة حتى جاءت محطته . .
محطة الملك الصالح . . ظلَّ واقفًا أمام العربة حتى رحلت . . ولم يظهر . .
عشر دقائق حتى أفاق من المواجهة الغريبة، واتخذ طريقه إلى شقته . .

.....

في مكتب صفوان كان الهدوء مسيطراً . . . جلس صفوان ينتظر في الفراغ وأمامه مظفأة سجائر مزروع فيها غيظ من الفلاتر المستعملة ، حين قرع الباب مصطفى عارف ودخل في سرعة متحمساً يبدو على وجهه الظفر : تمام يا فندم . .

صفوان : إيه الأخبار؟؟

مصطفى : كل حاجة مشيت زى ما سيادتك أمرت . .

صفوان : إتاكدت؟؟

مصطفى : الهدف لسه واصل لتلاجة المستشفى من خمس دقائق . . أنا ما بلغتش سيادتك غير لما سمعت بودانى . . وفيه حاجات كتير جمعناها من الشقة قبل ما يوصل . . مفيش ركن ما فتشناش فيه . .

صفوان : فيه أى أصول؟

مصطفى : مش بالظبط . .

صفوان : يعنى إيه مش بالظبط؟

مصطفى : لقينا شوية أوراق خاصة بالبنك المركزي . . مقال بيتكلم عن رشاوى وعمولات ونسخة تانية من اللي صادرناه من الجرنال قبل كده . . وشوية صور . .

صفوان : مفيش أصول؟؟ مفيش نيجاتيف صور . .

مُصطفى : للأسف لأ . . بس فيه حاجة . .

صفوان : حاجة إيه؟

مُصطفى : فيه مُفتاح . . مُفتاح خزانة بنك . .

صفوان : فين المُفتاح ده؟؟

أخرج مُصطفى من جيبه المُفتاح وناولَه لصفوان الذي تأمَّله : ده مُفتاح

نك إيه؟

مُصطفى : العلامة مش موجودة . . واضح إن حد كحتها . . فيه رقم

بس . . رقم مُسلسل . .

تأمل صفوان المُفتاح . . كان عليه من إحدى الجوانب رقم " ٥٧٠ " . .

صفوان : تقدر تعرف ده بنك إيه؟

مُصطفى : من بكرة يا فندم هبعت مندوب من عندى يروح البنوك اللي

فيها خزن . .

كان صفوان يتفحص المُفتاح : البنك ده قديم . . مُفتاحُه يدوي مش زى

البنوك الجديدة . .

رجع بالكرسي إلى الخلف وفتح دُرج مكتبه الأيمن ، أخرج عدسة مُقرَّبة

وضع المُفتاح تحتها وقرب الأباجورة : فيه كتابة كانت محفورة هنا . . كان

نظرُ لجانب المُفتاح . . واضح إنَّه حاول يخفيها بألَّة حادة . . مكتوب بنك

ل . . ال . . شطب اسم البنك . . ده يُحصِر الموضوع شوية . . يعنى بنك

صر لأ . . البنك الأهلي لأ . . يمكن بنك الإسكندرية أو بنك الائتمان .

ويمكن بنك القاهرة . . بنك أوله ألف ولام ، بكرة من بدري تعرف لي

نك إيه . . المُفتاح ده لقيتوه فين؟

مُصطفى: تحت الغيارات الداخلية في دُرج الدولاب . .

صفوان: ٩٠ في المية الخزنة دى فيها الأصول . . أنا عايز القصة دى

تخلص بكرة يا مصطفى . .

مُصطفى: أكيد يا فندم . .

صفوان: الموضوع التانى أخباره إيه؟

مُصطفى: مافاضلش عندنا غير أحمد كمال واحد بس نتأكد إنه هو . .

بكرة هيكون فيه خبر . .

صفوان: تابع معايا . .

مُصطفى: هكلم سيادتك أول ما يبقى فيه أخبار . .

صفوان: مُصطفى إحنا لسه ما خالصناش . . مش عايز مجازفة لغاية ما

نقفل الباب ده . . مفهوم . .

مُصطفى: مفهوم يا فندم . . بكرة بالليل هيكون كل ده إنتهى . . المسألة

مسألة وقت . .

في الوقت الذي أعلق فيه مُصطفى الباب على صفوان، كان هناك مفتاح

يولج في باب شقة المنيل . .

كان عمر جالساً على الأجهزة يُغلق الملفات بكلمة سر، ويخفي كل ما

له صلة بعلاء والصور المشثومة، بعدما جاءته مكالمة أحمد حين سمع صوت

فتح الباب . . انتفض في رعب . . هب من مكانه يُمسك بمكواة أحمد ويقف

بجانب الباب مُنتظراً الداخل . . سمع خطوات تقرب . . رفع يده بالمكواة

استعداداً ليهوى بها على مقتحم خلوته، حتى ظهر أحمد الذي أفلت

بأعجوبة من ضربة كادت تقضى عليه: إيه يا بنى ده . .

عُمر : إفتكرتك حد تانى . . إيه اللي حصل؟

ارتمى أحمد بظهره على المرتبة في وسط العُرفة بعدما خلع نظّارته، وأغلق بينه لدقيقة لم يتوقّف فيها عُمر عن سؤاله عن ما حدث . . كان يشعر ارتخاء غريب في أعصابه كأنّه تناول مُخدراً قوياً . . بات كلام عُمر همس نير مفهوم . . صداع خلف العين من أثر فقدان عدسة النظّارة وتلك للزوجة في شرايينه كأنّ الدم قد نفذ، وألم كالسكين ينبض مُعتصراً كتفه . . لم يستمع أحمد لكلمة بما قال عُمر حتّى عبارة: أنا هامسح الصُّور . . قام أحمد من مكانه يخلع قميصه : مفيش صور هتتمسح يا عُمر . .
عُمر : طب فهمنى إيه اللي حصل . .

أحمد : علاء مات . . فيه حد كان في البيت قبل ما يطلع . . انفجار
بشع . .

عُمر : مُمكن واحدة واحدة . .

حكى له أحمد تفاصيل المُقابلة، وظروف الانفجار والوفاة حتّى كاد يُعاب عُمر أن يسيل . .

عُمر : إنت متأكّد إن كان فيه نور في الشبّاك؟

أحمد : زى ما أنا متأكّد إنك قُدّامى دلوقتى . .

عُمر : والعربية المرسيدس مالحقتش تاخذ نمرتها . .

أحمد : كُل حاجة حصلت بسرّعة . .

عُمر : وبتقولّى أخلى الصُّور ما أمسحهاش . . إنت مجنون . . إحنا لغاية

هنا حلّو أوى . .

احتد أحمد فجأة كإبريق يغلى : لو مش عايز تكمل ما حدش ضربك على

إيدك ، إرمى الصور دى على سى دى وأنا هتصرف . .

عُمر : إنت هتشنك عليا؟! أنا عايز مصلحتك يا غبي . .

إنت كده هتضيع نفسك وتخيطنى معاك . .

أحمد : أنا عارف أنا بعمل إيه كويس . .

عُمر : إنت مش عارف حاجة . . وإنفعالك ده هيخليك تقع في الغلط إن

ما كنتش وقعت فيه أورريدى . .

أخذ عُمر يدور في دوائر حول أحمد : دلوقتي الناس دى وصلت لعلاء ،

ومش بعيد يكون عندهم معلومات عنك إنت كمان . . تعالى

نفكر بهدوء . . إنت كلمته في التلفون؟؟

أحمد : كلمته . .

عُمر : إمتي؟؟

أحمد : قبل ما يحصل الانفجار بلحظة قلت لك . .

عُمر : ما أظنن إنهم يلحقوا يتابعوك . . وإحتياطي إقفل التلفون

وإفصل الشريحة . . طب تفتكر إن الناس دى فتشت البيت؟

يعنى لقوا عنده حاجة تخصنا . .

كان أحمد ينزع بطارية الموبايل ويزيل الشريحة : مش ده اللي خايف

منه . . المشكلة إنهم يكونوا لقوا المفتاح . . الأصول في الخزنة وعلاء كان

بيخاف يشيله معاه عشان لو اتقبض عليه . .

عُمر : ما يعرفوش كلمة السر اللي معاك . .

أحمد : ده مش هيقف قدامهم . . لو جوا يعرفوها هيعرفوها . .

عُمر: ده إذا عرفوا البنك . . إنت مش قُلت إن علاء كان كاحت
الاسم؟

أحمد: أيوه . . مفيش غير رقم الحزنة . . بس ده مش هيوقفهم برضه . .
يمكن يعطلهم ساعات بس . .

عُمر: ورينى المفتاح . .

أخرجه أحمد من جيئه وناوله لعُمر: لازم نتخلص من البتاع ده . . إسمع
كلامي يا أحمد . .

أحمد: ناخذ الحاجة وبعدين كده كده مش هيبقى له فائدة . .

عُمر: إنت عايز الأصول في إيه؟؟ الناس دى مش هتسمح بأى نشر
للمعلومات دى . . الكلام ده يتعمل في أي دولة بره . . مش
هنا . . والا إنت عايزنا نحصل علاء . .

دفن أحمد وجهه بين يديه في حين استطرد عُمر: اسمع كلامي يا أحمد .

مش هنقدر نُقف قُدام الناس دى . . اللعبة ما بقتش لعبة . . إنت

عارف كويس أوى إتنا في الآخر عيال بالنسبة لهم . .

و أديك حاولت وكفاية جلال والفضيحة اللي عملناها له . . كتر

خيرنا . . قُل أوى لغاية كده . . والا هي إنتحار وخلص . .

أحمد: ده ما يمنعش إن لازم أفتح الحزنة . .

عُمر: طب لو إتقابلتوا هناك؟

أحمد: همّا مش أسرع منى . . فيه كذا بنك والعملية مش سهلة . . آخا .

الأصول وبعدين نبقى نفكر . .

من الصُبح بدري هكون واقف قُدام البنك . . خمس دقائق والحاجة تبقى

عيايا . .

قام عُمر ووقف يسند ظهره إلى ترابيزة الكمبيوتر . . نظر في وجه أحمد . .
مط شفّيته وضيق عينيه . .

و قطب جبينه : وده يبقى آخر كلام؟

لم ينظر أحمد لعينه : ربنا يسهّل . .

عُمر : كُنت عارف إنك هتقول كده . . ربنا يسهّل بتاعتك دى معنى لأ ،

يا أحمد إحنا في عرض أي حاجة تبعدنا عن الناس دى . .

رفع أحمد رأسه : قلت لك ربنا يسهّل . .

قالها وهو يُحدق في شيء خلف عُمر . . شاشة الكمبيوتر . . كانت

مفتوحة على ملف به صورة علاء . . الصورة التي التقطها له عُمر في الشارع

وتحوّلت إلى صورة فاضحة . .

عُمر : الحاجة دى نولّع فيها . . تختفي . . أنا مش عايز أتبهدل . . هيبعك

من أوّل قلم أنا عارف نفسي . .

أحمد : ششش . .

قام أحمد يزيع عُمر من أمام الشاشة : تعالى أقعد . .

عُمر : عايز إيه تانى؟؟

أحمد : إفتح صورة علاء على الفوتوشوب . .

عُمر : إحنا مش قلنا خلاص . .

أحمد : وإنّ مش قلت إحنا في عرض أي حاجة تبعدنا عن الناس دى؟

فتحها عُمر : دماغك فيها إيه؟

أحمد : معاك بطاقتك؟

عُمر : عايز تعمل إيه يا نبيلة؟

أحمد: إنت لسه ما عملتش الرقم القومي مش كده؟
عمر: لسه . . قالها عمر وهو يفتح دُرج المكتب ليُخرج محفظته . . كانت
محفظة جلد تُعبان سوداء بالية، لو كانت لصالح الدين الأيوبي
لكانت أفضل حالاً . . كانت مملوءة بأوراق ونقود مطوية طي
البرديات الفرعونية . . من بين الأنقاض استخرج عمر
البطاقة . . كانت مَهترئة كمخطوط قديم . . كخريطة كنز،
عليها صورة لثلاجة بدون باب، شعرها أشعث وترتدي قميص
أزرق يُشبه ملابس المساجين . . ذلك كان عُمر في السادسة
عشرة . . تناول أحمد البطاقة بأطراف أنامله . . تأملها قبل أن
يضعها في الماسحة . . مدَّ عُمر يده ليُغلق الدُرج حين لمح أحمد
شيئاً فضياً لامعاً . . استوقف يد عمر وفتح الدُرج ثانياً . . كان ما
رآه خاتماً . . خاتماً عليه حرف "G" . . تضاربت نبضات قلبه
في هستيريا . . أخرجه من الدُرج وهو يسأل عُمر الذي انخرط في
مسح بطاقته ضوئياً: إيه ده؟

عمر: أنت عبيط يله . .

أحمد: مين جاب الخاتم ده هنا؟

عمر: أمي . .

صرخ أحمد: ما بهرجش؟؟

عمر: إيه يالله . . إنت إيجننت . . إنت اللي حطيتُه هنا . .

أحمد: أنا ما أعرفش أي حاجة عن الخاتم ده . . بس عارف مين اللي

يلبسه . . وعارف إن مش أنا . .

عُمر: جرى إليه يا أحمد . . يا ابني الخاتم ده بتاعك . . إنت نسيته واللا
إيه؟

أحمد: الخاتم ده مش بتاعى . .

عُمر: والنبي أنا ما فايق للهبل بتاعك ده . .

أحمد في توسل: يا عُمر عشان خاطري بجد رُد عليا، الخاتم ده بتاع مين؟
أنا اللي جيته هنا؟

عُمر: يا حببي الخاتم ده إنت عملته عشان غادة . . " G " أول حرف في
اسمها . . إيه اللي حصلك يا عم المسطول؟

أحمد: عملته إمتى؟

عُمر: أنا مش مصدق إنك بتهرج دلوقتي . .

أحمد: رُد عليا بس . . عملته إمتى؟

عمر: بعد ما كلمتها في التليفون أول مرة وعرفت إنها اسمها غادة . .
عملته في الحسين عند بتوع الفضة . . كلّفك ٦٥ جنيه . . عايز
حاجة تانى . .

أحمد: طب وحطّيته هنا ليه؟

عُمر: عشان إتكسفت توربها إنك ولهان من أول مرة تقابلها . . إيه ده؟
تحقيق؟

رجع أحمد إلى مرتبة السرير وجلس . . رفع الخاتم . . أخذ يتأمله . .

لبسه في اصبعه . .

كان مُطابقًا . . لم يكن يملك أي تفسير . . كانت الليلة مشحونة لدرجة
لم يعد هناك مكانًا لحدث إضافي . .

إلا أنه تذكّر شيئاً . . صورة . . صورة جلال في آخر مرة قابله في الكازينو
قبل أن يكتب له الورقة المربكة . .

أحمد: عُمر . . افتح لي صور جلال الأخرانية . . صورته مع البنب
الصغيرة . .

عُمر: إيه اللي فكرك بي دلوقتي؟

أحمد: عايز أشوف حاجة بس . .

فتح عُمر الصورة . . انحنى أحمد يقترّب من الشاشة . . كان ينظر في
أعلىها . . إلى المكان الذي لوّح منه ذلك الرجل ذو الخاتم عندما أعطاه
الورقة الفارغة . . لم يكن موجوداً . . كانت الترابيزة وراء جلال وخليله
شاغرة .

أحمد: عُمر . . إنت قصيت الصور دي؟

عُمر: ولا عملت فيها حاجة . .

أحمد: الخلفية . . كان فيه راجل في الخلفية . .

عُمر: راجل مين يا أحمد؟

أحمد: الراجل صاحب الخاتم ده . .

عُمر: ما كانش فيه حد في الخلفية يا أحمد إيه اللي حصلك؟

ارتقى أحمد على المرتبة بظهره . . انتابته ومضات كضربات فلاش

الكاميرا . . ومضات سريعة له وهو يرسم شكل الخاتم على ورقة بيضاء .

وهو يتسلم الخاتم من محل الفضيات . . ومضة وهو يرتديه في الكازينو .

ومضة رأى فيها نفسه جالساً وحده على ترابيزة . . ترابيزة في آخر الكازينو

خلف جلال مُرسى . .

كان ذلك أكثر من احتمالهِ . . ارتخى جسدهُ تدريجياً حتّى استسلم . .
نام . . نام بعمق كما لم ينم من قبل . . بالأحرى فقد الوعي . . شاهد نفسه
واقفاً أمام مرآة . . مرآة في وسط عُرفته . . مرآة تعكس كُل ما بالعُرفة إلا
نصيلةً وأحدة . . هو . . لم يكن له انعكاس . . أحمد . . أحمد . .
أحاًاااااااااا . . أخذ الصوت يعلو تدريجياً حتّى فَتح عينهُ . .

كان عُمر لا يزال في مكانه : إيه يله؟؟

أحمد : أنا نمت؟

عُمر : أنت مُت . .

لم يعد يملك إمكانيّة التحليل أو الاستنتاج . . كان وقت تنفيذ خطّة إنقاذ
الاجلة . .

طرد هواجس لا تفسير لها بعدما دس الخاتم في جيبه وشبح ذلك الرجل
الغامض لا يُفارق خياله . .

التفت لعُمر : افتح صور جودة . .

عُمر : إيه اللي فكرك بجودة دلوقتي؟؟

أغمض أحمد عينه اليمنى التي فقدت رُجاج عدستها وهو يُدقق في
الشاشة : جميل قديم ولازم يترد . .

.....

في الثامنة والنصف صباحاً كان بنك القاهرة يفتح أبوابه للجمهور . .
سيارة حسن ابن عمّة عمر كانت بعيدة نسبياً عن المدخل وإن كانت تكشفه ،
وكان عمر وأحمد جالسين في السيارة حين لمحا أبواب البنك تفتح . . أمسك
أحمد مقبض الباب : أنا نازل . . افكر اللي قلت لك عليه . . رُبّع ساعة
وتتحرك لغاية الميدان وتستنى . . رُبّع ساعة كمان لو ما جيتلكش تروح
وتولّع في كل اللي عندك . .

عُمر : المُفتاح معاك؟؟

أحمد : معايا . . ومعايا شنطة بلاستيك . .

عُمر : حاول تنجز . .

أحمد : المُهم ما يكونوش سبقونا . . لو شفت حاجة إديني رتة . .

قالها أحمد ونزل من السيارة في اتجاه الباب ، في حين تابعه عُمر في المرآة . .
دخل أحمد البنك . . كان لا يزال خالياً لا حركة فيه بعد إلا من بعض

الموظفين الذين لم يستفتحوا بعد . .

مرّ بعينه يقرأ اللافتات فوق الشبابيك . . لم يجد ما يمت بصلة إلى

الخرائن . . أخذ يتأمل وجوه الموظفين الذين انهمكوا في ترتيب مكاتبهم

وفتح أجهزتهم . . اختار رجلاً يبدو مشغولاً في أوراق أمامه . .

أحمد : صباح الخير . .

رد الرجل بدون أن يرفع عينيه : صباح النور . .

أحمد : والله أنا كان ليا خزنة عندكم هنا وكنت عايز أ . . .
قاطعہ الرجل : استاذ أحمد راشد ، تانى مكتب على الشمال . .
أحمد : شكراً . .

كان أحمد راشد رجلاً طويلاً وسيماً في أواخر الخمسينيات . . وكان مدير
الفرع . . قرع أحمد باب مكتبه . .
أحمد : صباح الخير . .

أحمد راشد : صباح النور . . إتفضل . .
أحمد : والله كان عندي خزنة والدي عندكم وعايز أفتحها . .
أحمد راشد : معاك البطاقة والتوكيل ؟
ناولہ أحمد البطاقة : إتفضل . .

كان عمر قد استبدل صورته مع صورة قديمة لأحمد ، بعدما غير البيانات
عملية جراحية قضى فيها الليل كله ليكتب اسم علاء جمعة تحتها بعدما
سح اسمه بعصارة الليمون . .
فتح أحمد راشد البطاقة مشمئزاً : إيه يابني ده . . البطاقة دي ما
نفعش . .

أحمد : والله بقالي فترة عايز أغيرها بس مفيش وقت . .
مد الرجل يده بالبطاقة لأحمد : البطاقة دي ما تنفعش . . لازم بطاقة
رقم القومي . .

أحمد : أنا مستعجل والله يا أستاذ أحمد . . ما ينفعش نمشيها المرة دي
والمرة الجاية أكون عملتها . .

أحمد راشد: مش أنا اللي حاظط القوانين . . إنت كان لازم تعملها،
محدش بيمشى بالبتاعة دى دلوقتى . .

لمح أحمد بروازاً فوق مكتبه؛ فيه صورة لثلاث بنات في سن مختلفة . .
الصغيرة كانت بدينة منكوشة الشعر ترتدي بلوزة Adidas . .

أحمد: دول بناتك أكيد؟

ظهر الزهو على وجه الرجل: دول بناتي . . شيرين ونيرمين . .
والكلبوظة دى نيفين، آخر العنقود . . أسمائهم لايقة على بعض
مش كده؟ أهى الكبيرة دى خطوبتها النهاردة . .

أحمد: ربنا يخليهم لك . . أمامير أوى . . لو حبيت تجيب لهم هدوم يا
ريت تكلمنى . .

بدا على وجه الرجل الاهتمام: هو حضرتك شغال فين؟؟

أحمد: أنا شغال في توكيل أديداس . . هجيلك خصم يجتن . . أسعار
تانية خالص بقى غير المحلات . .

أحمد راشد: عارف . . إنت باين عليك إبن حلال . . أنا همشيلك
الموضوع المرة دى . . عشان وشك سمح ده، بس إعمل البطاقة
الجديدة بقى المرة الجاية . . ثم نظري في البطاقة . . إسمك علاء
إيه؟ مش باين . .

أحمد: علاء . . علاء حسين السيد جمعة . .

أحمد راشد: إنت قلت توكيل أديداس ده فين؟

.....

فتح الرجل أكثر من بوابة حتى يصل إلى القبو حيث غرفة الخزانين . .
كانت الغرفة عريضة متخمة بالأدراج التي تغطي كل الحوائط . . أخذ
الرجل مفتاح أحمد وقرأ الرقم قبل أن يمشی قليلاً ليتوقف عند خزانة عليها
الأرقام نفسها . . ٥٧٠ . . وضع مفتاح أحمد ووضع مفتاح البنك في ثقب
بجانبه . .

أصدرت الخزانة نكّة . . سحبها الرجل ووضعها على منضدة تحتل
مُتتصف الغرفة . .

أحمد راشد: حافظ الرقم السري؟

أحمد: طبعاً . .

أحمد راشد: أجب لك كيس طيب؟

أجابه أحمد في عَجالة: شكراً معاًيا . . يدوب عشان ألحق معادي . . .
تركه الرجل ليكمل فتح الخزانة . . كتب الرقم على العجلات الثلاث
الأشبه بالتروس . . ١٩٣٣ . . ثم ضغط على زر في الجانب فانفتحت الخزانة
التي كان بداخلها ظرف أصفر كبير مكّدّس وملتصقة به ورقة مطوية . .
فضّها أحمد . . كانت رسالة من علاء . . رسالة من ثلاثة سطور . .
مش قُلت لك إن فيه ناس ضوافرها طويلة . .

لو وصلتك الرسالة دي يبقى أنا كده عملت كل ما في إستطاعتي . .

لسه بأكدّ لك إنك مش مُطالبّ بحاجة . . إفتكرني بالخير . .

في نفس ذلك الوقت لمح "عُمر" سياراً مرسيديس سوداء تقف أمام مدخل البنك . . نزل منها ثلاثة أشخاص أحدهم كان معه لاسلكي وفي جانبه طبنجة . . يتقدّمهم "مصطفى عارف" الذي كان يتحدث في تليفونه المحمول مع صفوان : أنا قُدام بنك القاهرة سيادتكم . . سألت الصُبح في الفرع الرئيسي قالوا لي إن ده مُفتاح الخِزن بتاعتهم . . وعرفت إن الخزنة دى في فرع مصر الجديدة . .

مصطفى : قُدامك قد إيه؟

صفوان : عشر دقائق وأكلم سيادتكم . .

في السيارة الحمراء، انزلق عُمر في الكرسي الأمامي حتى اختفت رأسه . .

أخرج تليفونه وضرب رقم أحمد . . تلك الرسالة البغيضة . . هذا الرقم غير مُتاح حالياً . . يا نهار اسود . . طلب مرةً أخرى . . أجابته نفس السيدة . . كان أحمد في ذلك الوقت يطوى الورقة ويضعها في جيبه ويُخرج كيس بلاستيك أسود ويضع فيه الظرف الأصفر عندما أتته رنة . . نظر في تليفونه المحمول . . كان رقم عُمر . . لم يكن لتلك الرنة إلا معنى واحد . . أغلق الخزانة بعدما رمى فيها ظرفاً أخرجه من جيبه، وسحب كيسه، ثم وثب سلم القبو إلى أعلى عندما اصطدم بشخص . . كان أحمد راشد مدير الفرع : أستاذ علاء . . رايح فين؟

أحمد : يدوبك ألحق مشوارى . .

مدير الفرع : طب ما تيجى خمس دقائق نشرب قهوة في المكتب . .

أحمد : معلش مرةً ثانية . .

مدير الفرع : طب آخذ بقى رقم تليفونك . .

أملأه أحمد رقم تليفون ارجالياً : هستنى تليفونك . . هعملك خصم
هايل . . هايل . .

حاول أحمد أن ينسحب مبسماً فاستوقفه مدير الفرع : إستنى . . هديك
رنة تسجل رقمي بقى . .

لم ينتظر الرجل . . ضغط زر الاتصال بالرقم الوهمي الذي أعطاه له
أحمد وظلّ واضعاً التليفون على أذنه ينتظر سماع رنة وصول الرقم : عارف
والله دى مش شغلتي . . المفروض فيه موظف تحتي هو اللي يعملها ، آخذ
إذن نص ساعة . . بس حظي بقية عشان أتعرف عليك . .

انقضت ثوان قبل أن يُصدر تليفون أحمد رنة سريعة . .

دهش أحمد ونظر في شاشة التليفون . . كانت الرنة من عمر يستعجله . .
مدير الفرع : ما لكش حجة بقى رقمي معاك أهه سجله وهكلمك عشان
أجيب البنات وأجيبك . . فيه مقاسات للتخان؟؟

كان أحمد يسحب نفسه منه سحباً : أنا ليا الشرف يا باشا . . كل
المقاسات موجودة . . تنور . . سلامو عليكو . .

استاذ أحمد يا راشد . . فيه ناس عايزينك . . كان ذلك صوت موظفة أتى
من خلف شبّاك من شبابيك الصرف . . ودّعه مدير الفرع وذهب يستقبل
زائريه . .

انسحب أحمد إلى الشارع مُسرِعاً . . اتجه إلى عمر الذي كان " مفعوصاً "
في الدريكسيون . . خبط بيده على سقف السيارة فانتفض عمر يدور المحرك
وانطلقا بعيداً . .

في الداخل كان مدير الفرع واقفاً مع مُصطفى عارف : أستاذ أحمد . .
قميد مُصطفى عارف معاك . .

همز مدير الفرع رأسه في تحية : أحمد راشد مدير الفرع . .

مُصطفى : معانا مُفتاح خزانة عايزين نفتحها . .

مدير الفرع : أوى أوى وماله . . فيه توكيل؟

مُصطفى عارف : كُل اللي إنت عايزه . .

قاطعهُ صوت يُنادى مدير الفرع من عند الباب . . كان موظفاً رفيعاً
غاية بدت عليه العجلة . .

اقترب من مدير الفرع : أستاذ أحمد . . إتأخرت عليك؟؟

مدير الفرع : جيت في وقتك . . والا أنا أفضل شايل شُغلك بقه طول
اليوم . .

التفت المدير إلى مُصطفى عارف : ده هاني مستول الخزن عندنا . .
هيعملك كُل اللي سيادتك عايزه . .

ثم إلتفت لهاني : هاني . . عقيد مُصطفى معاك . . شوف طلباته . . اللي
يؤمر به . .

هاني : إتفضل يا فندم . .

أشار هاني إلى مُصطفى عارف أن تفضل ، في حين سحبه مدير الفرع
بيداً يكلمه : هاني أنا لازم أمشى دلوقتي . . إنت عارف النهاردة خطوبة
برين عُقبال عندك . . إتصرف إنت معاهم شوفهم عايزين إيه . .

هاني : سيب كل حاجة علياً يا أستاذ أحمد . . إحنا عندنا كام شيرين . .
مبروك يا باشا . . توكل سيادتك على الله وإقفل موبايلك حتى
عشان محدش يزعجك . .

تركه هاني واتجه بع مصطفى عارف إلى القبو : سيادتك رقم الخزنة
كام؟

كانوا أمام باب القبو عندما ناوله مصطفى المفتاح : الرقم اللي مكتوب
على المفتاح ده . .

هاني : هو المفتاح مش بتاع سيادتك؟

مصطفى : لأ مش بتاعى . .

توقف هاني : دى مشكلة . . يعنى سيادتك مفيش معاك الرقم السري؟
وضع مصطفى يده على كتف هاني : معايا أمر نيابة . . الخزنة دى فيها
حاجات بتمس أمن بلدك كلها . . صدقتى مش هتحب تعرف
مين منتظر مكالمه منى دلوقتى أطمئه إن كل حاجة تمام . .

هاني : بس سيادتك . . أنا ما أقدرش أعمل ده لوحدى . . لازم أبلغ
إدارة البنك . . وأستاذ أحمد اللي كان هنا دلوقتى مشى .

مصطفى : افتح وبعدين كلّم كل اللي إنت عايزهم . . كل دقيقة محسوبة
عليك صدقتى . .

هاني : طيب أشوف كارنيه سعادتك وأمر النيابة . . أصورهم بس
صورة . .

أخرج مصطفى الكارنيه من محفظته ، وفتح كف هاني وخبطه في راحته :
صورهم زى ما إنت عايز بس أنا قدامى خمس دقائق لازم أكون

خرجت من هنا . . إفتح وبعدين بروزه، صورّه، كُل اللي إنت عايزه . .

اختفي هاني دقيقة عاد بعدها مع زميلين آخرين وظرف ومفتاح .
سحب الخزينة وضرب الرقم السري . .

مُصطفى : شكراً بقى لغاية كده . . سيبنى لوحدى شوية . . لما أخلص
هندهلك . . ماشى . .

تركه موظفو البنك . . انتظر حتى اختلفوا، ثمّ فتح الخزينة . . وجد فيها
الظرف الذي تركه أحمد . .

فتحه ليجد نيجاتيفات وصورة . . صورة لشخصين . . أخذ الظرف ثمّ
أخرج تليفونه وطلب رقماً . .

صفوان : ها . . خلاص؟؟

مُصطفى : تمام يا فندم . .

صفوان : طب يالله تعالى حالاً . . متابع الموضوع التاني بتاع الجوازات؟؟

مُصطفى : خلاص دلوقتي مفيش داعي يا فندم . . لما سيادتك تشوف
اللي معايا هتفهّم . .

صفوان : طب يالله ما تتأخرش . .

مُصطفى : مسافة السكّة يا فندم . .

على مكتب صفوان وضع مُصطفى الظرف . . فتحه وأخرج منه بعض

النيجاتيفات لأشخاص في الكازينو وصورة مطبوعة . .

صفوان : ده علاء جُمعة أنا عارف شكله . . بس مين اللي معاه ده؟؟

مُصطفى : ده المصورّاتي بتاع كازينو باريس اللي قُلت لسيادتك عليه . .

صفوان : أحمد كمال؟؟

مُصطفى : لأ يا فنديم . . ده جودة اللي توفي من فترة . .
كانت أمام صفوان صورة خميمية جداً لجودة وهو يتنسم محتضناً لعلاء
جمعة . . صورة ماركة " عمر™ " لا يختلف عليها اثنان . . قضى ليلته كلها
يصنعها كما لم يصنع صورة من قبل . . راعى فيها كل التفاصيل . . كانت
بحق تحفته الفنية التي لن يكتب عليها اسمه . .

صفوان : يعنى كانوا يعرفوا بعض؟؟

مُصطفى : هو ده كان المصدر يا فنديم . . واضح إنه باع الصور دى أو
يمكن إدها لعلاء قبل ما يموت . . أرشيف قديم عنده وإستغله
علاء عشان يرفقه مع مقالاته . .

صفوان : إنت متأكد إن ده جودة؟

مُصطفى : جودة كان بيشتغل في الكازينو يمكن من أوائل السبعينات .
ليه ورق عامل وصورة بطاقته . .

صفوان : طب والثانى؟؟ أحمد كمال؟؟

مُصطفى : الثانى مُشكلته إنه كان مُصوّر باليومية مع جودة . . أُجرى
مش متأكد . . مالوش ورق . . أنا كلمت الجوازات حتّى وأنا
جأى بيَقولوا إن كُل اللي اسمهم " أحمد كمال " فعلاً لسه في
السعودية . . مفيش حد جه . . المُشكلة إن كُل المعروف عنه إن
إسمه " أحمد كمال " وبس . . حتّى محدش يعرف أحمد حاجة
كمال والا أحمد كمال على طول . . مفيش اسم ثلاثي ولا
تفاصيل مكان سكن لآته كان ساكن في أودة كانت مخزن قديم في
الكازينو . .

صفوان : والأصول؟؟

قاطعهُ مُصطفى : وارد تكون مش كُلّ الأصول . . أو اللي كان عنده
صور بس مش أصول ، ويمكن يكون أغلبها اتحرق معاه في الشقة
وده اللي فضل . . مش هنقدر نعرف ؛ لكن سيادتك الموضوع
كده مابقاش فيه شهود . .

صفوان : مش متعود أعتد على الوقت عشان يثبت لى إن الموضوع
إنتهى . .

مُصطفى : إحنا معندناش إختيار ، ٩٩٪ الموضوع إنتهى ، لكن يفضل
الواحد في المية ده وارد لغاية ما الوقت يتكفّل بيه وتتابع برضه
سيادتك مع الجرايد . .

شرد صفوان بعينه متابعاً ريشات مروحة السقف وهى تدور : طيب
سيبنى شوية دلوقتى يا مُصطفى .
مُصطفى : أوامر سعادتك . .

استوقفه صفوان وهو عند الباب : مُصطفى . . قصص الديول وقفل
الملقات .

مش عايز حد يسمع عن المواضيع دى . . كأنها ما حصلتش .
مفهوم . . إنت عارف ، كلمة تنتظور المجهود ده كُله هيقى في الأرض .
مش عايزين نهدي اللي عملناه . .
مُصطفى : أكيد يا فندم . . مفهوم . .
رحل مُصطفى وترك صفوان شاردًا . . لم يكن يفكر إلا في شيء
واحد . . واحد في المية . .

في الأستوديو بدأت أنفاسهم تهدأ . . كان ما تعرّضاً له أكبر من قوّة عملهم . . اشترى أحمد في طريقه جريدة . . كان يبحث عن أثر لحادث علاء . . في الطبعة الثالثة صفحة ١٤ كُتِبَ خبر صغير عن انفجار أنبويّة بوناجاز بحمي حدائق حلوان بسبب عَقْب سيجارة أودى بحياة ساكن الشقّة . .

عُمر : علاء ماكانش بيشرّب سجاير . .

أحمد : ولو حتّى بيشرّب . . ده يدوبك دخل من الباب . .

كان الخبر كأنه كُتِبَ مُسَبِّقاً . . تحصيل حاصل لا فائدة منه . .

انخرط الاثنان في العمل بعدما خبأ أحمد الظرف مع الجريدة التي تحمل نعى علاء في مكان أمين . .

كان كُلُّ مِنْهُمَا يُحاوِلُ دفن توتّره في حرفته . . حتّى أصبحت الخامسة من بعد الظهر ، حين سمع أحمد من يُناديه : أستاذ أحمد فيه ناس عايزينك . .

خرج أحمد إلى الاستقبال : مين؟؟

أجابته فتاة تعمل في الأستوديو : فيه أنسة برّه مستنياك . .

خرج أحمد ليجد أمامه آخر شخص يتوقّع أن يراه . . لم تكن تلبس النقاب . . كانت مُحجّبة . . وكان بجانبها حقيبة سفر كبيرة . . بدت مُرهقة ومكسورة . . كانت كأوراق شجر الخريف . . باهتة لن تتحمّل ضغطه . .

سُتصدر صوت خرفشة إذا لمس يدها . . ستطير مع الرياح إذا اشتدت . .

أحمد : آية !!

أجابته ودمعة ساخنة تتجولّ في عينيها : إزيك يا أحمد . . كلمتك . .

تليفونك مقفول . .

أحمد: حمد لله على السلامة ..

لم يجد كلاماً .. اقرب منها .. احتضنها وحمل حقيبتها إلى الداخل ..

.....

بعد شهر . . في إنترنت كافيهِ بالمهندسين . . وسط الألعاب وغُرف
الدردشة والأغاني كان هناك جهاز في أقصى الغُرفة المكيفة يجلس عليه
شبابان . . أحدهم بدين والآخر نحيل ويرتدى نظارة . .

أحمد : إنت متأكد إنه شغال؟؟

عُمر : أيوة متأكد . .

أحمد : طب إحنا فين دلوقتي . .

عُمر : إنت بتبع " e-mail " دلوقتي من إستراليا . . سيدني . . زي
ما تكون قاعد هناك . .

أحمد : مش هيعرفوا؟؟

عُمر : إنت نفسك مش هتعرف . . البرنامج اللي أنا نزلته ده بيغير رقم
الـ " IP " بتاع الكمبيوتر ، يعنى بصمة الجهاز اللي بتتبع مع
كُل معلومة على النت . . كده كُله سنة وإنت طيب . .

رجع أحمد إلى الورا واضعاً يده خلف رأسه : وإنتي بالصحة والسلامة يا
ست الحاجة . .

حمل عُمر ملفاً مضغوطاً على شبكة الإنترنت من بريد إلكتروني صنعه
حديثاً . . أسماه باسم "علاء جُمعة" . .

انتهى التحميل فالتفت عُمر يسأل أحمد : هتسمي الرسالة إيه؟

قطب جبين أحمد في تفكير لم يأخذ أكثر من عشر ثوانٍ: سمّيا صورة
للراقصة سالي بتعمل حلاوة . .

هز عُمر رأسه في رضا: مقدرش أقاوم رسالة بالشكل ده . .

كتب العبارة المثيرة وبدأ وضع عناوين البريد الإلكتروني . . كانوا خمسين
عنواناً . . عناوين كُمل الجرائد والمجلات المصرية وعدد من الشركات
الكُبرى . . بالإضافة لبعض الأصدقاء الذين لا تنبل في بريدهم رسالة، من
النوعية التي تصلح دور صحافة ونشر فردية . . كان الملف يضم كُمل ما كان
في خزانة البنك . . مُستندات وعقود ملكية وصور مقالات وشهادات
صحية . . ثروة علاء بالإضافة لصور جودة . .

قضى عُمر وأحمد فيها شهراً ينقلونها على الكمبيوتر، ينسّقونها لتصبح
جلية كالشمس . .

ولم ينسوا إضافة الصورة التي جمعت علاء وجودة نظرياً فقط . . صنعوا
نسخة مطبوعة من كُمل الأوراق أيضاً، وأرسلوها إلى مكتب المدعى العام
والرقابة الإدارية . . طرداً عامراً ملغوماً . .
عُمر: خلاص . . يالله . .

كان عُمر قد انتهى من إرسال الصور . . خرجا معاً يتمشيان على النيل
في منطقة العجوزة، بعدما مسح عُمر كُمل ما يُمت إليهم بصلة في كمبيوتر
النت كافيهِ وترك لهُم هدية . . ملف إضافي سيضطر معه صاحب النت كافيهِ
لأن يُعيد وضع الويندوز على الجهاز . .

أحمد: تفتكر الرسالة هتعمل حاجة . .

عُمر: طاعون . .

أحمد : يعنى إيه؟؟

عُمر : الطاعون إنتشر فجأة ومحدش عرف يوقفه . . عارف ليه؟

أحمد : عشان محدش كان عارف بيبجى من إيه . .

عُمر : كان بيبجى من الفيран . . الإنترنت دلوقتى ألعن من الفيран . .

بيوصل لكل بيت زى ما الطاعون كان بيوصل . . الرسالة دى

بكره الصبح هيكون رُبُع اللي بيستخدموا النت فى مصر شافوها

وبعد يومين ماتعرفش ممكن تكون فىن . . وموضوع البت

العريانة دى هيخلى الكبير يفتحها قبل الصغير . .

أحمد : كان نفسى علاء يشوف ده . .

عُمر : الله يرحمه . . فى الآخر كُـل الناس هتشوف صورته ويعرفوا إن

الراجل ده مات عشان حاجة . .

حاجة تستاهل . . ده غير جودة . . أهو ده اللي ماكانش يتوقع إنه يبقى

بطل . .

أحمد : مش عايز أسبق الأحداث . . خايف أحلم . .

عُمر : يا عم الكتيب فيه شركات كبيرة بتقع من إشاعة على النت . .

إنت ناسي شركة المية المعدنية اللي قالوا بتعمل سرطان، الشركة

قفلت . . إحنا باعيتين بقه ورق ومُستندات وصور . . تفتكر

هتعدى سهل كده؟ وبعدين الناس ما بتصدق تصدق وتخانق

معاك لو كدبتها أكتنها هى اللي حضرت الأحداث مش إنت . .

وبعدين الطرود اللي بعناها للرقابة الإدارية ومكتب المدعى . .

دى لوحدها تُهممة . .

أحمد: هنشوف . . ده آخر كارت عندى . .

عُمر: وأتقل كارت عندك . .

أحمد: يا رب . .

.....

بعد أسبوعين . .

في المبنى الأثري بشارع القصر العيني . . كانت الغرفة واسعة غاية في الفخامة . . عريقة تبدو من العهد الملكي يتوسطها مكتب كبير مُستطيل ، وراءه كرسي جلد أسود عال فوقه عوامة برتقالية صغيرة منفوخة ، يستعملها مَنْ يُعانون من البواسير لتخفيف الألم . . كان ذلك مكتبا يليق بشريف أمين . . والد حبيب . . فوق عوامته كان جالسا . . سانداً نظارته السمكية على قصبه أنفه العريض في وجهه المحفور كالأرض البور . . ملتزماً بالفرق الحاد على يمين شعره المصبوغ حتى الثمالة . . قصير القامة كما هو . . طويل النيدن كما هو . . عريض الأكتاف ثاقب النظرات حاد الصوت . . كما هو لم يتغير منذ أكثر من ثلاثين عاماً . . إلا أنه اليوم بدا مختلفاً . . كأن هموم الدنيا ترقد فوق كتفه . . يُحدق في أوراق أمامه باهتمام بالغ . . قطع هدوء الغرفة صفارة قصيرة تبعها صوت سكرتير مكتبه : شريف باشا . . عادل باشا نصار يا فندم . .

شريف : خليه يتفضل . .

قام من كرسيه يضبط قميصه وعينه لا تزالان على الورق أمامه يقرأ باهتمام . . كانت بعض الجرائد المستقلة لليوم السابق قد صدحت بصدى رسائل علاء . . كان أمامه تل من الجرائد يتناول فضيحة ابنه رجل الأعمال مع مجموعة شركات العسال ، وصور له في الكازينو مع " فتحى العسال " وبعض الفتيات . .

و ملف كامل عن سُحنات الأغذية الفاسدة والمنتجات غير المطابقة
والمنتبهة الصلاحية . . هذا غير فضائح رجال أعمال كبار على رأسهم " أمين
وصفي " وصفقاته مع إسرائيل وبعض ملفّات الساسة من ضمنهم أحد كبار
المستشارين الوقورين في أحضان فنانة إغراء من العهد القديم .

سمع خبطة . . انفتح بعدها الباب ليدخل منه " عادل نصّار

شريف : أهلاً أهلاً عادل باشا . .

عادل : إزيك يا شريف بيه . .

اتجه شريف ناحية كرسي مكتبه . . أخذ العوامة ووضعها على الكرسي

المواجه لعادل نصّار وجلس أمامه

شريف : البواسير مبهدلانى .

عادل : ألف سلامة . . وصلتك الأخبار .

شريف : وصلت .

عادل : وبعدين؟

شريف : كارثة .

عادل : هتعمل إيه؟؟

شريف : نمشيّه برّه البلد وبعدين نتصرّف . . هسفره لندن النهارده . .

عادل : ده حبيب . . طب وأبو حبيب . .

شريف : أبو حبيب يعرف يتصرّف . . والموضوع هيشيلّه العسأل . .

الورق كُلّه باسمه . . حبيب كان شريك من الباطن . . محدّش

هيقدر يثبت حاجة . .

عادل : طب والصّور اللي فيها هُمّا الإتنين مع بعض في الكازينو؟

شريف: هي دى المُشكلة . . مُمكن نَمشيها صداقة وبس . . مَش لازم
يكون بينهم شُغل . .

عادل: بس ده هِيضُر بِسُمتك إنت شخصياً . .

شريف: أنا عارف . . ومَش هعلق على حاجة لغاية الموضوع ما
يتنسى . . إذا كان حادثة العبارة إتنت . . ده مَش هيتنسى؟

عادل: تعرف واحد إسمه صفوان؟؟ صفوان البحيرى؟؟

شريف: أعرُفه . . كان شُغال معايا زمان . .

عادل: لبس البيجاما . . قعد في البيت . . أصل هو اللي كان مسئول عن
موضوع بار فيرتيجو بتاع مُحى ذنون وهشام فتحي . . ده كده
مع الرأفة كمان . .

شريف: الكلام ده فيه رسالة ليا؟

عادل: شريف بيه أنا مَش مرسال من حد . . أنا جاى أشوف عملت
إيه . . الموضوع يمَس الباشا . .

شريف: هو عرف إمتى؟؟

عادل: من وقت بسيط . .

شريف: على أى حال هو فاهم وعنده فكرة من الأول . .

عادل: ما تضمنش . . هو مَش هيسْتى حد من رجالته لما يُقع في فضيحة
فساد علني، وبعدين مَش أنا بس . . ده نُص الجرابيع بتوع مجلس
الشعب ليهم فضايح . . ده غير أيمن وصفي، ده موضوع
تانى . .

عادل: الموضوع لو كبير عن كده مُمكن يضطر ياخذ إجراء . . هيجمى
نفسه . .

احتد شريف: مش معايا . . إنت عارف . . مش أنا بالذات . . وهو
كمان عارف . .

عادل: على العموم حبيب لازم يسافر النهاردة . . قرار المنع من السفر
هيطلع في وقت بسيط . . مش هقدر أعطله أكثر من يومين . .
شريف: فاهم . . فاهم . .

قام عادل: أسيبك أنا مش هعطلك . . أنا كنت بس بطمن عليك . .
شريف: مُتَشَكَّر يا باشا على الزيارة . .

عادل: إعمل حسابك الباشا مُمكن يطُلبك في خلال ساعات . . فكَّر بقره
هتقول لَه إيه . .

ضم شريف شفتيه وهز رأسه: هنشوف . .
عادل: سلام . .

شريف: مع السلامة . .

رحل عادل وظلَّ شريف أمين جالساً فوق العوامة على الكرسي بجانب
مكتبه . . ظلَّ قُرابة نصف الساعة لا يشعُر بالوقت . . كان في رأسه ألف حل
لألف سؤال . . سؤال واحد فقط كان بلا إجابة . .

كم من الوقت سيَحْمَل كُرسيه تلك الفضيحة؟؟؟

في الأيام التالية، تابعت الأحداث بشكل سريع . . تم القبض على
فتحي العسال بعدما رُفعت عنه الحصانة . . صدرت عنه تصريحات من
السجن ذكر فيها أسماء كبيرة مُتورطة في مشاريعه . .

هرب "حبيب شريف أمين" إلى لندن قبل ست ساعات من صدور قرار
التحفظ عليه ومنعه من السفر . .

أصدر شريف أمين تصريحًا واحدًا . . " لن تطول يد الفساد الشُرْفاء . .
أثق في نزاهة القضاء كما أثق في نزاهة نجلي " حبيب " . . لو صدر قرار اتهام
ضد نجلى سيكون في مصر خلال أربع وعشرين ساعة . . لا أعبأ بتصريحات
صادرة من عضو فاسد يدعى علاقته بحبيب لإثارة الرأي العام والمواطنين
الودعاء "

أنكر تمامًا شريف أمين امتلاك ابنه لقرى سياحية في أي مكان . .
وبالأخص في الساحل الشمالي . .

استقال جلال مرسى من رئاسة تحرير جريدة الحرية وسافر إلى لندن . .
بعد ثلاثة أشهر سقط من بلكونة شقته بالدور الخامس بعدما شعر بدوار . .
آخر مكالمة له قبل سقوطه بخمس دقائق كان يطلب فيها توصيل بيتزا " Sea
Food " لشقته!!

تم رفع الحصانة عن خمسة وعشرين عضواً من أعضاء مجلس الشعب بعد
ظهور صورهم تباعاً على أغلفة المجلات والجرائد، وعلى شاشات الموبايل
بجانب راقصات كازينو باريس وفتياته . . سبعة أعضاء منهم كانوا يتمتعون
إلى نفس الحزب!!

عثر على جثة " كريم أبص " في شقة بالزمالك . . وجدوا كمية كبيرة من
المخدر في جسمه . .

اختفت سالي تماماً من على الساحة . . شوهدت في آخر عشرة أيام من
رمضان في مكة تؤدى العمرة . . وانطلقت إشاعة تقول إنها ستظهر قريباً في
برنامج لتحكى عن الظلم الواقع عليها . .

في حديث لها في مجلّة ظهرت فيها على الغلاف علّقت "علا زايد" الممثلة الشهيرة على علاقتها بالمستشار الكبير الذي استقال من منصبه، بأنها: علاقة صداقة بريئة اعتبرته فيها أختاً كبيراً!!! . . .

ظلّ "أمين وصفي" بعيداً عن الأضواء لا استجواب ولا تعليق . . . خبت قضية صفقاته مع إسرائيل، واستيراده حبوباً زراعيةً ملوثةً كما تحبو النار في عود الثقاب . . . وإن ظلّت هناك نقطةٌ متوجهةٌ صغيرةً جداً . . .

ظهرت صورة علاء جمعة وجودة على صفحات الجرائد المستقلة . . . تعددت القصص حولهما . . . من الناس من قال إنهما أصدقاء كفاح ضد الفساد . . . ومنهم من قال إنهما أب وابن . . . ومنهم من قال إن علاء اشترى تلك الصور منه . . . لكن أحداً لم يراوده الشكّ أنّ واحداً منهما لا زال على قيد الحياة . . .

لم تستطع صحيفة أن تتجاهل السبق . . . أن تتأخّر في عرض معلوماتها عن الأحداث . . . تشجّع بعض الناس وبدءوا يرسلون صوراً متفرقة ومعلومات للجرائد كانت مكتومة في الصدور والإمضاء من مجهولين . . . سقطت الذبائح وكثرت السكاكين . . . سكاكين لم يكن أغلبها مسنون . . .

وكلّما ظهر خبر نسيه الناس إلى جودة أو علاء . . . أيّاً كان منهم على قيد الحياة . . . لن يعرف أحد . . .

كانت رسائل أحمد كأحجار كسرت زجاج نافذة . . . أصاب شظاياها البعض، وانزعج منها البعض، وحاول إنكارها البعض . . . لكن أحداً لم يتجاهل أنّها أصابت . . . أصابت مقتل . . .

في أقصى الشمال . . على ضفاف الأبيض المتوسط تراصت الشاليهات
على الرمال الناعمة كمكعبات السكر . . صوت الموج الرتيب يُنظّم إيقاع
المكان . . رائحة البحر وتلك النسمة الباردة المحملة باليود التي تُدغدغ
الأعصاب . . في ذلك الوقت من السنة لم يكن هناك رواد للمكان باستثناء
تلك الليلة . .

تلك الليلة التي وقف فيها شبح رجل مغرورة قدماء في الرمال وحيداً
أمام البحر ، واضعاً يديه في جيبيه ينظر للموج في ضوء القمر شاردأ في
الفراغ . .

لم يكن ذلك سوى طارق . . طارق حسن عبد الله . . مُنفذ عملية بار
"قبرتيجو"

بداخل الشاليه ، كانت تجلس سُميّة زوجته على كنبه من البامبو . . لم
تعد حاملاً . . رزقها الله بحبيبة . .

تلك الصغيرة الرقيقة ذات الأشهر التسعة التي تُنسيها الدنيا حين
تتيسم . . نائمة في وداعة ، واضعة إبهامها الصغير في فمها على حجر أمها ،
أمها التي اسود لون وجهها من إثر بكاء متواصل . .

كانت أمامها عدد من الجرائد على ترابيزة صغيرة . . جرائد تصدّرها
صورة لزوجها . . صورته في بار قبرتيجو . .

كانت عيناها تُقاومان النظر إلى تلك الصورة إلى أن قامت ووضعت
حبيبة برفق في سريرها الصغير وفتحت باب الشاليه وخرجت . . خرجت في
اتجاه ذلك الشبح الذي وقف كصخرة لا يتحرك ولا يهتز ، كأنه جزء أزلي
من هذا المكان . . انغrust قدمها الناعمة في الرمال تمشى حتى أصبحت
خلفه . .

وضعت يدها برفق على كتفه . . بدون أن ينظر إليها لف ذراعه من
الخلف واحتضنها . .

لم تتمالك نفسها من البكاء . . انفجرت كما لم تنفجر من قبل . .

طارق : إهدى يا سُميَّة . .

وسط نحيبها : أهدا إزآى؟؟

طارق : هنسافر . . هنسافر مكان محدش يعرفنا فيه . .

سُميَّة : بتقولها كأنها سهلة . .

طارق : مفيش حل تانى . .

سُميَّة : شفت آخرة الطريق ده إيه؟

لم يُجبها . . لم يكن يملك الرد . . انقلبت حياته في يومين حين ظهرت

صوره على أغلفة الجرائد . .

صورة في البار . . لم تكن الصورة واضحة تماماً لكنّها كانت كافية ليتلقّى

الاستفسارات من معارفه . . تم استدعاؤه في العمل وبناءً عليه أخذ مُهلة

يومين يرتّب فيها أموره إلى حين إيجاد مخرج بعدما انهار المكتب بأكمله

ولبسوا البيجامات . . ذلك التعبير الدارج بينهم الذي يُشير للإقصاء

المُفاجئ . . " صفوان البحيري " و " مُصطفى عارف " وما تحتهم . . فريق

بالكامل تمّت إزاحتها كأنّ لم يكن . .

الحل المُتاح كان إخفاء " طارق " . . . يومان حتّى يُتيحوا دولة مُضيفة تقبله
مع زوجته وابنته . . .

يومان قرّر قضاءهُما في الساحل الشمالي بعيداً عن الأنظار . . .
سُميّة : أنا قافلة موبايلي بقالي يومين . . . ماما حتّى ما تعرفش أنا فين . . .
مش هيّ دى الحياة اللي كُنت مُتخيّلها معاك . . . ما كُنتش
أعرف . . . حبيبة؟؟ حبيبة يا طارق . . . هنعمل فيها إيه؟؟

طارق : إهدى يا سُميّة . . . العياط ده مش هيقدم ولا يأخر . . .
سُميّة : أبويا وأمي أقول لهم إيه؟

طارق : لما نسافر هنكلّمهم كُل يوم . . . مُمكن تهدى . . .
سُميّة : عمري ما كُنت أتخيّل إن ده يحصل . . . عمري ما كُنت أتخيّل إنك
تعمل حاجة بالشاعة دى . . .

طارق : سُميّة دى كانت غلطة . . . أنا بقالي فترة بشتغل في المكتب . . .
شغل إداري . . . إيه اللي مُمكن أعمله أكثر من كده دى كانت
أوامر ، أنا ماليش ذنب فيها؟

سُميّة : مفيش حاجة ما بيدفّعش تمنها . . . كلُّنا هندفع . . . حتّى حبيبة . . .
وسط صوت الموج الهادئ ارتفع صريخ حبيبة . . .
طارق : روحى شوّفي حبيبة . . . أكيد خايفة . . .

قبل أن تذهب جذبها من يدها واحتضنها . . . حضنا كان يحتاجه أكثر

منها . . .

سُميّة : تعالى معايا . . .

طارق : شوية . . . شوية وهجيلك . . .

اختفت داخل الشاليه وسط سيل من الهواجس انتابه ، أخذ يلطمه تلاطم
الأمواج على الصخرة . . كان عقله يعمل بسرّعة مُحاولاً ترتيب وضعه
الجديد حين لاحت في الأفق نقطة حمراء تتوهج تقترب منه . . لم تكن سوى
سيجارة في يد رجل في العقد الثالث من العمر وضحت ملامحه حين
اقترب . . وسمياً نسبياً رشيح الجسم ، يرتدى فانلة كُحليّة مرسوماً عليها
يخت وبعض العبارات الإنجليزية على شورت كاكى وحذاء رياضي . . بدا
من أصحاب الشاليهات . . أصبح على بُعد خطوات من طارق حين قال :
غريبة إنتى أقابل حد في الوقت ده . .

التفت إليه طارق ثم رجع بنظره إلى البحر في عدم اكتراث بعدما سحب
نفساً عميقاً : غريبة فعلاً . .

وقف الرجل بجانبه ينظر للبحر : منظر جميل . .

رد طارق في جفاء : فعلاً . .

الرجل : إنت هنا لوحدك؟

طارق : مين حضرتك؟

قالها والتفت ليجد فوهة مُسدّس كاتم للصوت مُصوّبة إلى رأسه : مُحبي

ذنون بيسلم عليك!

اختفى البحر وانطفأ القمر ، قبل أن يسكت صوت الأمواج بغتة . .

.....

شارع مُراد بالجيزة . . الساعة الحادية عشرة صباحاً . .
كان الخائن الصغير يلعب أمام العِمارة التي يعمل بها أبوه بجانب
جاليري كريشن . .

لا زال صغيراً أسمر البشرة نحيلاً كالورقة مُجمّعة الشعر . . ولا تزال لديه
رغبة في مُمارسة الجاسوسية . . في الخيانة . .
كانت الكُرة تجرى عندما أوقفتها قدم " أحمد كمال " قبل أن يصطدم به
الجاسوس الذي كان يجرى خلفها . . رفع رأسه ونظر إلى أحمد : حات
الكُورة . .

أحمد : حات؟؟؟ اسمها هات؟؟ بتحب الشوكولاتة؟

أجابه الطفل : لأ . .

كان غلساً رَحماً تلمأ في آن واحد : طب تاخذ ٢ جنيه تجيب اللي عايزه؟

أجابه الصغير : ماشى . . عايز إيه؟

مدّ إليه يده بالنقود وما أن حاول الصغير أن يمسكها حتى سحبها أحمد :

لأ لأ لأ . . المرّة دي توصل الحاجة لأنسة غادة ولما تيجى تاخذ

فلوسك يا حلو . .

أخذ الجاسوس صُحبة ورد بيضاء وظرف من أحمد وهمّ أن يجرى قبل أن

يستوقفه : إستنى . . لو شاورت عليا زى المرّة اللي فاتت مفيش ٢ جنيه

ومفيش كورة وهعلقك في الشجرة كمان . . ماشى . .

رمقه الطفل بنظرة حادة، ثمّ جرى في اتجاه الجاليري . .

بالداخل كانت عادة تتحدّث مع عميل عندما لمحت "إيلى كوهين" الصغير يدخُل من الباب في مشهد مُشابه لما حدّث لها من قبل : إكسكيوز مي . . استأذنت العميل وذهبت إلى الخائن الذي ناولها الصُحبة والظرف وهمّ بالانصراف . . استوقفته . . سألته . . قال لها : معرفش حاجة هوّ قال أوصلّ ده وخلص . . لم يُبح بسرّه مُتذكراً تهديد أحمد . . انسحب خارجاً وتركها تتأمّل الورد قبل أن تفتح الظرف . . كان به صور . . صور لها لم يحك أحمد عنها شيئاً . . صور التقطها كلُّما مرّ من أمام الجاليري . . واقفة . . شاردة . . حزينة . . تضحك . . تبتسم . . وصور ترجع إلى يومين مضيا فقط . . كلُّ صورة تقول أنّها لم تفارقه لحظة . . ضحك قلبها وظهرت نُغزيتها الجميلتين تدريجياً وهي تُفرغ الظرف من آخر محتوياته . . كان خاتماً . . خاتماً فضياً عليه أوّل حرف من اسمها . .

أخذ الجرح القديم بداخلها يتدمل . . ذلك الشرخ اللعين . . أمسكت تليفونها وضربت رقمه . . لم تكن لتحميه . . انتظرت الرنين ثواني حتّى سمعته . . سمعته بجانبها . . التفتت لتجده واقفاً . . كان أنيقاً يرتدى ما على الحبل بالحبل والمشابك . .

ابتسمت عادة في عذوبة : إيه كُّل الصور دى . . إنت مراقبنى بقه !!

أحمد : يعنى . .

عادة : مش هتبطل حركاتك دى؟

أحمد : أشك . .

عادة : كُنت فين؟؟ ثمّ رفعت الخاتم بين أناملها : وإيه ده؟؟

ابتسم لها : دى قصّة طويلة . . طويلة أوى . .

. . تمت بحمد الله . .

شكر خاص

- الفنان حُسام عبد المنعم . .
- عمّ جودة الجميل . .
- الصديق والشاعر طارق قطب . .
- أنتيمي المكليظ محمود حسيب . .

«فيرتيجو» تحوي أكثر من رواية..... وهذا شيء من سحر الفن!

فاروق عبد القادر - جريدة البديل

أحداث مشوقة تقترب من دنيا روايات «چون جريشام» التي تحبس الأنفاس.

اسامة غريب - جريدة المصري اليوم

كان يوم مصور الأفراح الشاب أحمد كمال عادياً حتى قاده القدر ليصبح شاهداً على جريمة قتل بين كبار رجال الأعمال في مصر في البار الشهير الذي يرتاده الصقوة.. "فيرتيجو".. ينجو أحمد بالكاد ليبدأ رحلة قاسية يكشف لنا فيها الكواليس السرية لمثلث السياسة، الجنس والمال، في لعبة مثيرة ليس للخسارة فيها سوى معنى واحد.. الموت..

أحمد مراد روائي مصري ومصور ومصمم جرافيك، من مواليد القاهرة عام ١٩٧٨، حصل على البكالوريوس بترتيب الأول على شعبة التصوير السينمائي بالمعهد العالي للسينما عام ٢٠٠١، حصلت أفلام تخرجه على عدة جوائز في مهرجانات أوروبية. "فيرتيجو" هي روايته الأولى التي أصدرها في نوفمبر ٢٠٠٧.

